

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الديان
خلق الانسان علمه البيان

" ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير "

" ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا "

" سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انك أنت العليم الحكيم "

الجامعة اللبنانية
كلية الآداب
والعلوم الانسانية
الفرع الاول
دراسات عليا
قسم الفلسفة

العوامل الفكرية وانتشار الاسلام في تشاد
دراسة في فلسفة الحضارة

رسالة ماجستير

اعداد

موسى عبد الرحيم عيسى

تحت اشراف

الدكتور/ محسن زيادة
رئيس قسم الفلسفة بالجامعة اللبنانية



العوامل الفكرية وانتشار الإسلام في تشاد

دراسة في فلسفة الحضارة الاسلامية

تأليف

موسى عبد الرحيم عزلي

مقدمـــــة :

يدور هذا البحث حول انتشار الفكر الاسلامى فى تشاد ، ونعنى بذلك صورة الفكر الاسلامى الذى انتقل الى بلاد السودان الأوسط ، وبالتحديد حول بحيرة تشاد مع الفتح الاسلامى لهذه البلاد .

وتشاد بلاد ذات تاريخ عريق ارتبطت بالاسلام منذ الفتح الاسلامى لها بعد القرن الحادى عشر الى ما بعد الاستقلال عن الاستعمار الفرنسى الغاشم ١٩٦٠ هذا التاريخ العريق من وجهة نظر المسلمين التشاديين يحتم الاتحاد مع العالم العربى الاسلامى الذى تتصل به تشاد مباشرة عن طريق جيرانها العرب .

وقديما ارتبطت تشاد بالممالك الاسلامية المختلفة ،وبالاسلام يبدأ التاريخ الحقيقى لتشاد ومهمة هذا البحث تتبع الفكر الاسلامى ، وانتشاره فى تشاد من خلال علاقته بالفكر التشادى قبل الاسلام وتفاعله معه واستجابة التشاديين له وللفكر الاسلامى معانى متعددة ، فقد يقصد به الحياة الثقافية الاسلامية بالمعنى الحضارى الواسع ، او يقصد به ، العلوم العقلية الاسلامية او الفكر الصوفى ،او الفلسفى او الكلامى ...... الخ وسوف نستخدم هذه المعانى المختلفة فى بحثنا فى سياقات مختلفة وسنحدد المعنى المقصود من ذلك على حدة .

فهذا البحث يتضمن أولا اللقاء الحضارى بين المسلمين وشعوب ممالك تشاد المختلفة ، وهو اللقاء بين حضارة ذات دين سماوى وفكر عقلى وتوحيد عقائدى ، وبين حضارة بدائية وثنية ذات فكر خاص وتصور فلسفى للكون والاله وتفاعل كل منهما ويتضمن ايضا انتقال الفكر الاسلامى بمعنى (العلوم العقلية والدينية المختلفة) التى نقلها الدعاة والتجار المسلمون والمهاجرون ورجال الطرق الصوفية الى هذه البلاد .

ثم يتضمن ثالثا وأخيرا النتاج الفكرى للمسلمين التشاديين أنفسهم من خلال ما قدموه نتيجة لهذا التفاعل من آراء ونظرات دينية او صوفية أو فلسفية ويحاول البحث ربطها بالتراث الاسلامى وما تضمنه من نظرات فلسفية .

والبحث بهذا الشكل يثير العديد من الصعوبات المنهجية التى تواجه الباحث . أهمها قلة المصادر التى تتناول هذا الموضوع ،وان وجدت فهى أقربها تاريخية فى الغالب ويشوبها الكثير من الخلط بين تاريخ الممالك المختلفة . وهذه المصادر كثيرا ما تتناول الموضوع من وجهة نظر خارجية استعمارية تبشيرية تنظر الى الافريقى على أنه انسان من رتبة أقل وتتصوره على أنه ذلك الحيوان العارى المتوحش متسلق الجبال .

وبالاضافة الى هذه الصعوبة الاساسية التى تظهر فى ندرة المراجع هناك صعوبة منهجية متعلقة بطريقة تناول الموضوع ، وهى تدور حول أى الطرق تصلح فى تناول هذا الموضوع .

وكانت هناك ثلاث اجابات مختلفة وقفت أمامها طويلا ، الاولى تدور حول تناول الموضوع من هذه الزاوية التاريخية وبالاضافة طول الفترة . منذ الفتح الاسلامى حتى الآن وهى مدة يصعب فيها الرصد الدقيق لظواهر الفكر المختلفة فى تشاد سواء قبل دخول الاسلام او بعده .

والطريق الثانى كان اما اختيار شخصية هامة وتناولها كصورة للفكر الاسلامى الصوفى او الفلسفى وعرض جوانبها المختلفة ، الا انه من النادر وجود مثل هذه الشخصية ، او اختيار مجموعة من رجال الطرق الصوفية ودراسة فكرها وأهم رجالها وهذا هو الاختيار الثانى امام الباحث .

والاختيار الثالث : هو تناول مشكلة فلسفية او فكرة معينة مثل : التوحيد او الامامة او تصور الألوهية ، تلك المشكلات التى تعرضت لها

فلسفة الاسلام ونحاول ان نعرض كيفية تناول المفكرون التشاديون لها •

وكانت هذه هى الطرق المتاحة أمام الباحث ولتفادى صعوبة اختيار جانب واحد من هذه الجوانب المختلفة كان علينا اختيار شكل آخر لتناول الموضوع وكان ذلك الشكل الاخر دراسة الموضوع من خلال فلسفة الحضارة فالتناول الحضارى هو الادق والاصوب فهو يجمع بين مختلف الجوانب السابقة ويتجاوزها ، وهو هنا ضرورة يتطلبها البحث نفسه • حيث يدور الموضوع : الفكر الاسلامى فى تشاد حول التقاء حضارة بأخرى ، الحضارة الاسلامية من خلال دينها السماوى التوحيدى وفكرها العقلى الطبيعى وغايتها الانسانية الكاملة مع الحضارة الافريقية شبه البدائية فى تشاد ذات التصور الفلسفى الخاص والتى كانت تدور حول عبادة ظواهر الطبيعة وتقديس ارواح الاجداد • ومن خلال هذا اللقاء نتناول بالدراسة المقارنة هاتين الحضارتين ، فنعرض للحضارة الافريقية والفكر الفلسفى الخاص بها ومعتقداتها وأساطيرها ثم للحضارة الاسلامية كما عرفها التشاديون ثم نقارن بينهما ونخرج بالنتائج العامة لهذا اللقاء فى فكر تشاد الحديث •

وخلال ذلك يتعرض البحث لتطور الفكر والمجتمع التشادى وذلك بعرض قوانين تطور المجتمعات والتقاء الحضارات والشعوب من خلال وجهات نظر الفلاسفة وعلماء التاريخ والاجتماع والانثروبولوجيا وعلماء دراسة تاريخ الاديان وتطبيق ذلك على الفكر الاسلامى فى تشاد •

وللبحث جانبان أحدهما نظرى والاخر تطبيقى •

ويدور الاول حول قوانين تطور المجتمعات والحضارات نشأتها وانهيارها وتقابلها وتفاعلها •

وفى هذا الجزء نبحث الاسس الحضارية للصراع بين الافكار والتطور الحضارى للصراع بين الافكار والتطور الحضارى والفكرى وقوانينه بشكل عام •

والآراء المختلفة التى قيلت لفلاسفة التاريخ وفلسفة الحضارة والانثروبولوجيين والاجتماعيين .

والجانب التطبيقى الذى يجسم هذه القوانين ويطبقها على الفكر الاسلامى فى تشاد ، والفكر التشادى الافريقى التقائهما وتفاعلهما الصراع والحوار بينهما لنرى صورة هذا الفكر ،هل نقل كما هو معروف فى المشرق والمغرب أم أتخذ صورة أخرى ؟ وماهى هذه الصورة الاخرى التى تشكل بها الفكر الاسلامى فى هذه البلاد . وهل تقبل هذه البلاد هذه الصورة ام غيروا . أو حوروا فيها ؟ ويرى الباحث بأن هذا اللقاء نقل الفكر الاسلامى والعلوم العقلية باعتبارها بناء ثقافى متكامل الى تشاد وباعتباره اسلوب للحياة والتعامل وتوجيه السلوك للمسلمين التشاديين خاصة وأن قنوات الانتقال تمت عبر الطرق التجارية والقوافل وأيضا من خلال هجرة الفرق الدينية ونشاط أهلها فى الدعوة الاسلامية وأحيانا عبر حركة الطرق الصوفية التى شملت كل المغرب العربى هذه الطرق قد نقلت بشكل موسع للحضارة والثقافة والفكر بشكل عام . وأيا ما كان الأمر فان نتيجة هذا اللقاء تمثل قمة ما وصل اليه الفكر الاسلامى فى تشاد وهو ما يهمنا ابرازه فى هذا البحث . واذا كان هذا يتعلق الى حد كبير بفترة العصور الوسطى حيث ازدهار الحضارة الاسلامية فالامر يختلف فى العصور الحديثة حين تعاملت أفريقية ككل وتشاد نمط آخر من الحضارة الاوربية من خلال التجارة ثم التبشير الذى كان وسيلة أخرى لفرض الحضارة الغربية والديانة المسيحية لطمس وتغيير وابقاء ما هنالك من معتقدات وأفكار افريقية وما ارتبطت به من فكر اسلامى ولغة عربية .

هذه المحاولة التى لم يكتب لها النجاح بقيام كثير من الدول الافريقية ومن بينها تشاد بحركات التحرر الوطنى من الاستعمار الغربى وحضاراته

سواء كانت فرنسية او انجلو سكسونية ترد فى النهاية الى المصدر اليونانــــى اللاتينى •

فيما نرى نحن من جانبنا ان افريقية تشكل كيانا مستقلا ذو فكر وحضـــارة من الممكن ان يساهم فى تعميق العلاقات الانسانية والمشاركة مع اوربــــا فى حضارة عالمية اشمل ، تؤدى فيها دورها مع غيرها من الشعوب الشرقية سواء كانت عربيـة او هنديـة صينية مقابل الشكل الاوربى الأوحد ومـــن هنا تأتى أهمية ابراز فكر افريقى اسلامى عربى •

ودراسة الفكر الاسلامى فى تشاد من خلال لقاء حضارتين مختلفتيـن اسلامية ووثنية مسألة مزدوجة تكون مهمتنا البحث فى الفكر التشادى ومعتقداته قبل الاسلام وبعده • ومثل هذا اللقاء مسألة تمت مرارا فى التاريخ فقـد فقد تفاعلت الحضارة الاسلامية مع الحضارتين الهندية والفارسية ثم الحضارة اليونانية كما اتخذ ذلك اللقاء صورة تقابل بين حضارات ذات صبغة دينيـة كما حدث مع المسيحية واليهودية الا ان لقاء الفكر الاسلامى بالفكـــر التشادى يختلف عن التقاء الفكر الاسلامى مع غيره من الحضارات كالفكـــر اليونانى وحضاراته وعلومه حيث كانت الحضارة الاسلامية ملتقية أولا ثم مشاركة بينما فى حالتنا هذه فالحضارة الاسلامية هى التى تعطى وتبدأ بالعطـا • وليس الآخذ • لذا فالمهمة هنا صعبة حقا •

أولا : " الموضوع من وجهة النظرة الاجتماعية الانثربولوجيه "

ومن الممكن معالجة الموضوع بعدة طرق ، الا انه علينا ان نختـــار من بين طرق التناول المختلفة واحدة ، فالدراسة الاجتماعية ، تتناول الدين كظاهرة ملموسة فى المجتمع ورصدها وبيان مدى وجودها وقوة تأثرهـــا وفلسفة هذا الدين وأهم معتقداته كما يفعل علماء الاجتماع • الا ان هذا الاتجاه يقدم لنا الدين كما هو موجود الآن ولايقدم لنا العقائد السابقـــة

على الاسلام ، وتفاعل العوامل الفكرية الاسلامية مع العناصر السابقة عليهما ، ونتيجة هذا التفاعل ، وأقصى ما يمكن ان تطمع اليه دراسة من هذا النوع هو وصف بين أنماط السلوك البشرى فى مواقف دينية محددة • ومثال على ذلك الدراسة الضخمة التى قام بها علماء الاجتماع الانثربولوجيا الاجتماعيين بجامعة نورث وسترن الامريكية بعنوان : " الثقافة الافريقية دراسات فى عناصر الاستمرار والتغير " والتى اشرف عليها كل من (وليم باسكوم) ، (فلفل هيرسكوفتنز) [1] وهما يعنيان بالثقافة الافريقية : طريقة حياة الشعب وسلوكه التقليدى بمعناه الواسع الذى يضم افكاره وتصرفاته واشغاله اليدوية ، فأهم ما يميز الانسان عن غيره هو الثقافة وليس المؤسسات الاجتماعية • فالحيوانات الاخرى لها مجتمعات أما الانسان فهو الوحيد الذى يستعمل اللغة ويصنع الادوات وهو الوحيد الذى يؤمن بالاديان ويمارس الفنون • وهكذا فاهتمامنا بالثقافة وليس بالمجتمعات والمؤسسات الاجتماعية يؤكد العناصر التى سيؤديها الانسان فى سلوكه [2] .

واذا كانت هذه الدراسة تتناول الادوات وممارسة الفنون والنشاط الثقافى وسلوك الانسان فتحدث المؤلفان مثلا عن العناصر الاوروبية التى امتزجت بالثقافة الافريقية وأثرت فيها كالتبغ والكاسافا والفول السودانى والذرة الا ان مستوى هذا البحث يختلف عن مستوى بحثنا هذا •

---

(١) وليم باسكوم ملفيل ، هيرسكوفتنر : الثقافة الافريقية ترجمة عهد الملك الناشف ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١١ ــ ١٢٥

(٢) وقد ترجم هذا البحث الى العربية عن طريق مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت قام بنشرها عهد الملك الناشف سنة ١٩٦٦ ويمكن اعتبار هذا البحث سلسلة من كتب الانثربولوجيا الافريقية وهى تمثل جهدا كبيرا نحو فهم حياة الشعوب الافريقية التى تسكن هذه القارة •

فيما يهمنا يختلف عن ذلك فنحن نبحث فى البناءات الفكرية والعناصر الاساسية للفكر الافريقى ومقولاته ومكوناته وتصوره للعالم والله • وتلاقيها مع الفكر الاسلامى وحصيلة ذلك فيما قدم من انتاج فكرى وأدبى وفلسفى وغيره •

واذا كان الاهتمام بالدراسات الافريقية بدأ بعد الحرب العالمية الثانية •

فاهتمامنا نحن به أقدم من ذلك واذا كانت جامعة (نورث وسترن) تبنت الاهتمام بالدراسات الانثربولوجيا الافريقية فى البحث عن الثقافة الافريقية فالفضل يرجع للجامعة اللبنانية التى تبنت هذا البحث •

وهذا الاهتمام ينبئ عن فهم عميق ودقيق للروابط التى تربط افريقية والعرب والاسلام • التى تعد على مستوى عقلى يتجاوز أنماط السلوك كما عند علماء الاجتماع والانثربولوجية ويؤثر فى كل مظاهر الحياة والسلوك لدى الافريقيين ذلك هو البناء العقلى او ما يسمى حديثا بالايديولوجيا وهى تعنى عندنا كل البناءات العقلية والافكار الموجهة من دين وفلسفة ومعتقدات •

ثانيا : الموضوع من وجهة نظر فلاسفة التاريخ :

بحث كثير من الفلاسفة وفلاسفة التاريخ فى تطور الحضارات المختلفة وقيامها وانهيارها • وقد تم ذلك فى مراحل مختلفة فى التاريخ • ومن منظورات فلسفية متباينة • نجد ذلك عند الفيلسوف العربى عبد الرحمن ابن خلدون ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ وأيضا لدى المؤرخ وفيلسوف التاريخ الانجليزى المعاصر " ارنولد توينبر ١٨٨٩ وأيضا لدى القديس أوغسطين ٣٥٤ ـ ٤٤٠ ونجد ذلك ايضا عند فيلسوف التاريخ الاعظم هيجل ١٧٧٠ ـ ١٨٣١ وماركس ١٨١٨ ـ ١٨٨٣

صاحب النظرية الشهيرة عن المادية التاريخية • ولدى الفيلسوف الايطالى المثالى كروتشه وأيضا لدى شبنجلر ١٨٨٠ ـ ١٩٣٦ • وفى كل هذه المحاولات تختلف الاسئلة المطروحة أما الفيلسوف وبالتالى يختلف تصوره لسير التاريخ والقوى المحركة له وأسباب قيام الحضارات وسقوطها وتدهورها • فبينما يقدم ابن خلدون نظرية للتعاقب للحضارات نجد أوغسطين ومعه فى ذلك (١٦٢٧ ـ ١٧٠٤) وأخوان الصفا يقدمون نظرية فى التخطيط الالهى •

ونجد غيرهم من أمثال : (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) • وكوندرسيه (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) لهم نظرية فى التقدم أساسها الفعل الانسانى[1].

ويجمع كانت (١٧٤٢ ـ ١٨٠٤) بين النظريتين السابقتين الفعل الانسانى والتخطيط الالهى فى تفسيره للتاريخ العام بمفهومه العلمى • واذا كانت هذه النظريات السابقة تفسر التاريخ فهناك نظريات أخرى تتناول الابعاد المختلفة التى تحرك التاريخ فنجد البعد الميتافيزيقى الذى يعتمد على الفكر والمنطق كأساس للتاريخ عند هيجل والبعد الاقتصادى الذى يفسر التاريخ تفسير مادى كما لدى ماركس والبعد البيولوجى لدى شبنجر الذى تنبأ بانهيار الغرب وأخيرا البعد الحضارى لدى فى

---

(١) أنظر فى ذلك الفصول الاول والثانى والثالث من الجزء الثانى فى كتاب د • احمد محمود صبحى فى فلسفة التاريخ منشورات الجامعة الليبية ص ١٣٣ ـ ١٩٦

نظريته عن التحدى والاستجابة ورأيه الهام عن دور الاديان العالمية فـــى قيام وتدهور المجتمعات والحضارات.(١)

والممكن تتبع هذه التصورات بايجاز لدى كل من ابن خلدون ومـاركس من جهة وهيجل من جهة ثانية وتنبى ، وشنجلر من جهة ثالثة مع العلـم بوجود اختلاف بين كل واحد منهم والاخر .

يتفق كل من ابن خلدون وماركس على تقديم نظرية للتطور الحضـارى فى تقديم المجتمعات . والعامل الثانى هو الدين عند ابن خلـــدون والايديولوجيا عند ماركس .

الا ان هذا قد لايكون صحيحا بالنسبة لما يخص بحثنا هذا فنحن نجد أن الاشتراكية الافريقية فى النظرية والتطبيق تتخذ شكلا آخر يخالف هذا التصور الماركسى .

فالاشتراكية الافريقية تتميز عن غيرها من النظم الاشتراكية وتستطيع ان تتبين ذلك من أقوال فلاسفة أفريقية وأدبائها . يقول سنغـــور أننا مضطرون الى البحث عن اسلوبنا الاصيل الخاص وهو أسلوب افريقـــى خاص مع توجيه اهتمام خاص الى عنصرين : هى الديمقراطية السياسيـة .

---

(١) تعد نظرية توينى أقرب الى الصواب فيما يتعلق بتركيزها على الدين كمحرك لقيام الحضارة وكعامل قوة وهو فى تركيزه على دور الديـن يتفق مع ابن خلدون الذى يرى الدين عاملا هاما من عوامل قيـام الدول .

أنظر ايضا تشارلز فرنكل أزمة الانســـان الحديث : الفصل التاسع نظرية (توينى) من التحول التاريخـى ترجمة د . نقولا زيادة راجعه عبد الحميد راسينى . مكتبة دار الجهد . فرانكلين . بيروت . ١٩٥٩ ـ ص ١٦٩ ـ ٢٠١

والحرية الروحية • بينما الرئيس جوليوس نيريرى فيعرفها فى كتابه (اوجاما) بأنها تعنى الاشتراكية التى تفسرها كلمة (أوجاما وهى تختلف عن كل من الرأسمالية وأيضا مع الماركسية • ويعرفها (جوموكنياتا) بأنها اشتراكية افريقية ديمقراطية •

وللرئيس أحمد سيكوتورى مختصر ودقيق للاشتراكية الافريقية يقول فيه : أنها نظام يرفض كل من الرأسمالية والشيوعية ويكتفى عنهما بتكليف الاقتصاد مع الحقائق الافريقية •وان ما يعنينا أولا وقبل كل شئ•هو تحرير افريقية [١]

ويتجه تفكير المفكرون والفلاسفة الى البحث عن نظرية موحدة ومستقلة ذات ملامح خاصة تميز الاشتراكية الافريقية عن غيرها • وهذا التصور يستطيع ان يتبين ذلك فيما يلى :

(١) رفضها فكرة الصراع الطبقى ولذلك عملت حكومات الشعوب الافريقية على تحويل النقابات العمالية الى منظمات انتاجية •

(٢) وتتميز الاشتراكية الافريقية بأنها كحق طبيعى لابد من احترامه وادرات الشعوب الافريقية لضرورة تطبيق النظام الاشتراكى سيجعل منها من غير شك قوة اقتصادية عالمية هامة وان احترام القيادات الفكرية لتراث قارتهم وواقعها الموضوعى سيبرز ملامح التراث الافريقى ويعكس مقدرة هذه الشعوب على المساهمة الخلاقة فى اثراء الفكر العالمى او هو دور سبق أن لعبته من قبل فى مرحلة متقدمة من التاريخ •

وتؤكد الدكتورة زينب[٢] الحقدى فى كتابها فلسفة التاريخ

---

(١) انظر عبد الواحد امبابى : الاشتراكية الافريقية فى النظرية الى التطبيق مجلة الفكر المعاصر القاهرة العدد : ٤٤ اكتوبر ١٩٦٨ عدد خاص عن التجديد فى الفكر الاشتراكى •

(٢) د • زينب محمود الحقدى فلسفة التاريخ عند ابن خلدون دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٩ ص ١٠١

عند ابن خلدون فى الجوانب الخصبة فى فلسفة العلامة العربى خاصة فى جانبى الفكر التاريخى ، والفكر الاقتصادى • كما تتحدث عن مفهوم الدولة عند ابن خلدون وتقيس ذلك على أسس نظم الحكم فى عصره ثم تنظر الى مفهوم الدولة عنده نظرة عصرية •

واذا تناولنا جانب فلسفة التاريخ والحضارة نجد الفصل الثالث من الكتاب يوضح تطور التاريخ عند ابن خلدون • وبعد أن تحدثت الدكتورة عن ابن خلدون ونظرية التطور تعرض فى فترة طويلة جدا فى شرح العوامل المؤثرة فى سير التاريخ وتطوره •

ثم الاقتصاد وأثر الطبيعة على المجتمعات الانسانية وبعد ان تبين أثر الدين على فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، تعرض بشكل على القوانين الحتمية التاريخية (١).

وفى هذا يقول مفكر الثورة الايرانية وشهيدها الدكتور على شريعتى (٢)•

---

(١) د • زينب محمود الخضيرى : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون دار الثقافة للطباعة والنشر • القاهرة ١٩٧٩ ص ١٠١ المرجع السابق ص ١٠٧ س ١٣٩ •

(٢) على شريعتى فيلسوف الثورة الايرانية • ولد سنة ١٣١٢ هـ ١٩٣٣ م تخرج من كلية الاداب جامعة مشهد ونال الدكتوراه فى فرنسا فى فرنسا فى العلوم الاجتماعية وعمل بجامعة مشهد لكن السلطة اعتبرته خطر عليها فطرد من الجامعة ومع ذلك لم يبتعد عن ايران حيث كان يرى ان رسالته الاولى داخل بلاده • وفى طهران زاول نشاطه الفكرى وصار يدعوا الى تجديد الفكر الشيعى والثورة على الطغيان • وغادر ايران الى لندن ١٩٧٧ وتوفى هناك فى نفس العام •
على شريعتى بناء الذات الثورية ص ٨٥ •
د • كتور ابراهيم الدسوقى الثورة الايرانية الجذور والايديولوجيا ، دار العطف بيروت ، لبنان •

ومقابل ابن خلدون وماركس نجد اوغسطين وهيجل ، قدم الاول نظريته في فلسفة التاريخ في كتابه الشهير مدينة الله والذى يعتبر النظرية المسيحية في فلسفة التاريخ وتتصور هذه النظرية التاريخ الحضارى خاضعا للعناية الالهية .

وتجد هيجل يعطى تصورا للتاريخ بادئا من فكرة مسبقة هى الفكر أو الروح التى تسرى فى التاريخ وتظل فى تطور مستمر وتصل الى قيمتها عند أوغسطين فى مدينة السماء تجد هذه القمة عند هيجل تتمثل فى الدولة البروسية فى عهده فقمة التاريخ فى المانيا بينما الشرق وأفريقيا بشعوبها كلها عبيد وليس هناك حرية إلا شخص واحد هو الاله والحاكم .

وتلك نظرة لا تستطيع ان توافق عليها من وجهة النظرة الاسلامية تاريخيا وفلسفيا بل ان ما حققته الحضارة الاسلامية فى القرون الاولى كثرة حتى الآن .

وعند توينى وشبنجلر تصور للتاريخ على أنه يمر فى حلقات معينه بحركة التحدى والاستجابة عند (توينى) ويمر فى دوائر مقفله عند شبنجلر . وتصور كل منهما للحضارة الغربية قمة الحضارات على أنها فى مرحلة احتضار . وبينما نعى سبنجلر الحضارة الغربية فى كتابه : انحيا الحضارة الغربية حاول توينى ان يصف العلاج والخروج من الازمة لهذه الحضارة التى فى التطور الاخير لها وذلك عن طريق الدين .

ونحن وان كنا نوافق على تشخيص كل منهما للحضارة الاوروبية الا أننا نعرض شكل آخر من التواصل بين الحضارات المختلفة .

فليست الحضارة الاربية هى الشكل الوحيد الشامل والعلمى للحضارة بل هى حضارة اقليمية تواجهها حضارات أخرى كالحضارة الاسلامية ، والهندية ، والصينية ، واليابانية ، والافريقية ولكل من هذه الحضارات

دور فعال [١] • ويجب ان يكون لنا موقف من هذه الحضارة واسهاما منا فى الحضارة الانسانية الشاملة •

واذا كانت هناك كثير من الانتقادات توجه الى تناول الفلاسفة للحضارة والتاريخ الا انه يبقى السؤال الهام هل يمكن تناول الموضوع الخاص بانتشار الفكر الاسلامى فى تشاد عن طريق منهج فلاسفة التاريخ ؟

وان كان هناك نهج تاريخى فهو يتناول تطور الاحداث والمعارك وميلاد وموت الرؤساء ولا يتناول تفاعل الحضارات وصراعها • فهل هناك فهم أمر مكمل لذلك ؟

ربما تجد هذا لدى علماء تاريخ الاديان •

•• ••

---

(١) انظر ذلك هيجل : محاضرات فى فلسفة التاريخ الجزء الاول (العقل فى التاريخ) ترجمة وتقديم وتعليق • د • أمام عبد الفتاح مراجعة د • فؤاد زكريا • دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٠

مقدمة المترجم : ثالثا : دراسة لفلسفة التاريخ وهى تمهيد هام لفلسفة هيجل فى التاريخ أنظر ص ٣٩ ـ ٧٧ والجزء الخامس الاساس الجغرافى للتاريخ ص ٢٠٣ خاصة ما يتعلق بأفريقيا ص ٢٢٢ ـ والشخصية الافريقية • ص ٢٢٤ وما يتعلق عن السحر والشعوذة والتمائم • وعبادة الموتى • فالشخصية الافريقية عنده تمثل الحالة الطبيعية وهى احدى حالات الظلم المطلق • ص ٢٢٣ وأفريقيا عنده تقف على عتبة التاريخ وربما يكون هذا الرأى صحيحا •

الموضوع من وجهة نظر علماء تاريخ الأديان [١]

ونظرا لأن بحثنا يتعامل مع فكر دينى اسلامى التقى مع أديان أفريقية وثنية سابقة عليه من الممكن يتناول هذا الموضوع وبحثه من خلال فلسفة الدين ويكون تناولنا للدين الافريقى مثل تناول الشهرستانى فى (الملل والنحل) وابن حزم فى الفصل فى الملل والاهواء والنحل و والبيرونى فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل وغيرهم للاديان وملل الشعوب الاخرى مثلما تناول الفرق الاسلامية المختلفة والديانات السماوية الاخرى وهذا العلم ذو أصل اسلامى [٢] والدراسة الحديثة له ترجع الى عهد قريب فى أوربا بعد التوسع فى دراسة الكتاب المقدسة ، والتى كانت قاصرة فقط على رجال الكنيسة ، ثم تحطمت بعد ذلك صخرة على شواطئ حركة الاصلاح التى جاء بها (لوثر) فى القرن السادس عشر الميلادى . فانفتح الباب لعامة المسيحيين للاطلاع على الكتاب المقدس حيث بدأ غلاة البروتستانت فى ترجمة الكتاب المقدس للغة التى يفهمها الناس بينما كانت الحرب مستمرة بين رجال العلم والكنيسة بدأ الناس اعمال عقلهم فى أمور الدين . وهذا هو سبب اساسى لنشأة حركة التنوير التى عمت القرن الثامن عشر الميلادى وفى نتيجتها دخول الاوربى لدراسة الدين بالعقل . وقد فتحت الثورة الصناعية فى آسيا وأفريقية أمام المسيحى الاوربى .

---

(١) نظرا لحداثة علم تاريخ الاديان وعدم ادخاله بعد الى الجامعات العربية او الكتابة عنه ، رأينا ان التوسع قليلا فى العرض لهذا العلم الذى يعد العرب أحق الناس بالتوسع فيه .

(٢) الذى تستمد منه المعرفة الخاصة هو القرآن الكريم الذى فرق بين الاديان ، ونقد الاديان ليس نقدا لاهوتيا وهذا النقد هو الذى فتح الابواب امام علم تاريخ الاديان ، فقد تحدث عن الرسل والرسالات والديانات . فالاسلام يقدم حلا لذلك فيما يسمى بدين الفطرة .

عالم آخر من البشر المسلم ، والهندوكى ، واليهودى ، والافريقى ، وبدأ نوع من حب الاستطلاع الفكرى للتعرف على اصحاب هذه الديانات الذين كانوا من وجهة نظرهم كفار ليس هناك قيمة لدياناتهم وثقافاتهم .

وفى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى بدأت حضارات أخرى سامية وغيرها من هنا أخذت أوربا برمتها تفيق من ثباتها وبدأت حركة النقد للكتاب المقدس . جميع هذه الدراسات مجرد استطلاع لا أكثر وفى ذلك الحين كان رجال الكنيسة يظنون أنهم مبشرين فكانت دراساتهم للاديان المختلفة لهذه الشعوب بقصد ادخالهم للدين المسيحى فكانت دراستهم بطريقة كنيسية . وتنوعت هذه الدراسات وقد سبق العلماء الالمان[1] غيرهم وتبعهم الهولنديون بعد ذلك والفرنسيين وقد استدعت جامعة أكسفورد ميلر[2] من المانيا لتدريس الديانات المقارنة باكسفورد سنة ١٨٩٨ لأول مرة فى انجلترا . وقد نشر ماكس ميلر نشرة لمجموعة من الكتب المقدسة سماه مجموعة الميثولوجيات . فهو يعتبر كل ما سوى الدين المسيحى ميثلوجيا . وهذه وجهة نظر مسبقة مفروضة وليست علمية وان كانت تدعى الاسلوب العلمى فى جمع وتصنيف الميثولوجيات. لأن المقولات التى أفترضت فى الدراسة كلها مقولات مسيحية جعلت من الديانات ميثولوجيا اى أساطير وخرافات والباحث هنا يرفض اعتبار أى دين سماوى من قبيل الخرافة ، او الاسطورة .

---

(١) صاحب كتاب محاولة فى تاريخ الاديان ترجمة الاستاذ الدكتور مصطفى عبد الرازق بعنوان : مذهب العلم الحديث فى الدين وأصله فى مجلة الهلال ج ٩ يوليو ١٩٣٢ ص ١٢٦٦

(٢) صاحب كتاب محاولة فى تاريخ الاديان ترجمة الاستاذ الدكتور مصطفى عبد الرازق بعنوان (مذهب العلم الحديث فى الدين وأصله) فى مجلة الهلال ج ٩ يوليو ١٩٣٢ ص١٢٦٦ .

وقد قامت فى المانيا محاولة لانتشال هذا العلم من الافتراضات المسبقــة التى وجدت لدى العاملين فيه وقد سميت هذه المحاولة علم الاديان والسـبب فى هذه التسمية هو ابعاد الحكم المسبق من قبل المتدين المسيحى حتى يكـون التناول علميا لاهوتيا وساعد على ذلك نظرية التطور عند دارون وتميز العلـوم الاجتماعية عن غيرها بالمنهج بفضل أوجست كونت فاستفاد علماء الاديان مـن ذلك وقامت مدرسة (دراسة الدين دراسة تاريخية) •

وهذه المدرسة ايضا لها أحكام مسبقة فهى تفترض ان هذا الـذى يتمثل لدى الشعوب المختلفة هو حالة سابقة قديمة لها عند الاوربيين وماسيأتى فى المستقبل وبلا شك المسيحية التى ستعم العالم فدراسة اديان العالـم كسوابق تفيدنا فى تفسير اللواحق تماما كما فى مذهب دارويين

وساعدهم على ذلك التوراه حيث وجدوها لاتمثل دينا واحدا بل عـــدة أديان او عدة تطورات فطبقوا ذلك على الاديان الاخرى وهذا المنهـج خاطئ لأن الدين الاسلامى والهندوكى لم يكن سابقا على المسيحيـة بل هو شيء معاصر لذلك تطورت هذه الدراسة الى منهجية جديدة وهـى تنقسم الى قسمين فردى واجتماعى •

١ـ الفردى تناوله علماء النفس الذين ردوا الدين الى ظاهرة نفسية ، كما لدى وليم جمس فى أنواع مختلفة من الخبرة الدينيـة وهو الكتاب الاول الذى انتجه الغرب للدين •

وسرعان ما قاوم هذا الاتجاه علماء الاجتماع فالدين عندهم ١٩ ظاهرة

---

(٢) انظر فى ذلك المحاضرات التى القاها الدكتور اسماعيل راجى الفاروقى فى كلية الآداب ونشره بمجلة كلية الاداب بعنوان (فى تاريـخ الاديان رؤس الاقلام) عرض د • توفيق الطويل مجلة كلية الاداب ، المجلد ٢١ ، ج ١ مايو ١٩٥٩ ص ٦٥ ـ ص ٧٤ المجلد ٢٥ ج ١ مايو ١٩٦٣ ص ١ ـ ٩ •

٤ـ اطار فكرى يجمع ظواهر هذا الدين ويؤلف منها بناء من القيم مستقلا عن الجميع قائم بذاته ، وبالتالى فالمقارنة بين الاديان غير مقبولة وهذا رأى المدرسة الامريكية التى تسمت مدرسة تاريخ الاديان . فالمدرسة الانجليزية هى مقارنة الاديان والمدرسة الالمانية والهولندية يطلق عليها اسم علم الاديان .

فدراسة الاديان هى عملية فكرية للفهم ولا دخل للعالم بالحكم هى عملية عقلية وليست اخلاقية والغرض منها فقط هو فهم الدين .
واذا علماء الاديان الفنومنولوجيا كتبوا وصنفوا كل دين من الاديان واكتملت معرفتهم بالاديان البدائية الافريقية وديانات آسيا الكبرى البوذية والهندوكية ، والمسيحية ، والاسلام .

ونود ان نشير الى ان تناول المسلمين للديانات الاخرى قديم ومبكر ونطبق ذلك نجده فى كثر من الكتابات على سبيل المثال نجده لدى أبو المعالى الحسينى العلوى فى كتابه الذى ألفه بالفارسية (كتاب بيان الاديان) اشار الى دينانات السود ، والى أنهم يقرون بالعقائد واسم الله تعالى فى لغتهم فكوى ، حلوى ، وهو يؤكد اقرارهم بالله تعالى ونجد ذلك فى كثير من المؤلفات الاسلامية القديمة وهو يؤكد ايضا اشارة بعض الباحثين الاجتماعيين الغربيين الى ان تحول الكثيرين الى الدين الاسلامى يشكل ظاهرة امتاز بها التاريخ اجزاء مختلفة من افريقية . فى الالف سنة الاخيرة ، فهذا يعنى أن الاسلام والتقائه بالحضارة الافريقية ظاهرة قد يكون الغرض الملائم لها هو تناول الوضع الاجتماعى لممالك تشاد المختلفة ثم بيان أهم الافكار السائدة فيها وبعد ذلك نتعرض للعوامل والطرق المختلفة التى وصل بها الاسلام الى تشاد وأثرت فى المعتقدات والافكار الموجودة هناك وأخيرا نتناول حصيلة ذلك فى الفكر التشادى الاسلامى المعاصر .

اجتماعية فعلينا بدراسة المجتمع ولم يخطر بذهن علماء الاجتماع ان الديـــن أعلى من المجتمع أى ان الدين يخلق المجتمعات ويهدمها فان الدين حقيقـــة أولى يأتى قبل المجتمع • ولكن كيف الوصول الى تلك الحقيقة والى مصدرهـــا ؟ اذن لابد من توسيع البحث توسعـــا يخرجه من نطاق علم النفس والاجتمـــاع •

(١) وبالتالى شعر العلماء انه لابـد من منهجية ثالثة هى اقرب من الفلسفة من الاتجاهين السابقين علم النفس ، والاجتماع لكن يجب ان لاتكون منهجيـــة ميتافيزيقية كما كانت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر • وهذه المنهجيـــة تكون مهمتها التعرف على الدين وليس الحكم على الدين وقدمت (الفنومنولوجيا) هذا المنهج المطلوب ولم تطبق الفنومنولوجيا علـــى الدين الا فى الثلاثينيات من هذا القرن على يد (فندرليو) والمنهـــج الفنومنولوجى يقوم على عناصر أو خطوات أربعة :

١ــ تعطلق الحكم ومعناه ان على من يدرس اى دين أن يعطل ميوله فعلى المسيحى الذى يدرس الهندوكية ، والمسلم الذى يدرس الديانة الافريقية ان يعطى للظاهرة وحدها حق الكلام ويعطل معتقداتـــه هو عند التدخل •

٢ــ تختلف الظاهرة الدينية عن الاشياء المادية فهى لاتفتـــح للباحث ولا تتكشف له الا اذا اطمأنت انه يتعاطف معها فالمادة الدينيـة مصنوعة من آمال الناس ومشاعرهم وايمانهم بمستقبلهم وحكمهم على أنفسهـــم وهى أشياء حية وليست ميته فان لم أتعاطف معها فلن أفهمها •

٣ــ ولكى تفهم الحقائق الدينية يجب ان تحدد وتصنف مع غيرهـــا فى نظام فكرى عام وهذا يحتاج الى مبدأ يجرى التصنيف بمقتضاه فمن ايـن استقر هذا المبدأ ، قال الفنومنولوجيون ان هذا المبدأ يجب ان يأتـــى من الظواهر نفسها ، لكن هذا معناه النسبية المطلقة لكل دين ، الآ ان الحكم على الاديان ليست مهمة العالم فكل دين سواء أفريقى او سمـــاوى مسيحى أو اسلامى •

::: الفصـــل الأول :::

ملامح الفكر الافريقى الفلسفـــــى

ملامح الفكر الافريقى الفلسفى

الواقع أن الكشف عن جوانب التفكير الفلسفى لدى الافريقيين ، والاهتمام بدراستها دراسة موضوعية لم يبدأ الا حديثا فى منتصف الاربعينات من هذا القرن اذ كان معظم اهتمام الباحثين يتركز بصفة اساسية ومباشرة حول القضايا السياسية او الاوضاع الاقتصادية — والانثربولوجيا •

ولهذا بقيت المكتبة الافريقية لفترة طويلة خالية تماما من أى بحث او دراسة جادة تلقى لنا ضوء كاشفا على حقيقة التفكير الفلسفى لدى الافريقيين — ونعنى بهؤلاء الافريقيين شعوب جنوب الصحراء الى أن ظهرت فى عام ١٩٤٥ كتاب الاب بلاسيد تمبلز (فلسفة البانتو) الذى أحدث عن ظهوره ضجة هائلة تردد صداها فى كل الأوساط الفكرية العالمية •

وبعد كتاب الأب تمبلز أربعة مؤلفات جديدة على الفلسفة الافريقية سدت نقصا ملحوظا فى المكتبة الافريقية ، كان يشكو منه كل من يحاول التعرف على هذا الجانب فى حياة الشعب الافريقى •

وأول هذه المؤلفات كتاب بعنوان (اله الماء) وضعه عالم الاجناس الفرنسى مارسيل جريول وقد استقاه من شيخ افريقى كفيف حوالى ١٩٤٦ كان يمتلك كنز من الحكمة يقول جريول : " لقد أغرانى هذا الافريقى المسن بالبقاء الدائم معه ثلاثة وثلاثين يوما كاملة لا أذكر اننى أضعت منها دقيقة واحدة دون ان استفيد من هذا الفيلسوف الأمى • فقد فتح لى كنزا من المعرفة وأزاح النقاب عن كثير من الحقائق الفلسفية المطمورة التى كان عالم ما وراء أفريقيا يجهل كل شىء عنها • لقد شرح لى (نظام العالم) (وعالم ما وراء الطبيعة (وديانات شعب الدوجون)

ريشيف عالم الاجناس " ولكى أكون منصفا مصادقا أحب أن أسجل هنا أن المعلومات التى حصلت عليها من هذا الحكيم الافريقى قد هدمت كل النظريات التى سبق ان كوناها لانفسنا عن عقلية الافريقيين لقد روى افكاره بطريقة علمية منظمة وفى لغة شاعرية غنية بالصور البيانية الرائعة (١).

ولقد سارعت الكاتبة الألمانية ديترلين لتقوم بدراسة ديانات قبائل البمبار وقد استطاعت ان تقدم بالفعل بحثا علميا قيما تحت عنوان " مقال عن ديانة البمبار " استقبلته دوائر الجامعيين بالحماسة والتشجيع اللائقين •

وفى عام ١٩٥٣ اصدرت مايا ديرين الامريكية الجنسية كتابا عن (الهة هايتى الاحياء)والذى نشر فى كل من لندن ونيويورك فى وقت واحد •

أما آخر هذه المجموعة وهو من غير شك أهمها وأكثرها دقة وشمولا لموضوعه هو كتاب (فلسفة البانتو الرواندييين) ومؤلفه هو الدكتور اليكس كاجامى وهو عالم أفريقى أكاديمى وواحد من أبناء قبائل البانتو المثقفين دفعته دراسة الفلسفة الغربية الى ان يقوم بدراسة وتحليل نظام التفكير الفلسفى عند الافريقيين • واعتمد فى منهجه على طريقة الدراسة المقارنة • فكان يتناول قضايا الفلسفة الافريقية ويعالجها فى ضوء نظيرها من قضايا الفلسفة الغربية • ولأهمية هذه الدراسة وعمقها العلمى سارعت الاكاديمية العلوم فى بروكسل بطبعها ونشرها كما منحت جامعة جرجورى بايطاليا صاحبها درجة الدكتوراه فى الفلسفة بتقدير ممتاز •

---

(١) أنظر عبد الوهاب امبابى " ملامح الفلسفة الافريقية " العدد ٤٩ من مجلة الفكر المعاصر — القاهرة • مارس ١٩٦٩ ص٣٥•

والى جانب هذه المجموعة من الكتب الرائدة ، فقد ظهرت فى السنوات الاخيرة ايضا مجموعة أخرى من الدراسات المتنوعة حول هذا الموضوع كان معظم مؤلفيها لحسن الحظ من المثقفين الافريقيين أنفسهم ، وقد حاول كل من هؤلاء الباحثين ان يعرض لنا طابع التفكير الفلسفى لدى شعب أو آخر من شعوب أفريقيا ـ وهذه ظاهرة فريدة فى افريقيا ـ ان الأسس العامة للفكر الفلسفى تكاد تكون واحدة بين كل هذه الشعوب رغم اختلاف مواقعها الجغرافية ، وسنعرض هنا لهذه الاسس المشتركة التى تكون الاطار العام للتفكير الفلسفى لكل شعوب أفريقيا جنوب الصحراء التى تحتل حوالى ثلث مساحة القارة كلها ٠

•• ••

المقولات العامة للفلسفة الافريقية [1]

اذا كانت الفلسفة هى تعبير عن الواقع الاجتماعى والبناء العقلى لمجتمع من المجتمعات فى فترة تاريخية معينة كان معنى ذلك ان الفلسفة ترتبط بالارض التى تنشأت فيها وتصطبغ بلونها وكان معنى ذلك أنه بالامكان دراسة فلسفة يونانية فى العصور القديمة وفلسفة اسلامية فى العصور الوسطى وفلسفة أوربية حديثة وفلسفة وجودية فرنسية وبراجماتية أمريكية وجدلية مادية فى المانيا وروسيا الى غير ذلك وكان معناه ايضا وجود طابع مميز للفلسفة العربية مثلا والافريقية وهكذا .

وان كان ذلك صحيح فبامكاننا الحديث عن فلسفة أفريقية متميزة ذات مقولات خاصة بها واذا كانت المقولات عند أرسطو [2] هى الاجناس العالية التى تحيط بجميع الموجودات وعددها عشرة هى الجوهر ،والاضافة، والكم والكيف ، والمكان والزمان ، والوضع والملك ، والفعل والانفعال ، وكانت تعبر عن المنطق اليونانى وهى عند " كانط " التصورات الكلية الأساسية التى يتضمنها العقل الخالص ، وهى صور قبلية للمعرفة تستنبط من طبيعة الحكم فى مختلف صوره وتمثل الجوانب الاساسية

---

(١) بالفرنسى والانجليزى واللاتينية

(٢) لقد ميز ارسطو حين صنف العلوم بين علوم نظرية كالفيزياء والرياضيات وعلوم عملية كالاخلاق والسياسة والانتاجية كالشعر اما المنطق فقد عده مقدمة للعلوم وأطلق عليه اسم الجدل (الطوسيقا
والمقولات التى عنى فيها بتوضيح أنماء الوجود أوالاجناس القصوى التى تعرف بها اى شيء من الموجودات وقد عد الجوهر أول المقولات لأنه الموضوع الذى تحمل عليه المقولات .
أنظر د . أميرة حلمى مطر : الفلسفة عند اليونان دار النهضة العربية ١٩٦٨ ص ٥٨ حتى ص ٢٦٧ .

للتفكير النظرى الاستدلالى وتندرج تحت أربع أجناس كبرى هى الحكم ، والكيف والاضافة والجهة ولكل واحدة منها ثلاثة اقسام فيكون مجموعها ١٢ مقولة[1].

وهى عند ريغوريه تختلف عنها عند كانط ، وعند ماركس تختلف عنها عند هيجل وهكذا لأن المقولات تعبر عن التصورات الانطولوجيا والميتافيزيقيا لنظرة الفيلسوف للكون والحياة والمجتمع وبالتالى فهى تختلف فى الفلسفة الافريقية عنها فى الفلسفة اليونانية او الاسلامية وسنعرض لهذه المقولات الافريقية بالتفصيل كالاتى :ـ

١ـ المونتو ومعناها الكائن البشرى .
٢ـ الكينتو ومعناها شئ .
٣ـ الهانتو ومعناها الزمان والمكان .
٤ـ الكونتو وتعنى الكيفية او الشكل .

وكل كائن وكل عنصر فى الوجود مهما يكن شكله أو نوعه يتدرج بالضرورة تحت واحده من هذه المقولات الاربع . ولا يمكن ان يوجد شئ يخرج عنها كما انه لا يمكن ان نتصور الكائن او الشئ على انه مادة بل لابد أن نتصوره على أنه قوة . فالانسان " قوة " ولكل الاشياء قوى والزمان والمكان قوتان والصفات مثل الضحك والجمال والبكاء والخير قوى . فالجزء الاخير فى كل كلمة من الكلمات الاربعة وهى يعنى القوة العامة . ولا يمكن لهذا الجزء ان يوجد منفصلا عن اى منهما . فالمنتو هى القوة التى تنمو فيها الكائنات بعضها مع البعض . وربما يمكن القول أيضا ان المنتو هى النقطة التى تبدأ منها عملية الخلق ويتضح من ذلك تميز هذه المقولات الخاصة بالفلسفة الافريقية واختلافها عن مقولات الفلسفة اليونانية ومقولات الفلسفة الاسلامية وربما تدخل معها فى حوار حول معانى

---

(١) انظر د . جميل صليبا : المعجم الفلسفى المجلد الثانى ص ٤١٠ـ٤١١ .

بعض المقولات • مقولة المونتو مثلا التى تعنى الكائن البشرى
والتى ربما تكون قريبة من معنى الآنية أو فى فلسفة هيدجر
الا أنه ليس لها وجود فى مقولات أرسطو او كانط او غيرهم
حقا ربما نجد لها شبيها فى مقولتى الفعل والانفعال عند ارسطو الا أنهـا
بالطبع لا تستغرقهما فمعناه أوسع هنا •

وجمع مقولتى الزمان والمكان فى مقولة الهانتو
هذا الجمع غير موجود عند كل من ارسطو أو كانط بل قد يعترض
عليه فيلسوف مثل برجون فى نظريته عن الديمومة التى ينتقد فيها كل التصورات
المكانية للزمان فالزمان يختلف عن المكان وهناك نوعين من الزمان زمـان
خارجى وزمان باطنى والزمان الحق الباطنى يختلف عن فهم الفلسفة الافريقية
للهانتو • وهكذا وهذا يعنى ان للفلسفة الافريقية خصوصيتها وتميزهـا •
ويميز د • كاجامى بين المقولات الأربعة فكلمة مونتـو
التى تعنى الكائن البشرى تشمل الأحياء والاموات وهـى
القوة التى تمنحه الفاعليـة •

أما الكينتو ومعناها شئ فهو قوى لاتستطيع ان تتصرف
وحدها الا بأمر الـ سواء أكان حيا أم ميتا ويتدرج مقولـة
الـ كل من النبات والحيوان والمعادن والالات والاشياء التـى
تستعمل استعمالا استهلاكيـا •

والكينتو قوة مجمدة ليست لها أرادة ذاتية وليس هناك من استثنـا •
لهذا النظام سوى بعض الاشجار التى تعتبر طرقا توصل الى الالهـة
اذ تتـدفق داخل هذه الاشجار قوة للكلمة الاولى اى كلمة للاجداد • فهذه
الاشجار هى الطريق الذى يسافـر من خلاله الموتى والالهة لكى يصلوا الـى
الاحياء ولذلك يرفعها (" الهانتو " شعب جنوب الصحراء) الى مرتبـة
مقولة الـ ولعل هذا يفسر لنا سر تقديم شعوب البانتو أثمـن

القرابين لهذه الاشجار لانها فى نظرهم مستودع الالهة وأرواح الاجداد وهـذا ما يفسره البعض بالتصور العضوى للكون او النظرة الحيوية للعالم.

والمقولة الثالثة هى الهانتو   وتعنى الزمان والمكان وهى القوة التى تصنع المكان والزمان لكل حدث ولكل حركة . ومادامت كل الكائنات قـوة فان كل شئ فى الوجود يكون دائما فى حركة مستمرة وارتباط الزمان والمكـان شئ طبيعى فى الفلسفة الافريقية . ذلك ان الشخص الذى يتطلع الـى الساعة يقرأ الوقت بواسطة وضع العقرب اى باتجاه المكان وهى مقولـة تتميز عن التصور البرجونى للزمان كما اشرنا .

والمقولة الرابعة هى الكونتو   اى الصفة او الكيفيـة . وهى أيضا تتمتع بالقوة الفاعلة ويرتبط بالمقولات عرض تصورنا لمفهوم الالـه فى الفلسفة الافريقية .

الالـه فى الفلسفة الافريقيـــــة

أثار مفهوم الاله فى الفلسفة الافريقية كثيرا من الجدل بين معظـــم الباحثين الذين تناولوا هذا الجانب الاساسى فى التفكير الافريقى • يقـــول الأب تمبلر أنه المونتو الاعظم هو الانسان العاقـل الحكيم الذى يعرف كل الاشياء • والذى خلق كل قوى هذه الاشيـــــا • وهو القوة نفسها التى لها قوة داخل نفسها أنه الخالق الاول والولــــد الأول •

بينما الاستاذ مارسيل يؤكد ان مفهوم الاله فى الفلسفـة الافريقية يدور حول تصويره على أنه مزيج من الروح والمادة •

هذا وسوف نتناول بالعرض والتحليل مفهوم الاله ـ الوطن ـ لدى الديانة الوثنية القديمة فى تشـاد كما تمثلت فى الاله كلك وذلك فــــى الفصل الخامس من هذا البحث •

•• ••

مفهوم الموت في الفلسفة الافريقيــــــة

ويرتبط بتصور الاله والحياة مفهوم آخر هو مفهوم الموت ، في الفلسفة الافريقية لايعني انتهاء الحياة بل هو استمرار لها في صورة اقل قوة ،اى ان الميــــت لاينفصل عن الوجود الاول ولا ينقطع عنه ولكن يعيش بعد وفاته في حالة تقــل فيها قوة الحياة ، وتبدأ الحياة حين يتحد الظل مع الجسد ثم يتحد بهمـــا في نفس الوقت شيء ثالث تسميه شعوب البانتو ال   اى القـــوة الروحية وهي القوة التي لاتموت بانتهاء حياة الانسان على الارض بل تظـــل باقيــة وخالدة • واستمرار الحياة بعد الموت حقيقة مؤكدة في الفلسفـــة الافريقيــة عبر عنها الشاعر الافريقي الفيلسوف (بيرا جوديوب) في قصيدة كاملة بعنوان (الموتى لايموتون) •

ان هؤلاء الذين ماتوا لم يذهبوا ابدا •
انهم هناك في الظلال الكثيفة •
الموتى ليسوا تحت الارض
انهم في الاشجار التي تصدر الحفيف
في الاخشاب التي تحترق •
في المياه التي تجرى •
في المياه التي تركد ساكنة •
انهم في الكوخ انهم وسط الجماهير •

الى ان يقول :

ان هؤلاء الذين ماتوا لم يذهبوا
انهم في الغابة ••• في المنزل
الموتى ليسوا موتى •

ونرى هذا المعنى ايضا موجود في كل الحكايات الشعبية التي يرويهـــا الشيوخ لاحفادهم عن الاسلاف السابقين ـ والعلاقة الداخلية بالموتـــى هي أوضح ما تكون في اشعار سنغور بالذات[1] ويرتبط هذا الفهــــم بالموت البعث واستمرار الحياة •

ويقول كاجامي بعد ذلك " ان كل شخص حي توجد عنده دائمـا رغبـة داخليـة في أن يعيش الى الابد • ولكن بما ان الموت لابد منـــه فان الشخص يمد وجوده كشخص حي في أحفاده "•

(١) ايبولد سنجور : مختارات من آثاره ص ٧٨ ـ ٨٠

المشكلـــة الاخلاقية والديــن

والمشكلة الاخلاقيــة وارتباطها بالدين قضية هامة لايمكن الحديث عن الفلسفة الافريقية دون كلمة عنها لانها جزء اساسى فيها • وهذا محور بحثنا الحالـــى فالافريقيين لايتخلون عن هذا الايمان التقليدى بأفكارهم الدينية (الحيويـــة) فالذى يتحول منهم الى الاسلام او المسيحية مثلا يظل يقوم بعملية التكييــــــف بين موروثاته الدينيــة وبين أفكار الدين الجديد الذى اعتنقه كما سنتنـــاول ذلك فيما بعد •

النظرية الافريقية التقليدية عن العالم من أكثر النظريات انسجامـــا ، وهذا الانسجام على حد تعبير الكاتب النيجيرى ـ " ادييايو اديسينا " ـ ليس مجرد توفيق بين كل الانظمة بل هو الاساس الجوهرى للتفكير عند الافريقى •

لذا لانجد عند الافريقى ذلك القلق والتمزق الموجود لدى الانســان الغربى الوجودى ـ الذى يحيا فى فترة انهيار الحضارة الغربية هـــــــذا الانسجام الذى ربما يكون مصدره تحمل قوة الطبيعة والرغبــة فى الحيــــاة والتوافق بين الفــرد والحياة ـ هذه الظاهرة (الانسجام) التى تمثـــل طابعا خاصا يتميز به التفكير الافريقى قد لايكون لها نفس الدور فى تفكيـــر المجتمع الاوربى فى العصور الوسطى • عداء وعدم انسجام بين الكنيسة والعلم• والعصور الحديثة عملت على اقصاء فكرة الرب وطمس معالمها فى التفكير العلمى • لكن مثل هذا التفكير لايمكن ان يكون له وجود فى التفكير الافريقى حيث يعتمد كل من الايمان والعقل على الآخر • وحيث تشكل فكرة الرب جزءا لايتجزأ مـــن من حياة الافريقى فى كل بعد من أبعادها مادام الانسجام بين كل الانظمـــة هو الاساس الجوهرى للتفكير عند الافريقيين • وهو العامل الاساسى لتقبـــل شعوب افريقيا عامة وتشاد على وجه الخصوص لتقبل الدين الاسلامى والتفاعـــــل معه كما سيتبين فيما بعد •

أما الآن فستكون المهمة هى عرض للحياة الاجتماعية والاقتصادية لممالــــك تشاد الاسلامية ثم فى الفصل الثالث طرق الانتقال الاسلام اليها •

(٣٤)

:: الفصـــل الثانـــى ::

تشـاد قبـل الاســـلام


مصر
ليبيا
تشاد
النيجر
السودان
نيجيريا
الكاميرون
أوبانجي ـ شارى
الكنغو البلجيكي
جابون
الكنغو الأوسط
المحيط الاطلنطي
أنجولا

الفصل الثاني

تشاد قبل الاسلام

تقع تشاد جغرافيا فى وسط أفريقية • ويحدها من الشمال ليبيا ومن الغرب النيجر ونيجيريا ومن الجنوب الكاميرون وأفريقية الوسطى ومن الشرق سودان وادى النيل وتبلغ مساحتها ١٫٢٨٤٫٠٠٠ كم٢ (١) • كما يبلغ عدد سكانها أربعة ملايين نسمة • وتشاد بلاد مغلقة لا سواحل لها تبعد عن الساحل بألف ميل ، الا انها تتمتع بإستراتيجية عظيمة لموقعها الجغرافى ، ووضعها الحضارى فقد كانت ممرا للتجارة والحضارة الغربية والشرقية ، بين ساحل البحر المتوسط وقلب افريقية • وهذه البلاد مجموعة من الممالك تحيط ببحيرة تشاد التى تبلغ مساحتها ٢٤٠٠٠ كم٢ مربع• وهنالك من نتائج الحفريات التى أجريت فى حوض تشاد ما يؤكد ان المنطقة

---

(١) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط • الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٤٠٧ وأيضا دكتور فيليب رفله الجغرافيا السياسية لافريقيا مكتب الوعى العربى – القاهرة ١٩٦٥ ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ •

كانت معبرا حضاريا بين حضارات وادى النيل فى جزئية الادنى والاوسط (١)

ويرجع اصل كلمة تشاد الى العرب الذين أطلقوها على البحيرة

فى القرن الحادى عشر الميلادى الخامس الهجرى ، وجاء منها اسم البلاد (٢)

فقد اتخذت تشاد تسميتها من البحيرة الشهيرة التى تقع فى حدودها

الغربية .

---

(١) احمد شلبى : التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية الجزء السادس مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٧٥.

(٢) ان كلمة تشاد أطلقها العرب على البحيرة فى القرن الحادى عشر الميلادى عندما هاجر العرب من الجزيرة العربية الى تشاد / وهذه الكلمة لها ثلاثة تفسيرات :

أ ـ تشاد : البحيرة التى أطلق عليها اسم شاد تفيض فى موسم الخريف بمياه الامطار الغزيرة التى تنحدر اليها او تصب فيها من الانهار خاصة نهر شارى ، ونهر لوجون ونهر السلاميات وبحيرة فترى فيفيض ماؤها وتملأ جوانبها فيقال عنها : شت ماء البحيرة اذا فاض .

ب ـ اتخذ العرب الرحل من ضفاف هذه البحيرة منازل اصطياف لهم فسموا أماكنهم هذه بفريق الشاطئ او منازل شاطئ البحيرة فأدمجت الشين تاء والطاء دالا فصارت تشاد بدلا من شاطئ فالمعلوم ان قبائل هذه المنطقة لاتحسن نطق العربية فقالوا تشاد بدلا من شاطئ .

جـ ـ تفسير آخر اتخذت تشاد تسميتها من البحيرة الشهيرة التى تقع فى حدودها الغربية .

وبحيرة تشاد أخذت تسميتها من اسم نوع الاسماك غنى بالمواد الغذائية ويكثر وجوده فى هذه البحيرة .

احمد شلبى ص ٦٠٨ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية جـ ٦ .

وتتكون جمهورية تشاد الحالية تاريخيا من ثلاثة ولايات هى : الكانم ، وداى ، والباجرمى .. وتقع هذه الولايات فى شكل يتمشى مع التقسيم المناخى (١) وهى تشمل ثلاثة أقاليم سياسية كبرى هى :ـ

أ ـ ولاية الكانم أو كانم ، وتقع شمال غرب بحيرة تشاد .

---

(١) تقع هذه البلاد فى شكل يتفق والتقسيم المناخى ، وتنقسم اقساما ثلاثة : الاولى من ٢٢ ـ ١٨° شمال خط الاستواء ، وهذا الاقليم فقيرة فى النبات نادر السكان به مرتفعات تبستى البركانية وتسكنه قبائل الهتو ، والتدا والقرعان ويمتد الاقليم الثانى بين خطى عرض ١٨ ـ ١٥° شمالا ويعتقد ان الاقليم بين تشاد وبرقو وبحيرة فترى كان على صورة منخفضة كبيرة تملؤه مياه الامطار فى العصر المطير فى الصحراء الكبرى ، وتخلفت عن هذا المنخفض الكبيرة بحيرة تشاد ثم بحيرة فترى وتوجد به منطقة كانم شمال شرقى بحيرة تشاد مباشرة وتوجد وادى على خط مستقيم مع بحيرة تشاد .

ويأتى بعد ذلك الاقليم الثالث الذى يدخل فى أقليم السفانا والاقليم الثالث يمتد جنوب درجة العرض ١٥ شمال خط الاستواء حتى ٨ ، وفى هذه المنطقة توجد باجرمى جنوب بحيرة تشاد وحول نهر شارى .
الدكتور / فليب رفلة ، الجغرافيا السياسية لافريقيا ، د . فيليب رفله : المرجع السابق ص٤٧٢ ، الشاطر البصيلى ص ٤٠٦ ـ ٤١٠
وبالاضافة لهذا التقسيم هناك تقسيم جغرافى يقسم تشاد الى عدة اقاليم رئيسية هى :
أ ـ الاقليم الغربى المتاخم لبحيرة تشاد : ويشمل منطقة كانم وجزائر بحيرة تشاد وبحر الغزال وبحيرة الفترى وتمثل أقليم السفانا والاستبس وهذا الاقليم عامر بالسكان الذين يحترفون الرعى والزراعة .
ب ـ الاقليم الشمالى قايا لارجو : وهو الاقليم الصحراوى المتاخم لليبيا ويمتاز بمرتفعاته العالية .
حـ ـ الاقليم الشرقى المجاور لدارفور : وهو الاقليم الذى يبدأ من نهاية أقليم كانم وبحر الغزال ويمتد حتى منطقة وادى الشرقية ، والعاصمة الاسلامية لهذا الاقليم هى ابشه
د ـ الاقليم الجنوبى : ويشمل المنطقة المجاورة لافريقية الوسطى وهو يتكون من منطقة حوض لوجون الاوسط ، ونهر بار اهات

ب ـ ولاية الواداى : وتقع غرب دارتو مباشرة وتعرف بدار واداى.

حـ ـ ولايـة الباجرمى (الباقرمى) وتقع غرب الواداى .

وقد قامت فى هذه البلاد ممالك اسلامية قوية . ارتبطت تاريخهـا بالاسلام والعروبة وهى التى تكون جمهورية تشاد الحالية . وسيكون مـدار هذا البحث عن انتشار الفكر الاسلامى او بمعنى دقيق انتشار فلسفـة الاسلام فى تشاد . وان كنا سنتطرق الى الحديث عن هذه الممالـك فلن يكون حديثنا عنها تاريخيا او جغرافيـا الا بقدر ما يخدمنا فى توضيح صورة الفكر الاسلامى فى افريقيا . ونتعقب المعارك التى خاضهـا المسلمون العرب مع البربر والقبائل المختلفة . وانما سنكتفى بالاطـار العام الذى يحدد لنا المراحل الرئيسية لهذا الفتح ويبرز امامنـا أسماء أهم الشخصيات التى ارتبط تاريخ الفتح بهم . لكى نحـدد صورة فلسفة الاسلام عامة وجهد المفكرين المسلمين التشاديين خاصـة فى مجالات الفقه والتصوف والفلسفة .

سنتناول هنا الإسلام فى الممالك التشادية المختلفة لنستخلص من ذلك العوامل التى ساعدت على انتشار الفكر الاسلامى وفلسفـة الاسلام فى تشاد والاقاليم التشادية ثلاثة هى كانم وواداى وباجرمـى سنتناولها هنا بهذا الترتيب : الا انه يجب التنبيه على ان تناولنـا للاقاليم المختلفـة قد اضطررنا اليه للظروف التاريخية التى مرت بهـا هذه الممالك وهذا يعنى تفتيتا لوحدة تشاد . وكما سيتضح انـه

كان هناك كثير من الحروب بين الحكام لكن هذه الحروب لم تمنع أبدا من تلاقى هذه الاجزاء معا فى وحدة على حدة .

أولا — مملكة الكانم (١)

تقع مملكة الكانم شمال شرق بحيرة تشاد وتبلغ مساحتها ٢٧٠٠٠ كم٢ ، وتضم أكثر من ١٥٠٠٠ نسمة فى الوقت الحاضر ، وهى مملكة قديمة معروفة . نشأت حول بحيرة تشاد ثم اتسعت فشملت مناطق أخرى شرقا وغربا وقد وصل الاسلام الى هذه المملكة من مصر (٢) وذلك بعد فتح شمال أفريقية بقليل . يفيدنا فى ذلك اليعقوبى فى تاريخه حين يتحدث عن مملكة كانم فيقول : " وقد انتشر الاسلام فيها كثيرا " ويسكنها الآن من (أولاد سليمان) و (الكانمبو) وبعض القبائل الاخرى .

وبالنسبة للفظ كانم ، فهى تدل على جنس من السودان فيقال بلاد الكانم أو مملكة الكانم كما قيل صاحب الكانم . ومدلول هذه

(١) القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى .

(٢) سير توماس أرنولد الدعوة الى الاسلام . بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية ترجمة د. حسن ابراهيم حسن . وعبد المجيد عابدين . اسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ص ٣٥٧

(٣) ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب . مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر — القاهرة ١٩٧١ ص ٤ — ٦

الكلمة لم يقتصر على الاشارة الى المكان او القبائل المشهورة بهذه الاسماء انما صار يعنى كذلك المواضع او المناطق التى تقيم بها هذه القبائل[1] وقد تحدث عنها كثير من كتاب العرب القدماء[2]. ويرجع تاريخ ظهور مملكة الكانم الى الازمنة السحيقة • غير ان التاريخ المحقق لظهورها

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس: المرجع السابق ص

(٢) د • ابراهيم على طرخان : امبراطورية البرنو الاسلامية • الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ٦ •
وأيضا انظر كل من : التعريف بالمصطلح الشريف ص ٢٩، مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٠ ، صبح الاعشى فى صناعة الانشا جـ ٥ ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، معجم البلدان جـ ٧ ص ٢١٠ •
وأيضا اليعقوبى فى تاريخه جـ١ ص١٥٦ـ ١٥٧ ، يقول ياقوت الحموى فى (٦٢٦ هـ ١٢٢٨م) فى معجم البلدان جـ ٧ ص ٢١٠ " كانم بكسر النون من بلاد البربر فى أقصى المغرب من بلاد السودان " ، ويقول العمرى ت (٧٤٩هـ ١٣٤٨م) " وبلادهم (أى الكانم)بين أفريقية وبرقة وتمتد جنوبا الى سمت الغرب الاوسط وتبدأ هذه المملكة من جهة مصر مدينه دالا أوزالا وآخرها بلدة كاكا ، وبينهما شهور ثلاثة " •
مسالك الامصار جـ ٢ ورقة ٤٩٠ • هذا ومع ان عدد كبير من كتاب العرب قد تعرضوا لها الا انهم لم يتركوا لنا تحديدا واضحا لهذه البلاد نستطيع الاخذ به •

(٣) د • ابراهيم على طرخان• امبراطورية برنو الاسلامية • الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ٤٦

يرجع الى حوالى القرن الثامن الميلادى ثم نمت واتسعت خلال القرنين التاسع والعاشر ٠

وقد ذكرت كتب التاريخ ان شعب الساو العمالقة الذى تعد حضارته من أعظم حضارات العالم تشبه الحضارة الفرعونية فى الوقت والطقوس الدينية والحفريات المنقوشة بجبل التبستى والاندى ٠ يبدو ان شعب الساو عاشوا على شكل جماعات من الصيادين والمزارعين الى ان تعرضوا لغزو الزغاوة (١) ٠ وقد اكتشف غرب جنوب (فايا لارجو) جمجمة انسان لم يكتشف بعد الا فى جنوب افريقية فقط ويؤكد هذا الجزء ان هذا العنصر البشرى سيطر دون شك على كل أفريقية ٠ فالنحت على الصخور والرسوم المنقوشة والادوات الفخارية ٠ على ان هؤلاء الصيادين مروا على جبال التبستى البركانية العالية وجبال الاندى منذ ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح (٢) فى فترة كانت الصحراء اشد اخضرارا من الآن ولاريب أنهم تركوها الى مكان آخر والادلة منحوته على صخور جبال التبستى والاندى وقد اشتهر هذا الشعب بالحفريات ٠ والطقوس الجنائزية (٣)٠

---

(١) معجم البلدان ج ٧ ص ٢١٠ والمقريزى الالمام ص ٢١ ــ ٢٤ ٠ والادريسى فى نزهة المشتاق ص ١١ ــ ١٢ والتونسى فى تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان تأليف محمد بن عمر التونسى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر القاهرة ٦٥

(٢) انظر ديشان الديانات فى افريقية السوداء ص ٢٧ ــ ٣١ ــ ٣٩

(٣) ابراهيم طرخان امبراطورية برنو الاسلامية ص ٢٠

ويقال ان شعب الساو وهم السكان الاصليون لمعظم الاقليم الواقع بين واحة يو الواقعة شمال التبهستى وبين نهر شارى جنوب بحيرة تشاد والرواية الاخرى يقال أنهم جاءوا من فزان الى تشاد فى القرن الثامن الميلادى ويحدد ارفوى تاريخ هجرتهم الكبرى فى القرن الثامن الميلادى ويقول أنهم انتشروا فى منطقة السافانا الممتدة شمال البحيرة ثم استقروا أخيرا فى أقصى جنوب البحيرة فى أقليم برنو غرب البحيرة كما يقال أنهم من أصل سلالة شعب الهكسوس فى الملامح والتشابه فى الشكل والدور الذى لعبه الساو فى أفريقية وسلالة الهكسوس فى مصر حيث يمتاز هؤلاء بطول القامة الا ان الاساطير القديمة تبالغ فى ابراز صفة الطول حتى قيل ان الواحد منهم لايقل عن عشرة امتار وأن أصواتهم عالية مزعجة وأنهم لايصطادون الا الحيوانات الضخمة مثل الفيل والزرافة وفرس البحر ويستطيع الواحد منهم حمل هذا الحيوان الى مكان آخر وكانوا اصحاب حضارة عظيمة صنعوا فيها من النحاس كثيرا من الاشكال المختلفة والادوات . وهذه الادوات استعملت للزينة وخاصة التماسيح والغزلان يتخذونها رمزا مجسدا لقوة الاله الاعظم مقدسه ومباركة . ومن المؤكد ان دياناتهم تمارس عبادة التماسيح والغزلان اثبت ذلك من دراسة معهد التافو وانظر كذلك جان بول (١) ونقلا عن كتاب امبراطورية برنو الاسلامية (٢).

---

(١)

(٢) امبراطورية البرنو الاسلامية تأليف دكتور ابراهيم على طرخان . ص ١٩ ـ ٢٠

ويمكن ان نتبين من هذه المجموعات من سكان منطقة تشاد قبائل

الساو او . أو أو أو أو

والمعروف قليل عن اصول هذه القبائل وتحركاتها واستقرارها فى تلك البقعة

يقول الرحالة بارث ان الساو أحد اقسام الفولانيين وانهم

السكان الأصليون لمعظم الاقليم الواقع بين واحة يوأو واو

الواقعة شمال تبستي وبين نهر شارى جنوب بحيرة تشاد .

وتقع واحة واو ، فى المنطقة التى عرفها العرب باسم ودان .

وعن بالمر : ان اول سكان كاوار هو

الساو ، ويفسر كلمة ساو بمعنى " العمالقة " ويذكر كذلك انهم جاءوا

اصلا من فزان .

وحاول بعض الكتاب ان يرد اصول الساو الى سلالة الهكسوس على

اساس التشابه فى الخلقه والدور التاريخى الذى قام به هؤلاء فى قلب

أفريقية وأولئك فى مصر ، ويميل العالم الاثرى الفرنسى لوبيف

الى الاخذ بهذا الرأى .

والمحتمل ان هؤلاء الساو من اصل نيلوتى ، أى من حوض

النيل .

كون هؤلاء العمالقة دولة لهم قبل مطلع القرن التاسع الميلادى

تقريبا ، ومركز هذه الدولة مدينة البلماء

فى واحة كاوار ، وكانت هذه المملكة خاضعة لملك الزغاوة فى كانم .

يقول ياقوت :

" كاوار ناحية واسعة جنوبي فزان ، بها مدن كثيرة ، فيها قصر ام عيسى ، وأبو البلماء والبلاس وأكبر مدنه ابو البلماء ، وألوان أهلها صفر ، يلبسون ثياب الصوف وفي بلادهم اسواق ومياه جارية ونخل كثير ولهم سلطان في طاعة ملك الزغاوة "

وعن أساطير الساو : جاء سلطان البربر الى بلاد ملك اساو في البلماء وطلب منه ان يمنحه ارضا ليستقر فيها مع قومه لم يجبه ملك اساو وانما تناول قضيبا ضخما طويلا من الحديد ، وطواه بيده حتى جعل منه دائرة كبيرة بلغ قطرها نحو مائة ميل او أكثر ويصل طرفها الشمالي الى بجها شمال كاوار ، وطرفها الجنوبي الى بلاد ديبلا ثم اذن السلطان البربر في الاقامة وقومه داخل نطاق هذه الدائرة والمقول ان هؤلاء البربر كانوا من قبائل التيبو او التدا المسلمين ، وأن هجرتهم هذه كانت كبيرة وقتها حدثت بعد عام ٨٠٠ م .

وقد دلت الحفريات الاثرية الحديثة التي قامت في الفترة مابين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ م ، ولم تتم بعد على وجود حضارة قديمة الساو ، قام بهذه الحفريات الاثريون الفرنسيون ، ماسود وتروس ولوبيف ( ) وبعد ان تم جمع الاثار التي عثروا عليها وبعد تمام فحصها ودراستها وتنسيقها في عام ١٩٥٠ م اتضح ان هناك اتصالا ثقافيا كبيرا بين وادى النيل ومنطقة النيجر .

ومن ابرز خصائص حضارة الساو : بناء المدن وصناعة المعادن من النحاس والحديد والبرونز فضلا عن أعمال الفخار الجميل المتقن ومن روائع فنونهم رؤوس الكباش التى صنعوها من الفخار والمناظر الرائعة التى تمثل صور الحيوانات ومشاهد الالعاب الرياضية واشتهر الساو كذلك بالطقوس الجنائزية المعدة كذلك من ابرز خصائص حياتهم الاجتماعية سمو منزلة النساء حتى كان لهن نفوذ كبير فى حكوماتهم .

ويبدو ان الساو وقفوا من كوشى كما وقفت كوشى من مصر ، اى انهم نقلوا حضارة كوش بخصائصها الى منطقة تشاد ، أقاموا نموذجا من الحياة يعتبر جديدا على البلاد التى نقلوه اليها ، كما هو الشأن بالنسبة لكوش يوم نقلت الحضارة المصرية القديمة الى السودان الشمالى .

هل معنى هذا ان الساو كانوا من المهاجرين ام من سلالة المهاجرين الذين غادروا مروى على أثر تحطيمها على يد الاحباش الاكوميين فى القرن الرابع الميلادى ؟ .

وعندما قامت امبراطورية البرنو فى كانم مهدها الاول ، كان الساو يمثلون قوة لها خطرها كما كانت لها خطورتها على الدولة الناشئة فعلى الرغم من خضوع الساو لملوك كانم ، الا أنهم كانوا كثيرى الخروج والثورة على برنو ، بل ان التصادم مع قبائل الساو كان السبب الرئيسى فى وقف اتساع كانم ، كما امسى من أكبر اسباب ضعف الاسرة الحاكمة فى كانم ، وبالاضافة الى خطر البولالا BOLALA عجز

ملوك الاسرة السيفية فى كانم عن مقاومتهم مما اضطرهم آخر الامر الى الهرب من كانم شرقى تشاد الى برنو الغرب •

وتنسب الحكومة الاولى التى قامت فى أقليم كانم الى قبائل الزغاوة[١] التى يرجع اليها ـ تأسيس مملكة البرنو الاولى فى أقليم كانم[٢] وهى تقيم حاليا فى أقليم واداى شرقى بحيرة تشاد • وهى اصلا قبيلة من قبائل المرابطين الملثمين بشمال افريقية من الطوارق أو على الأقل على صلة وثيقة بهم • فقد عاشت هذه القبيلة على الحافة الجنوبية للصحرا • الكبرى حيث أختلطت كثيرها ـ بالزنوج المقيمين فى وديان برنو جنوب غربى بحيرة تشاد واندمجت فيهم كما ان اقربائها من البربر تحكموا فى واداى شرقى تشاد ولم تلبث الزغاوة ان بسطت سلطانها على منطقة تشاد وكونوا طبقة ارستقراطية تحكم البلاد • وكان الزغاوة على وثنيتهم حتى النصف الاول من القرن الحادى عشر وبعد ذلك بدأ الاسلام يتسرب اليهم عن طريق الهجرات المتكررة للطوارق والعرب من

---

(١) ويقال ان الاسرة السيفيه ترجع الى بيت الزغاوة وقد امتدت ـ سيطرتها الى النيجر والواداى وبلاد الهوسا • البصلى حـ ٤١٤/٤١٥ • انظر ايضا : د • ابراهيم على طرخان ـ امبراطورية برنو الاسلامية ص ٥٠

(٢) ويرتبط تاريخ الكانم وبرنو فى كثير من المراحل ويختلط تاريخ المملكتين سويا نظرا لارتباط كل منهم جغرافيا من جهة ونظرا للحروب المستمرة بينهما بحيث كانت امبراطورية كانم تسيطر وتقيم فى برنو مرة ثم تعود برنو لتقوى وتستولى على كانم مرة ثانية • ولقد تجاورت الامبراطوريتان وتعاصرتا وامتزجتا تاريخهما فى كثير من فترات التاريخ القديم والحديث • فحكام كانم وقت =

الشرق والغرب . وتواجد هذه القبيلة فى تشاد على رأس السلطة فى المملكة وهذا يثبت العلاقة القوية بين الشمال الافريقى وبين تشاد[1] .

ويعتبر شمال أفريقية مدخلا طبيعيا هاما لدخول الاسلام الى القارة الافريقية فمنه استطاع المسلمون ان يمهدوا الطريق امام حركة انتشار الاسلام نحو الجنوب الى الصحراء . والى أبعد من هذا الى أعماق افريقية الاستوائية . فقد أخذ المسلمون من الغرب على عاتقهم مهمة نشر الاسلام فى تلك المناطق وأصبحت المراكز الاسلامية فى الغرب افريقية وفى افريقية فى جنوب الصحراء وحوض بحيرة تشاد صورة مصغرة لحضارة المغرب . وقد ساعد البربر وبخاصة تجارهم فى الدعوة للاسلام بين القبائل السوداء التى تقطن الصحراء [2]. ومعنى ذلك أن الاسلام قد وصل الى كانم عن طريقين : أولا من مصر . ثانيا من شمال أفريقية كما يثبت ذلك المصادر التاريخية المختلفة قديما وحديثا .

وبعد الزغاوة وحوالى مطلع القرن التاسع قامت اسرة حاكمة جديدة فى كانم تسلمت مقاليد الامور وهى اسرة الماغوميين

= الضعف يهربون الى برنو ويحتلون مكان الصدارة والحكم بها ثم يرجعون الى كانم ليستردوا سلطانهم " انظر احمد شلبى "موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٦ ص ١٣٦/١٣٧ والحك

(١) انظر فى ذلك د . يحيى هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام فى الشمال الافريقى جـ ١

(٢) انظر كل من برنار لويس : العرب والمسلمون فى افريقية . القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ص ٢١ . وعبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا . معهد الدراسات الاسلامية ص ٦

من البربر البيض وهي التي انتحلت فيما بعد النسبة الى سيف بن ذي يزن الحميري . وهؤلاء من أبناء عمومة الزغاوة وكلا الفريقين اللذين حكما الكانم الزغاوة والماغوميين من نبلاء الطوارق .(1)

والخطر الذي أدى الى انهاء حكم الماغوميين من العاصمة جيمي في كانم فهو خطر ابناء عمومتهم البولالا وهم فرع من الاسرة المقول بأنها سيفيه . ومعنى كلمة البولالا أحرار الطوارق او نبلاء الطوارق أي أنهم من الطبقة التي تنسب اليها الاسرة الماغومية ويقال أنهم من العناصر التي نتجت عن مظاهرة الشوا وهم العرب المقيمون في منطقة تشاد(2) مع أهالي البلاد الوطنين السود .

ان أتصال العرب بكانم يرجع الى القرن التاسع الميلادي . وذلك قبل دخول أهالي كانم الى الاسلام بنحو قرنين . يقول الاستاذان — (رولاند أولينو) و (جون فيج) في كتابهما تاريخ افريقية .

" لقد اتصل العرب في القرن التاسع بـ (غانا) وكانم وبعد قرنين دخل ملوك كانم في الاسلام . وذلك بسبب اتصالهم بمصر " .

وجاء في كتاب البكري جـ ١١ " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب) : ان قوما من بني أمية صاروا اليها اى الى الكانم عند

---

(١) د . ابراهيم على طرخان : امبراطورية برتو الاسلامية ص ٥٥

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ ، وانظر ايضا التونسي تشحيذ الازهان .

محنتهم بالعباسيين " وعلى كل حال فان اتصال العرب بـ (كانم) أمـــر محقق لايشك فيه أحد ٠

وتكاثر العرب فى كانم فى الفترة الواقعة بين القرنين ١٤ ، ١٥ ولم يمض القرن السادس عشر حتى أصبح العرب أقوياء فى تلك المنطقـــة ، يتصرفون بحرية كما بدأ زعمائهم يقومون بدور الوسيط بين القبائل الســـود المتنازعة فى تلك البلاد ٠

وتبعا لرواية متداولة عند الهوسا [1] يقال ان شخصا يعرف باسم : أبى يزيد الغزازى كان يدعو الى الاسلام فى كانم وبرنوا فى نهايـــة القرن انسابع ومطلع القرن الثامن الميلادى وخلال القرن التاسع الميلادى وما يليه جاءت وفود المسلمين المهاجرين عبر الصحراء نحو الجنـوب ومنهم قبائل التيهوا والتيدا الذين هاجروا الى كانم بعد حوالى عـــام ٨٠٠ م ٠ ويقال أن هؤلاء التيهوا كانوا من المسلمين الذين استطاعـوا ان يحتلوا جزءا من كانم وأن يهزموا الزغاوة وأن ينشروا السلام ويعاصـر استقرار التيهوا فى كانم قيام الاسرة السيفية التى اعتبرت نفسهـــا حامية الاسلام ٠

وعلى ذلك نستطيع ان نقول ان الدعوة الاسلامية قد جاءت الـى بلد الكانم ، كما جاءت الى الاقاليم المجاورة فى القرن الحادى عشـــر الميلادى ، وقد جاء فى المصادر المحلية أن الدعوة الى الاســـلام

---

(١) د ٠ ابراهيم على طرخان : امبراطورية البرنو الاسلامية ص٦٦ـ٦٧

المرابطون

قد جاءت من مصر أولا ، وأن مصر قد سبقت فى ذلك ولاة المرابطين ، وهذا يدل على أن العلاقات والصلات التجارية بين الكانم والاقاليم المجاورة وبين مصر كانت وثيقة ومستمرة فى نشاطها .

وينقسم تاريخ هذه المنطقة الى أقسام ثلاث رئيسية ولكل من هذه الاقسام تقسيمات فرعية : فالقسم الاول هو بداية تاريخ كانم من حوالى ٧٠٠ الى ١٢٢٤ م حيث كانت تتحكم فى هذه المنطقة فى السنوات الاولى اسرة السواجده و ثم البيت السيفوى ، نسبة الى سيف بن زى يزن كما مر بنا . ويرجع الى هذه الفترة دخول الاسلام فى كانم " فقد دخل الاسلام فى عهد الملك " حومى جيلمى " ولكنه لم يكتب له الانتشار على نطاق واسع الا فى عهد متأخر » ونعتقد ان (دايلامى) حقق الكثير فى هذا الامر (١)

---

(١) يقال ان الملك انتقل الى الفرع الاسلامى لهذه الاسرة حوالى ١٠٧٨ وحتى ١٠٩٧ للميلاد وهو ٤٨٠ للهجرة ويعتبر أومى وهو الملك الذى دخل على يده الاسلام هو الثانى عشر من افراد هذه الاسرة الحاكمة ودخول الاسلام على يديه هو الذى قوى مركز المملكة وملوكها فى الداخل كما انه قرب جدا بين هؤلاء الملوك وجيرانهم وبالاضافة الى الملك حومى ويلامى أول مسلم ادخل الاسلام الى المملكة بين الحكام نسرد هنا اسماء بعض ملوك هذه الاسرة . ورتامة بين أومى ١٠٩٧ــ ١١٥٠م حج هذا الملك الى الحجاز عدة مرات عن طريق البحر وغرق قرب مصر . ثم تولى بعد ذلك بير الاول بن دونامه من ١١٥٠ــ ١١٧٦م ثم عبد الجليل =

ويعد (حومى) أو (آومى) ديلامى أول ملك اسلامى لهم فقد ملك أواخر القرن ١١ م وقد انتقل الملك الى الفرع الاسلامى ١٠٧٨ — وحتى ١٠٩٧ للميلاد وهو عام ٤٨٠ هـ ولاشك أن هذه بداية مرحلة جديدة لتاريخ هذه البلاد بل ولهذه الاسرة بالذات والذى يعد الملك (حومى) الثانى عشر من ملوكها • ودخول الاسلام فى بلاد كانم هو الذى قوى مركز المملكة وملوكها فى الداخل كما انه قرب جدا بين هوءلاء الملوك وبين ملوك شمال افريقية • ومما يدل على ذلك ان الملك (دونامه) (١) ابن الملك (حومى جيلمس) الذى حكم بلاد كانم

= المعروف بسليم بن بكر ١١٩٤ — ١٢٢١ ثم دونامة بسن ديلامى ١٢٢١ — ١٢٥٩ الذى يعتبر من أعظم ملوك كانم وأعظم ممن تقدمه فقد بلغت البلاد فى عهده أقصى درجات الرقى والتقدم فقد قام بترسيع الامبراطورية وكثف جهده فى نشر الاسلام وتقويته وهوالذى بنى فى القارة عام ١٢٤٠ رواق للطلاب الكانمين وبيت للحجاج والعمال وأوقف عليه أموالا طائلة •

(١) يعتبر الملك (دونامه ديلامى) حكم فى ١٢٢١ — ١٢٥٩ من أعظم ملوك كانم فقد بلغت البلاد أقصى أوجها من الرقى والتقدم فى عهد هذا السلطان فقد قام بجهود كبيرة لتوسيع الامبراطورية فاتسعت بدرجة كبيرة • فقد بدأ فى نشر الاسلام وتقويته فى البلاد كما كرس وقتا طويلا ليرى الشعب الكانمى يسير على النهج القويم • وفى عام ١٢٤٠ قام ببناء رواق بالقاهرة ليقيم الطلاب والعمال الكانمين والحجاج ايضا وأوقف لذلك أموالا طائلة • ويقال انه غرق بمصر اثناء مروره بها للحج •

كان على علاقات وثيقة بملك قوش (١) •

ويبدأ القسم الثانى من تاريخ البلاد وهو عصر الحروب الاهليـــة والتحركات القبلية منذ عام ١٢٢٤ الى ١٥٠٧م •

ويشمل القسم الثالث من ١٥٠٧ حتى أوائل القرن التاسع عشـــــر والاحتلال الفرنسى •

•• ••

عندما تحولت الاسرة الحاكمة فى كانم الى الدين الاســـلامى استطاع الاسلام ان يكسب لنفسه جبهة ثانيـة فى منطقة الســـودان الاوسط وبحيرة تشاد • فنحن لا نستطيع ان نتجاهل مدى ما كـــان لدخول الاسلام الى هذه المناطق من أهمية تاريخية كبرى فقد جا • مع الدين الجديد معرفة الكتابة التى جعلت من قيام المملكة دولـة ضخمة أكثر تنظيما فى أساليب الحكم كما رفع الدين مستويات شعـــوب هذه البلاد من الناحية الاخلاقية والانسانية وخلق علاقات حضاريـة وفكرية بين هذه المناطق وجيرانها المسلمين • وقد كانت هـــذه

---

(١) ذكر ابن خلدون ان الكانم وعاصمتها بلدة (نجيمى) قد وثقـت علاقتها مع الحفصيين وتبادلت معهم الهدايا ، ويقول ان سلطان الكانم والبرنو ارسل فى عام ٦٥٥هـ (١٢٥٧) هديه الى السلطان ابو عبد الله المستنصر ١٢٤٩ـ ١٢٧٧ ، وقد شملت الهديـــة الهدية حيوان الزرافة الذى اثار دهشة التونسيين الذيـــــن تزاحموا فى ميادين مدينة تونس لرؤية هذا الحيوان العجيب فــى شكلـه •

الدولة عاملا من عوامل التحضر فى الشعوب التى كانت تعيش هناك وسببا فى تجمعها فى دولة مركزية • لقد دهش الرحالة العرب الذين زاروا هذه البلاد من وجود نظام سياسى راقى يشبه النظام السياسى الذى كان سائدا فى الدول الاوربية فى العصور السوطى •

وأيضا نجد ذلك الاثر القوى للاسلام فى مجال الثقافة فقد اتخذت الثقافة فى تشاد طابعا عربيا صرفا لم تداخله أى تأثيرات أخرى وهذه مسألة تستلفت النظر حين ترصد الثقافة التشادية وأثر الاسلام عليها فقد كانت ذات طابع عربى اسلامى خالص وذلك بسبب واضح هو أن الشعوب التى اعتنقت الاسلام وتشربت ثقافته العربية التى ذكرناها من الزغاوى والماغوميين من نبلاء الطوارق والتى هى مزيج من القبائل العربية والتى لم تكن لها تقاليد حضارية قديمة متأصلة مثلما كان للايرانين او الاغريق الذين تأثروا وأثروا ايضا فى الثقافة العربية فى بيئات الشرق الادنى • لقد حملت الثقافة العربية الاسلامية الى بلادهم وتقبلوها كما هى •• فقد كانت مدارس الثقافة الاسلامية فى غرب افريقية عامة وكانم ـ برنو خاصة ذات صبغة عربية (مغربية) بحته • نفس الاسلوب ونفس الوسائل حتى طريقة الكتابة نفسها تأثرت بالطابع المغربى • وذلك بالاضافة الى تأثرها بالمدارس الاسلامية الاخرى كالازهر الشريف بمصر والميتونه والقيروان بتونس وغيرها • الزيتونة

فكل ثقافة حضارة وليس كل حضارة ثقافة •

ثانيا : الــــــواداى

وتقع هذه الولاية فى غرب سلطنة دارتو ، وتحدها من الغـــــرب والجنوب الغربى الكانم والباجرمى ومن الجنوب الشرقى دار رنقـــــــه وهى عبارة عن تلك المنطقة الواقعة الى الشمال مـــن (انجبيا) عاصمة البلاد ، والواقعة كذلك الى الجنوب من البــــــلاد المعروفة باسم بلاد (بركامى) أوبلاد (البركو) ويقال ان شعب البركو المجاور الكانم عرف منذ عهد بعيد باسلامه الذى اكتسبه من جيرانـــــه سكان كانم المسلمين[١] ، وقد اكتسبت واداى مركزا ممتازا جعـــــل منها سلطانة مستقلة[٢]. لقد كانت الاقاليم الواقعة بين كردوفان ، وبحيرة تشاد خاضعة لحكم التنجور ، ثم قامت على انقـاض دولـــــة التنجور فى ممالك اسلامية ثلاث وهى من الشرق الى الغرب ... سلطنة دارفور ، وسلطنة واداى ، وسلطنة باجرمى ، والذى يقـع داخل نطاق تشاد هما المملكتين الثانية والثالثة فقط . وقد تأسست واداى حوالى ١٠٢٠ هـ (١٦١١م) على يد اسرة من قبيلة الجوامعة

---

(١) ابراهيم صالح يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطوريـــة كانم برنو ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر الطبعـــة الاولى ١٥٧٦ ص ٤٩

(٢) الشاطر البصيلى : المرجع السابق ص ٤٢٥

التى تعرف باسم (الخمير) بقيادة زعيمهم (وودا)[١] الذى دخل مدة فى خدمة ملك التنجور واستطاع حفيده ويدعى (عبد الكريم) ان يقضى على حكومة التنجور سنة ١٦١١م. وأن يؤسس دولة اشتهرت باسم واداى نسبة الى جدة (وودا)[٢]. وقد جاء فى المصادر المحلية أن عبد الكريم مؤسس واداى كان قد دفعه شعوره الدينى الى قضاء بضعة سنوات فى بلدة (بيديون) وقد اتخذت هذه البلدة مركزا للدعوة لنشر الاسلام على نطاق واسع . وشيخ هذه البلدة ويسمى محمد أثر فى نفس عبد الكريم وزملائه الذين عملوا على التبشير بالدين الاسلامى وانتزاع السلطة من اسرة التنجور والعمل على قيام دولة اسلامية الاسس ، اى ان هذا السلطان عمل على تأسيس دولة دينية اسلامية قوية. وذلك على الشكل الاتى : بعد عودته الى بلده أخذ عبد الكريم فى

---

(١) يرى الشاطر البصيلى ، ان الداجو أقاموا سلطة واداى غير ان التنجور انتزعوا منهم الحكم وجاءت قبيلة قمر (جمير) وكانت تسكن فى شندى فى السودان شمال الخرطوم فى عدد كبير من أهلها وكان زعيمها وداعه (وودا) وداعه بين ياس . وكانت تدين بالاسلام وانتزعت الحكم من التنجور حوالى ١٠٢٠هـ واستقرت قبيلة جمر فى دار مابا وأطلقت على مواطنها دار داعه (اسم الملك) بدلا من دار مابا وتصحف اللفظ وداعه وصار واداى اى ان العين صارت ياء " . أنظر ص ٤٤٨

(٢) محمد بن عمر التونسى (الشيخ) تشحيذ الذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . تحقيق د. خليل محمود عساكر ، د. مصطفى محمد مسعد . الدار القومية للتأليف والترجمة . القاهرة ١٩٦٥ ص ٧٤

نشر آرائه التى تهدف نحو الاستقلال بأدارة البلاد وثار على الحاكم واستطاع التغلب على البيت التنجورى بعد قتال دموى مرير وأسس هذه السلطة التى أتخذت اسم جده بدلا من دار مابا كما كانت تعرف من قبل (١). وظلت أسرة عبد الكريم مؤسس السلطنة تحكم ابنا عن أب حتى عام ١٦٨٢ حين انتصر محمد سولاة (آوسيلا) على جيش الفور ، وقد اكسب هذا الانتصار وادای مركزا محتوما بين جاراتها وصار اسم المنطقة لذلك (منطقة وادای دارسيلا) واستطاع هذا السلطان انتزاع جانب كبير من بلاد الكانم من سلطان البرنو ، ودخل مدن ماندو ، التنجور ، دجلو ، التى كان يسكنها خليفة برنو ، وتولى السلطان محمد آوسيلاه الحكم مدة أربعين سنة .

وفى عهد عبد الكريم الثانى ، السلطان الذى اطلق عليه لقب (صابون) استطاع ان يوسع مملكته ، وفتح الطريق التجارى مباشرة بين بلاده والبحر المتوسط سنة ١٨١٥ (٢) وعلى الرغم من ان سلطنة وادای تتصل اتصالا وثيقا بتاريخ دارفور وكانم وبرنو وباجرمى وبالرغم من ذلك لم يعتنق شعبها الدين الاسلامى الا بعد تلك البلاد (٣).

---

(١) الشاطر البصيلى : المرجع السابق ص ٤٢٦.

(٢) الشاطر البصيلى : المرجع السابق ص ٤٢٨

(٣) د. عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ص ٧١ .

فالاسلام تأخر وصوله الى واداى ، ومع ذلك يعتبر الاسلام بالدرجة الاولى دين واداى الوحيد • فلم يدرك قبله دينا من الأديان ، فالمسيحية فى تشاد محصورة فى الجنوب ولا زالت حتى الان عاجزة عن اقناع الوثنيين فى الشمال •

ومعنى ذلك ان اللقاء بين الاسلام ومعتقداته مع أهل واداى كانت على ان لقاء مباشرا بلا واسطة تقابل فيها كل منهما حيث تحول الكثير الى الدين الجديد •

وان كان هناك اجماع على ان (وودا) أو ادعه هو مؤسس اول دولة اسلامية فى واداى ومنها اتخذت اسمه الا ان هناك بعض الروايات الاخرى التى تتفق مع هذه الرواية فى كيفية تأسس الدولة وتختلف فى اسم مؤسسها • وتقول هذه الرواية ان دخول الاسلام يعزى الى جهود شخص يدعى (صالح) أو (جامع) الذى قاد أحد أحفاده ثورة عنيفة متعاونا مع العناصر العربية الوافدة الى البلاد وبعض السكان الذين اعتنقوا الاسلام ضد سلطان البلاد التنجورى وبعد معارك دامية بين الجانبين تم النصر لهم وتغلبوا على السلطان بقتله ونصب نفسه ملكا على واداى ، واشتد تلاحق العرب على البلاد فى شتى النواحى وشيد هذا السلطان مدينة وارة عاصمة البلاد • وأنا من جانبى اعتقد ان الرواية واحدة بشخصياتها المختلفة " الجد الزعيم " ، و " الحفيد القائد " المؤسس • الا ان الاختلاف مجرد اختلاف فى الاسم وبالتالى يكون صالح أو جامع ، وودا أو وادعه هما اسمين

لشخص واحد أو انهما معا يكونا اسما مركبا بجد مؤسس هذه السلطانة وليكن الاسم وودا صالح او صالح وودا وهو على العموم فى التفسير النهائى يتخذ اسمه من قبيلته الجوامعة فيكون جامع ويظل الاساس القوى له فى تأسيس دولته وتدعيم حكمه وتقويته هو اساس دينى اسلامى .
وقد ظل السلطان عبد الكريم المعروف بمجد الاسلام يحكم فى الفترة من ١٦٣٥ ــ ١٦٥٥ ــ وبعد ان توطدت له الامور بدأ يغزو الامم الوثنية المجاورة لبلاده يجاهدهم داعيا اياهم الى الاسلام.
ويرى الشاطر البصيلى أن أسلاف هذا السلطان ينحدرون من منطقة شندى فى سودان وادى النيل وأن انتسابه (عبد الكريم) الى العباسين يؤيد هذا الظن . لأن الجعليين هناك (يقصد فى منطقة شندى) ينتسبون الى بنى العباس عبد المطلب .(١)

ويتكون سكان واداى من عدة قبائل ابرزها : الداجو والمساليت ــ ويعتبر اللسان العربى الدارجى اللسان الوحيد الذى يتفاهم به السكان لافى الشمال فحسب بل فى الجنوب ايضا (٢) .

لقد كانت سلطنة اسلامية أغلب عناصر سكانها من العرب لذا فقد بلغت الثقافة الاسلامية فى واداى أوجها من النضج منذ زمن بعيد

---

(١) الشاطر البصيلى : المرجع السابق . ص ٤٢٥.
(٢) د . عبد الرحمن زكى : الاسلام فى غرب افريقيا ص ٧١ ــ ٧٢

بفضل كون الحاكمين عليها من أصل عنصر عربـي . وقد أدت دورا هاما فى الحضارة الاسلامية فى شتى المجالات وبرز ذلك فى مجـال الدعوة اذ أنها بذلت نشاطا واسعا قام به فقهاء من مملكـة التونج كان أغلبهم يدينون بالمالكية تماما كأهل) شمال افريقيـة منهم ابو زيد عبد القادر ، وأبو سرور الفضل وغيرهم (١)

.. ..

---

(١) انظر طبقات ود ضيف الله ص ٣٣ ومابعدها .

ثالثا : سلطنة باجرمى (باقرمى)

هى الباقرمة : بجرمى – بقرمى – بكيرمى . وتنطق باجرمى او باقرمى (1) وتقع فى الجنوب الشرقى من كانم وهى أقليم على نهر شارى أحد الفروع التى تصب فى بحيرة تشاد . وسكانها ينتمون الى أصول متعددة فمنهم الكانورى والعرب والفولانى والزنوج . وهؤلاء جميعا . وعاصمتها (ماسينيا). وسلطنة باجرمى تأسست فى القرن العاشر الهجرى . السادس عشر الميلادى على يد جماعة من المغامرين الذين قدموا من ناحية الشرق واستطاع هؤلاء ان يتغلبوا على البلالا . ثم اندمجوا فيهم واستطاعوا بمساعدتهم ان يبسطوا سلطانهم على الفلبه والعرب المستوطنين فى هذه البلاد . وزعم أولئك الغزاة أنهم عرب وأنهم أتوا من بلاد اليمن واعتنق أحدهم الاسلام وكان معاصرا للسلطان عبد الكريم سلطان واداى ، وهذا السلطان قد اعتنق أهل بلاده الاسلام على يديه .

ويرجع تاريخ هذه السلطنة الى السلطان (برنى بيسى) فقد انشأها حوالى ١٥١٣م وكان وثنيا وهو أول حاكم عرف لهذه الامة . وكان حكمه بين ١٥٢٢ – ١٥٣٦ .

---

(١) انظر تعريف لفظ باجرمى دار المعارف الاسلامى . مادة بجرمى . وانظر أيضا محمد بن عمر التونسى : تشحيذ الاذهان لسيرة بلاد العرب والسودان . تحقيق د . خليل محمود عساكر ، د . مصطفى محمد مسعد . الدار القومية للتأليف والترجمة . القاهرة ١٩٦٥ ص ١٣٣

وجاء السلطان (عبد الله بن مالو) الذى حكم بين ١٥٦١ـ١٦٠٢ وهو أول سلطان أسلم من سلاطين باجرمى وهو الذى وطد اركان الاسلام فى البلاد وقواه بصورة عامة وعلنيه . فالجاليات العربية التى وفدت الى هذه البلاد قبل ذلك التاريخ كانت تنشر الاسلام بصورة فردية فى البوادى والقرى بين الاهالى . الى ان جاء عبد الله بن مالو فتحول الاسلام بين دين وافد الى الدين الاساسى للبلاد .

ومن هذه التواريخ يتضح ان دخول العرب فى باجرمى هو نفس تاريخ دخولهم فى واداى وكانم بدليل ان هذه الاقاليم كلها كانت تكون مساحة واحدة من الارض لايفصل بينها شئ ثم ان العرب بدأوا يدخلون فى هذه المناطق بطريقتهم السلمية المعروفة والتى لاتلبث ان تتكون هيئة ارستقراطية معينة من بين النازحين تطالب بحقوق لاتقل عن حقوق الوطنين أنفسهم . وقد تم ذلك أولا بدخول العرب منطقة (ياوبالفتر) قبل دخولهم الباقرمى الى العرب فى هذه المنطقة يرجع الفضل فى نشر الاسلام فى البوادى والقرى ونشر اللسان العربى وقد ظل العرب بمنطقة حوض بحيرة تشاد لمدة طويلة من الوقت ولم تتوقف هجرتهم من الشرق الى تلك المناطق وبدءوا يقاتلون الوثنيين الموجودين بالمنطقة الجنوبية للبحيرة ويدفعون بهم الى أقصى الجنوب حتى المنطقة الجبلية واستطاعوا بذلك ان يكونوا لانفسهم امارات صغيرة . قبل تكوين السلطنة التى صارت من أهم المناطق التى اعتنقت ودعت الى الاسلام .

والباجرمى كانت ذات حياة اقتصادية مزدهرة غير انه قد اصابها الركود بسبب حروبها مع وادا ى التى استمرت طويلا وحتى القرن ١٩ الميلادى . فقد كانت الحروب هى الطابع المميز لهذه المملكة مع جيرانها . الا ان ذلك الوضع قد قل الى حد كبير بعد مجىء الاسلام . فقد جعل الاسلام من هذه الجماعات المتنافرة والمتباينة وحدة ادارية وسياسية وحضارية بعد أن كانت تعيش حياة قبلية وقد تجمعت القبائل فى كيان واحد يرأسه ملك سرعان ما اعتنق الاسلام الذى وحدها . لذا فالحديث عن البقارمى ينبغى ان يتصل قبل الاسلام وبعده .(١)

لقد كان السلطان مالو الذى ظهر الاسلام فى عهده بالمملكة وبدأ ينتشر اخر الملوك الوثنيين وثار عليه أخيه عبد الله باسم الاسلام كما مر بنا ، الذى سرعان ما ادخل النظم الاسلامية وبنى دور العبادة والدراسة ونشر الدعوة الاسلامية حيث استجاب بها الكثيرون من اتباعه وكون جيشا عظيما . ونظم الادارة تنظيما دقيقا على نفس النمط الذى كان متبعا فى برنوا وكانم . وفى عهده أمتد نفوذ باجرمى الى كثير من المناطق المجاورة .

ويعتبر عصر الشيخ محمد الأمين الكانمى من ابرز عصور باجرمى . والشيخ محمد الامين من الشخصيات الهامة التى ارتبطت بها تاريخ تشاد فى كانم وبرنو وباجرمى . فقد حج وقام بنشر الاسلام فى بلاده .

---

(١) الطاهر البصيلى عبد الجليل – تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ص ٤٢٩–٤٣٠

ويهمنا ابراز دور باجرمى فى مجال الحياة الفكرية فقد ظهر فيها مجموعة كبيرة من المفكرين والعلماء البارزين نذكر منهم محمد الوالى الذى يقول عنه الامام محمد بيلو " انه العالم العلامة الزاهد الورع • وله مؤلفات تدل على وفرة علمه وكثرة احاطته "(١) ومن شيوخ باجرمى الشيخ (ولولو) الذى تلقى العلم فى تمكبتو وكان له فيه دورا عظيم • ومنهم ايضا سليمان بن محمد وهو المعروف بالبيجرمى نسبة لهذه البلاد وقد ولد سنة ١٧٣٩ ودرس بالازهر الشريف وتوفر على فقه الشافعية • وألف مجموعة كبيرة من الكتب الشهيرة فى الفقه منها التجريد • تحفة الحبيب • وغيرها •

---

(١) د • احمد شلبى • تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية ص ٢١٢

الفصل الثالث

عوامل انتشار الفكر الاسلامى وطرقه المختلفة الى تشاد

تمهيد :

أفريقيا والعرب والاسلام :

ولا جدال أن الاسلام قد عمق وشائج العلاقات العربية الافريقية منذ ظهوره ، فقد شق الدين الجديد طريقه منذ البداية الى مختلف أنحاء القارة وقام التجار المؤمنون العرب بدور هام فى نشره بل ان الاسلام انتشر فى غرب أفريقية معتمدا الى التجارة قبل اى شئ آخر ولقد شهد القرن الحادى عشر الميلادى بالذات تقدم التجارة العربية وانتشار الاسلام فى أفريقية فالتجار المصريون وصلوا عن طريق الوحات الى بحيرة تشاد وغرب افريقية والكنغو والبحيرات العظمى فى قلب افريقية الاستوائية وأما التجار من عرب الجزيرة فقد أقاموا الممالك والمراكز التجارية والموانئ على الشاطئ الافريقى . واما التجار من الشمال الافريقى فقد انطلقوا الى غرب افريقية يحملون رايات التجارة والرسالة ورغم هذا فان الفضل فى انتشار الاسلام السريع فى أفريقية يعود للافارقة أنفسهم قبل ان يعود للعرب فقد

كان أغلب المبشرين به افارقة كذلك قامت دول وامبراطوريات اسلامية كبيرة فى غرب افريقية وامارات وممالك اسلامية كبيرة فى شرقها . وفى القرن الحادى عشر حتى القرن الرابع عشر الميلادى أخذ الاسلام يغزو مناطق كثيرة فى غرب افريقية واتسعت امبراطورية مالى لتشمل مايعرف الآن باسم جمهوريات مالى والنيجر ونيجيريا الشاسعة . وبدأت حركات الهجرة العربية الكبيرة اليها وخاصة فى مصر والمغرب العربى وتحولت (تومبكتو) العاصمة الى مركز دينى اسلامى كبير . وعندما انهارت امبراطورية مالى قامت على اشلائها امبراطورية اسلامية حديثة فى النيجر تحت حكم (مادو تورى) واستولت على تومبكتو التى ازداد عدد سكانها وعظمت أهميتها كمركز اسلامى وتجارى وازداد عدد العرب بها كذلك ازدهرت التجارة بين الامبراطورية الجديدة وبين البلدان العربية وخاصة فى أفريقية . وانتشر الاسلام فى البلدان الافريقية انتشارا كبيرا . ونستطيع ان نقول نفس الشئ فى شرق افريقية . والغريب انه رغم العلاقات الوثيقة بين العرب وهذه المنطقة فى افريقية . فان تاريخ المرحلة فى القرن التاسع الميلادى حتى القرن الثالث عشر يفتقر الى المصادر . فأغلب المصادر عربية وتعتمد على روايات المسافرين او الانطباعات الشخصية كما ان الاسماء الجغرافية كانت عامة . ومثلا كان الكتاب والرحالة

العرب يستخدمون كلمة الزنوج ، لتعريف منطقة شرق افريقية كلها من الحبشة شمالا وحتى مابعد موزنبيق جنوبا ، ولم يكن البحث العلمى هدف الكتاب والرحالة العرب اوغير العرب فلم يهتموا بمعنى الظواهر عند مشاهدتها وكانوا يفكرون فى اطار الاشياء المألوفة لديهم • وينقلون أية معلومات يعثرون عليها بالقدر الذى يفهمونه ، بيد ان المصادر العربية كان لها الفضل فى توضيح بعض السمات التى يتسم بها مجتمع شرق افريقية ، وطريقة حياة ابنائه المتشابهة فى مختلف المناطق • كذلك فان هذه المصادر تقدم معلومات اجتماعية وثقافية واقتصادية قيمة • مما اضطر الاوربيين الى دراستها منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى توطئة لاتمام السيطرة على افريقية •

ومن هذه المصادر العربية نستطيع ان نصل الى بعض الحقائق فى شرق افريقية فى هذه الرحلة التاريخيه وأولى هذه الحقائق انه رغم وحدة العرق فان سكان المناطق الساحلية فى شرق افريقية يختلفون عن سكان المناطق الداخلية كما انهم يتميزون بقسمات شائعة ، والحقيقة الثانية التى نفهمها من الجاحظ الذى ولد سنة ٧٦٧ ميلادية ومات بعد عامين عشية الانتفاضة الزنجية فى العراق • وهى ان الجماعات السكانية فى شرق افريقية كانت تعيش على مستويات مختلفة من التطور والعلاقات الاجتماعية نظرا للحواجز التى كانت تقوم بين سكان المنطقة الساحلية وسكان الداخل •

وفي القرن العاشر الميلادي قام مجتمع على مستوى عال من التطـــور الاقتصادي والاجتماعي وكان يعيش على الساحل لمدغشقر وزنجبار وجــزر القمر المعروفة الان بجزر الكومور • أما المسعودي يقول في مروج الذهب ان الزنوج كانوا فصحاء في لغتهم فقد كان يقف احد واعظيهم ويقـــدم النصح لحشد كبير ويحثهم على الاقتراب من خالقهم ويناشدهـــم أن يخضعوا أنفسهم له ويهددهم بعقابه وجبروته ويذكرهم بأولئك الذين كانوا يوما ملوكهم وأجدادهم فقد طحنهم الدهر بكلكلـه ومزقهـــم بتطاولـه •

كذلك يقول في اخبار الزمان انه يوجد بينهم واعظون فصحـــاء يتحدثون لغتهم واذا كان احدهم رجل دين فهو يرتدي جلد نمـــر ويتوكأ على عصا بيده • ويحتشد الناس حوله ويقف امامهم مـــن اول النهار حتى المسا يعظ ويمجد اسم الله الاسمى ويذكرهم بأفعـــال أولئك الذين ماتوا والذين كانوا ملوكهم في وقت من الاوقات •

والواقع ان رداء الوعظ كان مرتبطا بعقائد القبائل • فقبائـــل (باجندا) تعتبر ان جلد النمر تعبير عن علاقـــة قرابة بين رئيس القبيلة وبين حيوانات مثل الاسد أو النمر • وبالتالـي فان ارتداء جلد النمر كان مقصورا على عائلة (باجندا) " المالكة " ومازال جلد النمر ينظر اليه حتى الآن في كينيا على انه امتيـــاز

خاص برئيس الدولة وأما قبائل البانتوس فتعتقد ان رؤسائها يتحولون الى أسود ونمور بعد الموت وربما كانت هذه الاشياء مسئولة عن نظرة أغلب الكتاب العرب في ذلك الوقت الى أهل أفريقية على أنهم متخلفون •

واذا تركنا غرب افريقية وشرقها وعدنا الى مصر فسنجد ان العلاقات بين مصر وشقيقاتها الافريقيات قديمة قدم الحضارة المصرية وسنجد ان مصر كانت عبر الالوف السنين طليعة الحضارة الافريقية وان اشعاعها الحضارى كان يضئ انحاء كثيرة من القارة حتى اذا جاء الاسلام وسبق شعب مصر جميع الشعوب الافريقية الى الدخول في الاسلام عادت اشاعات التقدم والحضارة والعلم تضئ سماء القارة الافريقية وأصبح الازهر مركزا اساسيا للاسلام وأصبحت القاهرة منارة للثقافة الاسلامية والعربية •

فالاسلام أصلا دعوة عالمية بل انه دين ودولة فموطن المسلم هو العالم الاسلامى كله والدولة الاسلامية دولة ليست اساسها العنصر والجنس والقومية والوطن ، وانما هى : دولة ايدلوجية اساسها العقيدة الدينية •

فالدور الذى قام به رجال الدين النشاديين فى سبيل نشر

الدعوة الاسلامية راجع كله الى وحدة دينية مصدرها القرآن الكريم والسنة ، بعيدة عن مركز الهوة في الحياة السياسية المعاصرة، التي تسير بسياسة القهر والغلبة والجبروت وغايتها استعباد الشعوب، واستغلالها من أجل خدمة مصالح الحكام في افراد او طبقات .

فالدعوة والمراسيم التي جاء بها الاسلام كانت نظاما جديدا مغايرا لنظم الامبراطورية ، والملكية ، قال تعالى : " ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (١)، وقال تعالى : " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " (٢) .

الاسلام دين الله العام الخالد ، بعث به خاتم رسله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ليهدى للتي هي أقوم ،ويجمع الناس على كلمة سواء ولقد دعا الاسلام الى وحدة انسانية عامة تجعل الناس جميعا أخوة ، اذا فرقتهم الالوان ، والاوطان ، والانساب ، وان في القرآن الكريم آية تعتبر دستور الأخاء الانساني وهي تقرر في وضوح ان اختلاف الناس شعوبا وقبائل لم يكن ليتقاتلوا ويختلفوا ، ولكن ليتعارفوا ويتعاونوا " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير" (٣)

---

(١) سورة النحل الاية : ٣٤
(٢) سورة الكهف الاية : ٧٩
(٣)

والتعاون الذى دعا اليه الاسلام بين البشر جميعا تعاون بناء فى سبيل الخير العام الذى تزدهر به الحياة وليس التعاون الذى يقوم على العصبية الظالمة التى تحمل الانسان على نصرة قومه وهم ظالمون او تحمل دولة من الدول أو جماعة من الناس ، على عظلم قوم آخرين والتعدى على حرياتهم وحقوقهم ولكنه التعاون القائم على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان ، يقول الحق سبحانه : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب "(١) .

ان الاسلام يقوم على ركنين اساسيين : كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، فكلمة التوحيد هى الباب الكبير الوحيد الذى يدخل منه الناس الى ساحة الاسلام .. وتوحيد الكلمة ونبذ الخلاف وجمع الصفوف هو التطبيق العملى لكلمة التوحيد فالناس جميعا فى ظل هذه الكلمة الجليلة يعبدون ربا واحدا ويتبعون نبيا واحدا ويصلون الى قبلة واحدة ويحكمهم دستور واحد هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

---

(١)

الحضـــــــــارة

تحدث كثيراً من الفلاسفة وفلاسفة التاريخ عن طرق التقاء حضارة بحضارة وأسباب ذلك والعوامل المختلفة التى تؤدى الى هذا الانتقـــال وعوامل قيام دولة أو حضارة وقد أفاض كل من ابن خلدون وماركس فـــى هذه النقطة (١) .

والذى نريد ان نؤكد عليه هو أنه ليس هناك عامل واحـــــد فقط له الغلبة فى عملية الانتقال الحضارى بل هناك مجموعة من العوامـــل تتكاتف من خلال مجموعها لتساعد على انجاز عمليات اللقاء هذه العوامـــل اقتصادية ودينية وفكرية وغيرها . وهذه العوامل المختلفة هى وسائل وعناصر للتفاعل فى نفس الوقت بين كل من الحضارة الاسلامية ذات التكويـــــن العقلى والعقائد المتكاملة بين الحضارة الافريقية التىعرضنا لها فـــــى الفصل الاول بشكل فلسفى وفى الفصل الثانى عرض تاريخى وها نحن هنـــا نتناول تفاعل كل من الحضارتين وطرق ذلك .

وعملية اللقاء الاسلامى تمثل ظاهرة أساسية أشار لها الكثيرون فبينما لم تتقبل الابنيــه الفكرية والثقافية الحملات التبشيرية المسيحيـــة

---

(١) انظر د . زينب الخضرى : رسالة ماجستير غير منشورة بعنـــوان فلسفة التاريخ عن ابن خلدون بقسم الفلسفة بآداب القاهرة سنة ٧١ مكتبة جامعة القاهرة ـ اشراف د . يحيى هويدى .

التى ارتبطت بالاستعمار محالة ان تفرض حضارة اوربية وافدة على أنهـــا هى الأفضل نجد ذلك التلاقى بين حضارة اسلامية تتعامل مع الثقافة والحضارة الافريقية على أنها عقائد أولية صحيحة بينما أهل ومعتقديهـــا يشر علاقتنا بهم علاقة الأخاء والمساواة وهذه مسألة لم يحددها فـــى الحضارة الغربية الاحدث لذا حدثت حركات الكفاح والاستقـــلال والتحرر الوطنى من الثقافة الغربية بكافة أشكالها وهذا مالم يحـــدث مع الحضارة الاسلامية •

وسوف نتحدث هنا عن ثلاث عوامل هى الاقتصادى ءالسياســى الدينى على أن يخصص للعامل الفكرى لأهميته فصل خاص هو الفصـــل الرابـــع •

أولا : العامل الاقتصـــادى :

ونقصد بها عوامل الاتصال التجارى من طرق برية وبحريـــة وقوافل التجارة • والتجارة وهو يعنى الطرق التجارية المختلفة وقوافـل التجارية والعمليات الاقتصادية وما صاحبها من تفاعل بين القادميـــن والوطنين • ويهمنى فى هذه النقطة أن أوضح مسألة هامة هى عـــدم انفصال الاخلاق عن كل نظام ثقافى حضارى قيمى وهذا ما يثبته الدراسات الحديثة خاصة فى مجال القيم والاخلاق [١] •

---

(١) ونعرض هنا بوجهة نظر الفيلسوف الامريكى الواقعى رالف بارتون بيرى أنظر كتابه آفاق القيمة • ترجمة عاطف سلام مكتبة فرانكلين القاهرة ١٩٦٨ • والاقتصاد الاخلاقى • لنفس المؤلف •

ولهذا العامل أهميته فطرق التعامل التجارى من الطرق السلمية العامة وذلك مقابل أساليب أخرى لجأ اليها غير العرب والمسلمين مثل الغزو العسكرى والحرب والاغارة • فلم يكن العرب المسلمون رجال غزو واغارة كالمغول والتتار بل تنصب أهمية تعاملهم الخارجى مع الأمم المجاورة على التجارة وعلاقات التعايش السلمى وهو ما يميز حركة نشر الاسلام التى ارتبطت بالتجارة والدعوة بالموعظة الحسنة والاقتناع العقلى [1]. لقد كانت الاساليب السلمية الطابع هى الغالبة على حركة نشر الدعوة الاسلامية فى أفريقية ، فلدينا الدليل القاطع الذى شهد به الرحالون وغيرهم على ان الدعوة بالطرق السلمية وقيام الداعى المسلم بأعمال تنطوى على الرفق والأناة تلك الاعمال التى عملت فى سبيل انتشار الاسلام صريحا فى أفريقية الحديثة أكثر مما عمل أى اسلوب من أساليب العنف [2] • فالتاجر يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته فمهنته تتصل صلة وثيقة مباشرة بأولئك الذين يريد أن يحولهم الى الاسلام •

ونستطيع أن نقول أن أهم مايميز ولايات هذه المنطقة وما يجمعها فى وحدة واحدة هو العمل التجارى " وهو الامر الذى

---

(١) سير توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام • بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية • ترجمة د • حسن ابراهيم حسن • د • عبد المجيد عابدين اسماعيل النحراوى • مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣٩٠ •

(٢) نفس المرجع ص ٣٩٢

أخلصت له هذه الشعوب على الرغم من الاختلافات فيما بينها من ناحية اللغة والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية • فقد ذكرت بعض المصادر أن أقليم حوض تشاد " كانت تربطه فى العهد القديم طرق تسير عليها العربات لنقل السلع وغيرها من مختلف النواحى • فقد تميز بموقع فريد التقت فيه خطوط القوافل من غير ناحية وكان له دوره الخاص على طريق القوافل[1] • واذا كانت علاقات التبادل بين المسلمين وشعوب حوض تشاد أخذت طابع التبادل التجارى مقابل كل صور العنف والغزو والحرب فينبغى ايضا أن نفرق بين هذا النوع من التعامل التجارى وبين تجارة من نوع آخر جعلت من الافريقى عبدا يباع ويشترى ومن المستعمر الأوربى سيدا يملك ويسيطر على مساحات واسعة من الارض والعبيد وذلك مقابل بعض زجاجات فارغة او ملينة وبضعة امتار من القماش • هذا النوع الذى يمثله التاجر هورن •[2] • هنا يجب ان يميز بين نوعين من التعامل • النوع الاسلامى وهو يدور حول تبادل البضائع والسلع • والتعامل الاوربى وهو تبادل للسلع بالبشر • والتبادل الاول هو الذى صدق

---

(١) الشاطر البصيلى عبد الجليل : المرجع السابق ص ٤٠٨ — ويستشهد البصيلى بموني ولت • على انه كانت هناك طريق تسير عليها العربات ويرجع ذلك الى حوالى الالف قبل الميلاد ص ٤٠٩ •

(٢) البرت شفيتزر " حكايات افريقية " ترجمة محمود ابراهيم الدسوقى دار الكاتب العربى للطباعة والنشر • القاهرة ١٩٦٧ ص ٢٦—٣٣

الاتصال الحضارى بين المسلمين الذين يحترمون كرامة الافريقى وبين أبناء أفريقيا .

واذا كانت المصادر المختلفة أجمعت على ان سبل التعامل كانت سلبية مقابل الصورة الحربية الا ان هناك تمييزين ينبغى أن يذكرا :

أولا : ــ اختلاف الدعوة الاسلامية التى ارتبطت بشكل طبيعى مع التجارة . التى هى سمة العرب المسلمون من جهة وأهل البلاد من جهة ثانية عن ارساليات التبشير المسيحية المختلفة كما يعترف بذلك المبشرون أنفسهم بالاضافة الى أهل البلاد [1] . والشىء الثانى الذى ذكرناه منذ قليل وهو أن للتعامل التجارى والاقتصادى بين التجار المسلمون وأهل البلاد [2] . كان يختلف عن تعامل الاوربى فكان هذا التعامل ذو أساس أخلاقى قوى مستمد من العقيدة الدينية التى توجه المسلمين تجارا وغير تجار . وهذا هو السبب الذى جعلنا نعتبر العامل الاقتصادى اساس انتشار الاسلام . يقول آى .م . لويس : فى القرن العاشر الميلادى كانت كل أفريقيا تقريبا الواقعة الى جنوب الصحراء الكبرى قد أصبحت مفتوحة للدين الاسلامى من خلال الشبكة الواسعة من طرق القوافل التى كانت توصل عبر الصحراء الكبرى الى

---

(١) سير توماس ارنولد : المرجع المذكور ص ٣٩٩ ــ ٤٠٠

(٢) سير توماس أرنولد : المرجع المذكور ص ٣٩٩ ــ ٤٠٠

الشمال وفى الشرق الى موانى ساحل البحر الاحمر والمحيط الهندى والواقع ان ارتباط الاسلام بالتجارة كان هو السبب الرئيسى لدخول هذا العدد الكبير من شعوب هذا الجزء من القارة فى الاسلام[1].

وعلينا بالتالى أن نوضح هذه الطرق المختلفة التى من خلالها تم التعامل بين المسلمين وأهل البلاد ما سهل نشر الدين والفكر الاسلامى المرتبط به .

والطرق التجارية قديمة بين تشاد والدول المختلفة . وهناك عدة طرق برية وبحرية والآن جوية تربط بينها وبين العالم الاسلامى من مصر والسودان وليبيا ودول شمال أفريقية الى تشاد . فمن المعروف انه كانت هناك طرق قوافل من مصر تتجه الى تشاد هذا الطريق قد انقطع فى ايام بن طولون .

وكان هناك ومازال درب الاربعين الذى يخرج من اسيوط الى الواحات الى جمهورية السودان حتى الفاشر عاصمة دارفور ومنها الى منطقة حوض بحيرة تشاد . وهذه المنطقة قد تميزت بالدور الهام الذى لعبته من الناحيتين التاريخية والاثنوغرافية لاقاليم غرب افريقيا وأمتد الى العديد من الاقاليم الافريقية التى تقع وسط وجنوب غرب افريقية . فقد ربطت بين حوض وادى النيل

---

(١) جوزيف شاخت : تحت الاسلام من الجزء الاول عالم المعرفة الكويتية .

وليبيا وشمال أفريقية وبين الاقاليم الافريقية الغربية والقريبة منها .[1]
فالصلات قديمة ومتنوعة بين بلاد السودان الاوسط والغربى وبين
البلاد الاسلامية فى وادى النيل وما والاه شرق وشمال افريقية
كانت ذات أثر كبير فى وصول الاسلام والتعريف به فى بلاد الاسلام .
وهناك منابع رئيسية وفد منها الاسلام ولغته وحضارته الى بلاد
السودان[2] . فالقبائل العربية المنحدرة من الشرق الى السودان
ثم الى وادى وباجرمى وكانم قد دخلت هذه البلاد قبل القرنين
١٥/١٦ ووجود العرب فى هذه البلاد أمر لا يشك فيه أحد
له معرفة بهذه البلاد[2] . فمن مصر والغرب العربى انتشر
الاسلام حتى دخل كانم وهى المملكة الواقعة الى الشمال والشمال
لبحيرة تشاد وذلك على الشكل الآتى : القبائل العربية المختلفة
بدأت تنحدر من الجزيرة العربية متجهة صوب افريقية منذ النصف
الثانى من القرن الاول الهجرى بعد فتح مصر فهاجرت أكثر
القبائل العربية الى القطر المصرى ولم يتوقف هذا التيار المصرى

---

(١) د . ابراهيم على طرخان : امبراطورية برنو الاسلامية ص

(٢) ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب .
شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٩٧٦ ص

المتفق حتى القرن الخامس الهجرى [١] فالطرق من الجزيرة العربية كلها انتهت بالمهاجرين الى مصر ومنها تفرقت تلك الطرق من جديد نحو شمال أفريقية وشرقها ومنها المتجه نحو أواسط افريقية الى بحيرة تشاد [٢] . وما يهمنا فيها هو الطريق الصحراوى الذى يبدأ من أسوان جانب البحر الاحمر حتى (كسلا) ثم الى شرق افريقية عبر البحر . وهناك طريق كسلا الى منطقة النيل الازرق . حتى غرب سودان وادى النيل ومن هنا الى غرب دارفور حيث وادای وباجرمی وکانم . وطريق آخر من أسيوط يمتد عبر الواحات غربى وادى حلفا حتى بلاد كانم أيضا عبر دارفور . وهناك ايضا طريق من آسوان كرسكو . ابو حمد حتى النيل الأزرق وكردفان . ومن ثم الى منطقة تشاد كل هذه طرق برية تسلكها القوافل من مصر ... وهناك طرق أخرى من طرابلس عبر الصحراء الى كانم وبرنو . وتوجد طرق تسلكها القوافل من جنوب تونس حتى برنو.

والعرب لم يتركزوا مثل اليونان والرومان على الساحل فقط بل توغلوا الى داخل البلاد فى القرى والواحات وعلى ذلك فبينما يرجع الفضل للملوك والدعاة فى الدعوة فى المدن والقصور فالفضل

---

(١) المرجع السابق ص٧ ـ ١٨ ـ ٢٣

(٢) نفس المرجع ص ٢٥

الاكبر يرجع للتجار والقوافل فى نشر الدين الاسلامى بين الاعداد الكبيرة وبين القبائل فى المناطق الصحراوية النائية .

(٢) وبالاضافة للطرق البرية التى تربط بين مصر وتشاد هنا أيضا الطرق التى تربط بين شمال أفريقية وتشاد . يقول سيرتوماس ارنولد : فى القرن الرابع عشر الميلادى هاجر العرب التنجور من تونس الى الجنوب واخترقوا البرنو ووادای (١) أى ان الطريق الهام الثانى بعد مصر كان مصدره الشمال الافريقى عبر ممالك مالى وغانا و صغى ودليلنا على ذلك ان القبائل العربية كالهلاليين وبنى سليم وبنى بكر الذين أتوا من الجزيرة العربية الى مصر ومنها الى تونس (القيروان) وانتشروا فى الجبال وعبر الصحراء حتى وصلوا الى منطقة حوض بحيرة تشاد . قد ساهمت بقوة فى نشر الاسلام والعربية فى هذه المناطق . والنتيجة الايجابية الهامة التى حققتها الغزوة الهلالية كانت فيما ادت اليه من انتشار واسع للغة العربية بين البربر فقد عمد الهلاليون الى مصاهرة قبائل البربر والامتزاج بهم امتزاجا تاما مما ادى الى اقبال البربر على تعلم اللغة العربية اقبالا لم يعرفوه ابان الفتح الاسلامى للمغرب فى القرن الاول للهجرة . الامر الذى ادى بدوره الى تغلغل

---

(١) سير تاوماس أرنولد ـ المرجع السابق ـ ص٣٥٩

الاسلام فى القارة الافريقية كلها وسرعة انتشاره فيها[1] . معنى ذلك ان تعزيز انتشار الاسلام فى منطقة حوض بحيرة تشاد ثم عن الدول الاسلامية فى الشمال الافريقى كالادارسة والاغالبة والموحديين . والمرابطين . ونستطيع تبين أثر المرابطين فى تشاد من خلال العلاقة التى تكلم فيها الدكتور يحيى هويدى فى كتابه تاريخ فلسفة الاسلام فى أفريقية جـ ١ . يقول : " المرابطون هم الملثمون " ومن أهم قبائل الملثمون لمتونة وجداله ومسطه وزغاوة وموتة ولمطه وجزول وترغة . وقبيلة ترغة هى التى اشتق منها اسم الطوارق وهم الفئة الوحيدة من البربر التى مازال رجالها يلبسون اللثام حتى يومنا هذا (٢). وهؤلاء الطوارق هم والزغاوة الذين تتابعوا فى حكم كانم . ففى أيام حكم المرابطين وبعد مقتل عبد الله بن ياسين عام ٤٥٠ هـ أثر خليفته أبو بكر بن عمر أن يتجه بجيوشه لمقاتلة كفار السودان . فخرج الى الصحراء . وكانت هذه الخطوة مرحلة هامة من مراحل انتشار الأسلام فى غرب القارة الافريقية جنوب الصحراء تضاف الى جهود الادراسة فى هذه المنطقة (٣). معنى ذلك ان الدعوة الى الاسلام جاءت

---

(١) د . يحيى حامد هويدى ـ فلسفة الاسلام فى الشمال الافريقى ط ١ ص ٩٨ ـ ١٠١ .

(٢) د . يحيى هويدى . المرجع السابق . ص ١٩٤ ـ ١٩٥

(٣) المرجع السابق ص ١٩٨ .

من طريقين مختلفين من مصر ومن الشمال الافريقى . وكما جـــاء فى المصادر المحلية . ان مصر قد سبقت فى الدعوة الى الاسلام ولاة المرابطين ومع ذلك فالتأثير قوى من كلا الطريقين . وهـــذا يدل على ان العلاقات التجارية والصلات بين كانم والاقاليم المجاورة مصر والشمال الافريقى " كانت وثيقة ومستمرة فى نشاطها " .

وأود ان أوضح نتيجة جانبية هامة . وهى ان التواجـد الاسلامى فى تشاد قد تدعم عن طريق التجارة قوى بذلك مـــن مركز الدين الاسلامى ووسع من انتشار اللغة العربية وبالاضافـــة الى هذه النتيجة الهامة فقد تدعم عن طريق ذلك الفتح نفســه اقتصاديات وتجارة ممالك تشاد (١).

ونستطيع ان نقول دون مبالغة ان تاريخ تشاد قبـــل الاسلام تاريخ كساد اقتصادى شأنه فى ذلك شأن المناطق الافريقية الاخرى الواقعة جنوبى الصحراء ويرجع هذا الى حالة الكســاد والركود التى أصابت الاقاطر فى حوض النيل الادنى وشمال افريقية بسبب الحروب والانقسامات والمنازعات الداخلية فى الامبراطوريـــة الرومانية واستطاعت البلاد استعادة علاقاتها الخارجيـــــة وصلاتها التجارية بدخول الاسلام (٢) واستقرار الحياة اليوميـــة

---

(١) الشاطر البصيلى عبدالجليل ص ٤٢١
(٢) نفس المرجع نفس الصفحة .

وذلك فى القرن الحادى عشر الميلادى وتمكنت من احياء تجارتها كما اتصلت فى علاقات ودية مع جيرانها تونس والمغرب والاندلس ومصر فقد كانت الكانم سوقا لتبادل السلع وانتقل اليها التجار من كل صوب .

ونخلص من ذلك أن هناك صلة قوية بين انتشار الاسلام والتجارة فاذا برزت مدينة تجارية يؤمها البائع والمشترى سرعان ما تصبح مركزا ثقافيا يؤمه المعلم والمريد حيث أصبح من الشائع ان مراكز الاحتكاك تبودلت فيها السلع والافكار[1] . وهذا يبين أثر العامل الاقتصادى . طرق التجارة والقوافل فى انتشار وتقدم الاسلام وما صاحبه من فكر وحضارة من خلال اللغة العربية التى نقلت مع الدين الاسلامى او بمعنى أدق نقل من خلالها الدين الاسلامى الى ~~القارة~~ . القارة السمراء

.. ..

---

(١) د . احمد شلبى . التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية جـ ٦ ص ١٩٤

ثانيا : العامل السياسي :-

لم تكن التجارة فقط ولا الوضع الاقتصادى للمسلمين هو الوسيلة الوحيدة التى انتقل من خلالها الدين والحضارة والفكر الاسلامى الى تشاد ، بل كانت هناك عوامل متعددة مثل العامل السياسى ، الدينى ، الفكرى الحضارى وغيرها . وكما تحدثنا عن العامل الاقتصادى سنتحدث عن العوامل الاخرى بادئين بالعامل السياسى الذى يتلخص فى لجوء المسلمين المضطهدين من قبل دول اسلامية تعارضهم ، أو دولة جاءت على انقاض دولتهم الى أطراف هذه الدولة او الى دول مجاورة جنوب الصحراء الافريقية بعيد من اضطهاد حكام هذه الدولة وعن رقابة جواسيسها من أجل المحافظة على حياتهم ، او من أجل نشر مبادئ دولتهم او للدفاع عن عقيدتهم او الدعوة لفكرتهم فى أرضا ليست محاربين وبين اناس متعطشين للعقيدة وهذا العامل يعد فى مقدمة عوامل انتشار الاسلام ، مرجعه الى الخلافات التى تقع كثيرا بين الاحزاب والفرق الاسلامية المتصارعة كالشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة ، او الصراعات بين الدولتين العباسية والاموية فى الشرق وبينهما وبين دول المغرب الشيعية ، الفاطمية ، الاسماعيلية الذى عادة ما يؤدى الى سقوط دولة وقيام أخرى وينتج عن ذلك انتقام الدول الجديدة

المنتصرة من كل أنصار ودعاة الدول المنهارة هذا السبب الـــذى اضطر الكثيرين الى الفرار من الاضطهاد نجاة بحياتهم او نشـــرا لدعوتهم فبدأوا يتخذون طريقهم الى افريقية بعيدا عن عاصمـــة الخلافـــة .

ويبدو أن الاضطهاد السياسى الذى لحق بالامويين مـــن قيام دولة الادارسة بالمغرب أدى الى نزوح اعداد هائلة مـــن الامويين الى داخل القارة الافريقية حيث وجدوا الامان المطلـوب . سارت بهم القوافل داخل الصحراء والوديان والجبال وانتشرت غربى القارة وجنوب الصحراء حتى السنغال والنيجر . وحوض بحيـــرة تشاد . ووجدوا الطبيعة تلائم حياتهم فعاشت هذه القبائـــل العربية وتكاثر عددها بمرور السنين وحملت لواء الرسالة الجديـدة بين هذه الشعوب . وتمكنت للعرب والاسلام من ان يستقروا فـــى وسط أفريقية . وخبر وجود هؤلاء الامويين معروف ومشهور بيـــن الكتاب القدامى من العرب أنفسهم .

وقد قامت علاقات ودية بين ملوك تشاد من جهة وائمـــة الخوارج القائمين فى ارجاء الشمال القريب من مشارف الصحـــرا .. وكانوا على علاقات طيبة بملوك تونس وراسلوهم . كما يذكروا بذلـك ابن خلدون فى مقدمته .

ثالثا : العامل الدينى ونزعة الدعاة والمعلمون :

ويرتبط بالعاملين السابقين الاقتصادى والسياسى عامل دينى هام يبدو فى جهد مجموعة الدعاة والمعلمون الذين قاموا بدافع من احساسهم بالرسالة وبضرورة نشرها والدعوة اليها " وقاموا بجهود كبيرة وان كانت فردية وبالطرق السلمية فى نقل الاسلام الى مناطق نائية لم يصل اليها من قبل • فيجب أن نشير الى الدور الذى قام به هؤلاء الذين وهبوا أنفسهم لله وساموا فى داخل القارة ينتشرون الاسلام وهؤلاء نوعيات مختلفة منهم الفقهاء القضاة ورجال الطرق الصوفية ومثقفى البلاد وهؤلاء سنرجئ الحديث عنهم الى فترة طويلة قادمة — ومنهم الدعاة الذين وهبوا أنفسهم للدعوة ومنهم طلاب العلم والحقيقة الذين درسوا بالجامعات الاسلامية المختلفة فى الشرق فى جامعات الازهر بمصر وبغداد والمدينة ودمشق او جامعات المغرب الزيتون • بتونس وتمبكتو التى كانت لاتقل شهرة عن جامعات الشرق ومنهم الذين خرجوا للحج ورحلوا الى مكة المكرمة والمدينة لتزودوا بالعلم الدينى ويحيو التجربة الاسلامية الكبرى بالحياة فى نفس الامكنة المقدسة •

وينبغى التنبيه الى ان الكثيرين من بين هؤلاء الدعاة المعلمين كانوا من بلاد أفريقية نفسها من الذين يرحلون للحج ولطلب العلم ويعودون الى بلادهم بعد حصولهم على قدر وفير

من العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير ٠ بالاضافة الـــــى من توفر من العلماء ورجال الدين للتدريس فى مساجد ومدن تشـاد من جامعات شمال أفريقية وغرب افريقيا وتمبكتو ٠ وولاتا وصنغـــى والحجاز للتدريس فى مساجد وارا ٠ وأبشه وتجميى وغيرها ٠ مـــن جامعات شمال أفريقية ٠

وقد حظى هؤلاء الدعاة والمعلمين باحترام شديد ففى بعض القبائل الافريقية القريبة تضم كل قرية دار لاستقبالهم ويعاملـــون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير وينالون احتراما يعلو احترام الملك فى تلك الدول ٠ التى اتخذ فيها القرآن اساسا للحكم ٠ وفى كـل المسائل الدينية تحتاج الدول لخدماتهم وقد بلغ من اجـــــلال الناس لاشخاص هؤلاء المعلمون انه لايتعرض لهم احد حيـــــن يجوسون خلال آمارات لايعدى بعضها بعضا فحسب بل يقاتلـــون مع بعض فى حرب تعلية ٠ ويجلهم الناس مثل هذا التبجيـــــل لافى البلاد الاسلامية وحدها بل فى القرى الوثنية (١)٠ ونستطيع ان نرد هناك أسماء مئات بل الالاف من هؤلاء الجنود المجهولـون فى مجال نشر العقيدة والفكر الاسلامى ٠ الا ان ذلك ليس مجاله هنـــا ٠

ويلى هذا العامل ويحتفظ به جهد رجال الطرق الصوفية الا أننا هنا نميز بينهم ونخصص لاحدهما هذه الفقرة عــــن

العامل الدينى والعامل الفكرى والحضارى الذى يمثله جهد الفقهاء والفضاء ورجال الطرق الصوفية نظرا لأهميته الشديدة ونظرا لخطورته وأسبقيته عن العوامل السابقة كلها حددنا له الفصل القادم لتوضيح كل العوامل السابقة من اقتصادية وسياسية ودينية وبالنسبة للعامل الدينى فنحن نريد ان نركز هنا على مابذله الدعاة من جهد موفق فى نشر العقيدة الاسلامية • السر الحقيقى فى نجاح الدعاة المسلمين يبدو فى سبب واضح وهو ان الداعى المسلم كان منذ اللحظة الاولى التى يعترف فيها المتحول الى الاسلام بالعقيدة يسير مع الداعى سيرا عمليا على المبادىء القائمة على أخاء المؤمنين جميعا ومساواتهم أمام الله قال تعالى :ـ

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله إتقاكم " •

ومن المهم أيضا ان نلاحظ ان لون الافريقى[1] وجنسه لم يحملا بأية حال أخوانه الجدد فى الدين على ان يتعصبوا ضده ولا شك ان نجاح الاسلام قد تقدم فى أفريقية السوداء تقدما جوهريا بسبب انعدام كل احساس باحتقار الاسود وفى الحق ان الدين الاسلامى لم يعامل الاسود او الاصفر (الاعاجم) على أنه من طبقة منحطة كما كان ذلك منتشر بين كثير من الشعوب المسيحية •

(١)

ويورد سير توماس أرنولد : قصة على لسان انسان افريقى قصة حقيقية توضح الفارق بين معاملة المسلمين وغيرهم للسود وذلك يوضح الفارق بين الطريقة التى يتقدم بها كل من الاسلام والمسيحية الى الافريقيين فيقول ذلك الافريقى : نحن نجد الدعاة المسلمين ينفذون الى قلب افريقية ويصلون فى سهوله الى الوثنين ويحولونهم الى الاسلام . وبذلك أصبح السود اليوم ينظرون الى الاسلام على انه دين السود والمسيحية على أنها دين البيض ويرون ان المسيحية تدعو الاسود الى الخلاص ولكنها تضعه فى مكان منحط الى حد انه يقول عن نفسه وقد استولى عليه القنوط : ليس لى نصيب ولاحظ فى هذا الدين . أما الاسلام فانه يدعو الناس الى الخلاص يقول له : ان بلوغك أسمى الدرجات الممكنة انما يتوقف عليك ومن ثم أقبل الاسود بدافع الحماسة على هذا الدين بروحه وجسده [(١)] .

وأعتقد ان هذه الملاحظة تفسر الى حد كبير نجاح المسلم فى الدعوة الى الاسلام اذا ما قورن بالارساليات المسيحية بين الشعوب السوداء فى أفريقية فطابع الحضارة الاسلامية لم ينقطع عن التأثير فى المقلية اوعن العمل باعتباره أحد المؤثرات التى تساعد على تحول عبدة الاوثان الى الاسلام . الذين وجدوا فيه ثقافة ملائمة لحاجاتهم وجديرة بتكييف مظالمهم ومطامحهم .

---

(١) سير توماس آرنولد : ص٣٩٩

نلاحظ مسألة هامة تبين الفارق بين معاملة الاوربى المسيحى والعربى المسلم للسود تبين لماذا أقبل هؤلاء الاخيرين الى دين الاسلام أفواجا ذلك ما وجدوه من آخاء ومساواة والتى تمثلت فى عدم احتقار الانسان لأخيه ايا كان لونه وجنسه • وبالاضافة لذلك نقول ان موقف الاسلام من الرق ومنع تجارة الرقيق ازال عقبة من العقبات الكبيرة فى سبيل انتشار الاسلام فى افريقية السوداء (١).

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠

الفصل الرابع

الحياة الفكرية والطرق الصوفية ودورها في تشاد

ايضاحات :

كان الدخول الاسلامي الى تشاد ايذانا بربطها بالعالم الاسلامي حيث تتصل اتصالا طبيعيا بمصر والسودان والشمال الافريقي خاصة والاتصال ميسر بينهم معنى ذلك ان هناك ارتباطا طبيعيا بين الاسلام في هذه المنطقة مصر والسودان وشمال افريقية وتشاد ومن حيث الحركة الثقافية الفكرية كاعتناق مذاهب فقهية معينة من المذاهب تنتشر أكثر من غيرها مثل ذلك الانتشار الذى يطغى على غيرها من المذاهب والى حد ما الشافعية . ومثل تغلب الاسلام السنى أكثر من الاسلام الشيعى ومثل تغلب الاـ صوفية معينة ذات طبيعة خاصة [1] هذه الفرق والتى تنتشر فى معظم هذه البلدان ولا تقتصر على بلد واحد وتتخذ شكلا موحدا فى هذه البلاد .

---

(١) تذكر كتب التصوف المختلفة اغراض معينة وغايات محددة — للتصوف قلما يتجاوز . وقد أورد الدكتور ابو الوفا التفتازاني بعض هذه الخصائص عرفها رسل فى التصوف والمنطق اوجيمس فى أنواع مختلفة من الخبرة الدينية وولتر سينسر فى التصوف والفلسفة وأورد هو قائمة خاصة تحدد هذه الخصائص هى الذاتية والرمزية والبحث فى المعرفة والاخلاق والسلوك والفناء وهكذا . الا أن — جهاد المستعمر والكفاح ضده سمة تميز تصوف الفرق فى شمال افريقية لم تذكر من قبل . وهى تنتمى للجانب العملى مقابل الخصائص التى أوردها د . التفتازاني التى تنتمى الى التصوف النظرى والمعرفى .

وتعتبر تشاد مثلها فى ذلك مثل دول المغرب العربى بمافيهم مصر او بمعنى أدق الدول الاسلامية الافريقية من الدول التى لم تلقى الاهتمام الكافى بدراسة وضعها الفكرى والحضارى العام – اوالفلسفى بالمعنى الدقيق – وليس هذا راجعا الى فقرا وجدب فى حياتهـا الفكرية – فبالنسبة للحياة الفكرية والفلسفية فى هذه المنطقة من أفكار كلامية فلسفية • ومن ذلك فقد اتخذت الحركة الثقافية والفكرية هناك شكلا خاصا " فالغالبية العظمى أثروا ان ينأوا بأنفسهم عن الخوض فيها • وفضلوا ان يكونوا مالكيين ينظرون الى مجرد الكلام فى مثل هذه الامور العقائدية على أنه بدعة [١] فاذا كانت العلوم التى يخوض فيها البشر الى قسمين : ١– علوم شرعية مثل علوم اللسان • القرآن • والحديث والفقه • التوحيد • الكلام والتصوف بأقسامهم من جهة • ٢– علوم عقلية تشمل المنطق • العلم الطبيعى •العلم الالهى والتعاليم من جهة ثانية [٢] •

---

(١) د • يحيى هويدى • فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية جـ ١ مكتبة النهضة المصرية • القاهرة ١٩٦٥ • ص ١٦٦

(٢) يقسم ابن خلدون العلوم التى يخوض فيها البشر تحصيلا وتعليما الى شقين : أحدهما طبيعى يهتدى اليه الانسان بفكره وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه • الصنف الاول هو العلوم الحكمية الفلسفية التى يهتدى اليها بطبعه فكره وبمداركه البشريه والصنف الثانى هو العلوم النقلية ولا مجال فيها للعقل الا للالحاق الفروق فى مسائلها بالاصول وهى كما يقول ابن خلدون (مستنده الى الخبرة عن الواضع الشرعى) وهى تشمل علوم اللسان • القرآن •الحديث • الفقه التوحيد • علم الكلام • علم الرؤيا • أنظر د • محمد على ابو ريان تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد التاسع العدد الاول ١٩٧٨ – ص ٩٧ – ١٢٣ •

فقد كانت الحياة الفكرية عندهم تميل فى الغالب الى العلوم الشرعية كالفقه والكلام والتصوف وعلوم القرآن ونحن نتبين فروقا جوهرية بين هذين النوعين من العلوم يجب التمييز بينهم ٠

فالعلوم الأولى القرآنية تختلف عن العلوم العقلية الفلسفية وان كنا نسمى العلوم العقلية بفلسفة الاسلامية فنحن نستطيع ان نميزها عن نوع آخر من الفلسفة هو الفلسفة القرآنية التى تستمد من علوم التوحيد والكلام والتصوف وحلول القرآن وتصوراته للمشاكل الفلسفية ونستطيع ان نطلق عليه فلسفة الاسلام كما فعل ذلك الدكتور يحيى هويدى فى كتابه محاضرات فى الفلسفة الاسلامية وتاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية ٠ فهو يميز بين الفلسفة الاسلامية وفلسفة الاسلام فى كتابه " تاريخ فلسفه الاسلام فى القارة الافريقية " الذى يعده كتابا فى علم مقالات الفرق الاسلامية وهو ادنى الى ان يكون فرعا لتاريخ فلسفه الاسلام او الفلسفة القرآنية من ان يكون احد فروع تاريخ الفلسفة الاسلامية وذلك لأن مصدره هو القرآن الكريم وليس التراث اليونانى ٠

فالفلسفة الاسلامية كما تمثلت عند الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد تمثل تلك الحركة المتأخرة نسبيا التى استطاعت فيها الحضارة الاسلامية ان تتمثل التراث اليونانى وتستوعبه

وتغنيه باضافات كثيرة وتقاوم عديدا من عناصره فى الآن نفسه. وهى بهذا تختلف عن فلسفة الاسلام التى ازدهرت بالعلوم الفقهية والكلامية وعلم الاصلين أصول الفقه وأصول الدين والتى كانت لحمتها وسداتها القرآن وفلسفته وتفسيره وكتاب " تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية " أقرب فى روحه الى فلسفة الاسلام هذه من تلك الفلسفة الاسلامية [1]، وقول ان الفلسفة الاسلامية لم تحظ بالاهتمام اللائق بها حتى الان مع اننا فى مسيس الحاجة اليها [2] .

وقد كان حريا بالفلاسفة الاسلاميين ان يتجهوا منذ البدء هذه الوجهة . فلو كانوا قد وجهوا جزءا من مجهودهم الضخم الى تعميق الفلسفة التى قدمها لهم كتاب الله لكان لدينا اليوم فلسفة قرآنية الى جانب تلك الفلسفة الاسلامية التى نقرأ اثارها المختلفة فتساعد كثير بيننا وبين القرآن [3] .

" يتكون العالم الاسلامى فى المغرب من غرب افريقية

---

(١) د . يحيى هويدى . تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية ص٣

(٢) د . يحيى هويدى . محاضرات فى الفلسفة الاسلامية ص٣

(٣) د . يحيى هويدى . المرجع السابق ص ٤

ومن اسبانيا وصقليه • فأما أفريقية فشأنها ثانوى[1] • لـــذا فالكتابة عن تاريخ فلسفة الاسلام والفكر الاسلامى فى القارة الافريقيـة ميدانا فسيح رحب لم يتوفر له حتى الان من يقوم بمهمة البحـــث والتنقيب عن اصوله ومصادره وبالرغم من وجود كتابات قليلة جدا فى هذا المجال[٢] الا ان مجال الكتابة عنه مازال بكر فى حاجـــة الى جهد الكثيرين •

ونحن اذا أردنا تتحديد العلوم النقلية الاسلامية من فقـــه وكلام وتصوف وتوحيد وحاولنا بيان اثرها فى الفكر التشادى وجدنا

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام • ترجمة د • محمــــد عبد الهادى ابو ريده •• لجنة التأليف والترجمة والنشرط ٤ ــ القاهرة ص ٣٦١ •

* يقول الدكتور هويدى ان هذا البحث فى فلسفة الاسلام فـــى القارة الافريقية محاولة لسد هذا النقص ــ الذى تحدث عنـــه دى بور ــ وتفتيش عن أبعاد جديدة لفلسفة الاسلام (ص ٥) وقد تضمنت معالجة الكتاب لاتجاهات فلسفة الاسلام فى الشمـــال الافريقى فى الان نفسه معالجة عرضية للناحية التاريخية البحتـــه فى هذا الجزء من العالم الاسلامى ــ وهذا ما وجهنا ــ فيبـــدو انه لامفـر من هذا أمام مؤرخ الفلسفة • اذ ان علم التاريـــخ عندما يتطور من مجرد علم التاريخ السياسى : تاريخ السيـــر والملوك والممالك والمسالك والمواقع الحربية والمغازى وفتوح البلدان ليصبح علما للتاريخ الاجتماعى للشعوب فانه لابد ان يلتقى حينـذاك بتاريخ الفكر الفلسفى ومع ذلك فالمعالجة التاريخية هنا طفيفـــة جدا بالقدر الذى يعين على تفهم اتجاهات فلسفة الاسلام ص ٦

(٢) لم أجد كتب فى صميم هذا الموضوع بالعربية الا قليل جدا أهمها كتاب د • هويدى عن تاريخ فلسفة الاسلام فى القـــارة =

أكثر العلوم انتشارا هى العلوم ذات الطابع العلمى من العلوم النظرية فبالاضافة لعلوم اللغة العربية التى تمثل وسيلة التفاهم والتخاطب فى الحياة اليومية تجد أيضا العلوم الفقهية التى يستطيع من يتقنها تولى مناصب القضاء والحكم وغيرها فعن طريقها يتم حل المنازعات واصدار الفتاوى والاحكام وأيضا نجد ان التصوف المنتشر هنا هو التصوف العملى وليس النظرى هو تصوف الطرق الصوفية الذى يعد وسيلة للتطبيق الفعلى الحق لاحكام الشريعة من جهة ولكفاح اعدائها من جهة ثانية • وسوف نتحدث هنا عن المذاهب الفقهية المنتشرة فى تشاد ثم أهم الحركات الصوفية ذات التأثير الملموس فيها •

أولا : المذاهب الفقهية :

اذا حاولنا تحديد خريطة توزع عليها المذاهب المختلفة فى شمال افريقيا وجنوب الصحراء الكبرى لوجدنا ان هذه الاجزاء المختلفة لافريقيه الواقعة جنوب الصحراء الكبرى تتبع مذاهب

= الافريقية جـ ١ • كتاب د • محمود اسماعيل الفرق الاسلامية فى المغرب العربى • وكتاب د • عبد القادر محمود عن الفكر الصوفى فى السودان وبعض كتاب عن صوفية ليبيين بمجلة المحكمة التى تصدر عن كلية التربية بطرابلس ليبيا العدد الاول • وان كان هناك اهتمام بالفلسفة الافريقية من جانب المؤلفين الغربيين سنذكره فى مكان تالى •

مختلفة للشريعة . وذلك تبعا للمصادر الاسلامية المختلفة التى تأثرت بها . ففى غرب افريقية يسود المذهب المالكى الذى نشرته فى أول الامر حركة الموحدين فى القرن الحادى عشر وهو ايضا المذهب الرئيسى فى السودان الشمالى بينما فى شمال شرق وشرق افريقيا حيث يطغى التأثير الحضرمى يسود المذهب الشافعى رغم ان جماعات من الاقلية تدين بمذاهب أخرى .

لقد أتى مصدر الشريعة من شمال افريقية الى الصحراء الكبرى وتشاد وهو يحمل المذهب المالكى الذى كتبت له الغلبة فى شمال أفريقية فقد كان حكم الاغلبة مرحلة هامة من مراحل استقرار الاسلام السنى فى هذه البلاد وكان مذهب الامام مالك أوسع انتشارا لقربه من نفوس العامة وذلك لاستبعاده الرأى والتزامه حدود السنة . وكان فقهاء المالكية وراء الاحاطة بحكم الاغلبة لانهم أصبحوا يمثلون فى نظر الشعب زعماء القوميين الذين ضربوا لهم أمثلة فى الزهد والبعد عن السلطان تتعارض مع مظاهر البذخ والترف التى أحاط بها أنفسهم الحكام العرب من الاغالبة .

ويتميز حكم الاغلبة بأنه اقبل فيه على المغرب أكثر من ثلاثين فقيها كلهم لقى مالك ونقل عنه وكلهم كان لهم الفضل فى

نشر مذهب مالك فى الشمال الافريقى وجنوب الصحراء (١) ..

وبرغم ان هذه المنطقة لم تكن غريبة عما يموج به المشرق الاسلامى من أفكار فلسفية وكلامية الا ان غالبية سكانها اثروا ان يبتعدوا بأنفسهم عن الخوض فيها وفضلوا ان يكونوا مالكيين . وقد دخل المذهب المالكى وفى وقت واحد مع المذهب الحنفى لكن الظهور دائما كان للمذهب المالكى (٢) .

لذلك نفسهم الاسس الفلسفية التى قام عليها مذهب الامام مالك فى التوحيد وأصول الفقه أمرا بالغ الاهمية اذا اردنا الوقوف

---

(١) انظر التلخيص الجيد لهذه الرسالة من كتاب الاستاذ الدكتور يحيى هويدى «تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية جـ ١ فى الصفحات من ١٧٧ــ ١٨٦ .

(٢) وقد جمع لنا القاضى عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن غياض فى كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية . وجمع ايضا الامام المالكى ابن فرحون المتوفى ٧٩٩هـ فى كتابه (الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب) نيفا وستمائة وثلاثين اسما من أعيان ومشاهير المالكية وحذا حذوهم بعدهم من رجال القرن السابع الهجرى احمد بابا التمبكتى وذلك فى كتابه المشهر (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) وغيرهم .

على حقيقة الاسلام السنى فى القارة الافريقية كلها [1] ونستطيع تحديد هذه الاسس الفلسفية للمذهب المالكى من خلال رسالة أبى زيـــد القيروانى [٢] ، هذه الرسالة التى قدمت لاهل الشمال الافريقـــى مذهب الامام مالك : مذهبه الفلسفى ومذهبه الفقهى وصاحـــب الرسالة هو عبد الله ابو محمد بن ابو زيد وكان امام المالكية فـــى عصره وقدوتهم وهو الذى لخص المذهب وذب عنه وملأت البـــلاد تآليفه وكان يعرف بمالك الفقير وقد توفى عام ٣٨٦ هـ [٣] .

وما يهمنا من الرسالة هو جانبها الفلسفى الذى يدور حـــول الآتـى :

١ـ ما يجب اعتقاده أن الله تعالى اله واحد لا ولد له ولا والـــد ولا صاحبة له ولا شريك له .

٢ـ وما يجب اعتقاده ان الله تعالى فى كل مكان بعلمه اى علمه محيط بجميع الامكنة .

٣ـ وما يجب اعتقاده ان الله تعالى له الاسماء الحســـنى ، وهى غير محصورة فى التسعة والتسعين الواردة فى الحديث ، وان لم يزل بجميع صفاته وباسمائه ومعنى لم يزل عبارة عن القدم .

---

(١) د . يحيى هويدى ـ المرجع السابق ص ١٧٧

(٢) وهذه الرسالة الهامة قد عمت شهرتها الافاق وتولاها كثير مـن الشراح بالتعليق ومن أهم هؤلاء الشراح الامام ابو الحسن فى كتابـه (كفاية الطالب الربانى لرسالة ابن ابى زيد القيروانى فى مذهب سيدنا الامام مالك ، وشرح الامام ابى الحسن ، الشيخ على الصعيدى العدوى وغيرهم) .

(٣) انظر ترجمة حياته (فى الديباج المذهب فى معدن اعيان المذهب) لابن فرحون .

٤ـ وما يجب اعتقاده ان الله كلم موسى بكلامه القديم الذي هو صفة ذاته ، وان كلامه ليس بصوت ولا حرف يسمع في كل جهة بكل جانبية وأن القرآن الكريم كلام الله القائم بذاته .

٥ـ وما يجب اعتقاده الايمان بالقدر .

٦ـ وما يجب اعتقاده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى جعله آخر المرسلين .

٧ـ وما يجب اعتقاده ان الله سبحانه وتعالى يبعث من في القبور بعدم الذوات بالكلية ثم يعيدها .

٨ـ وما يجب اعتقاده ان الصراط حق . قال تعالى فلا اقتحم العقبة . والعقبة الصراط يضرب على جهنم كحد السيف .

٩ـ وما يجب اعتقاده الايمان بوجود حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ابدا .

١٠ـ وما يجب اعتقاده ان الايمان قول باللسان وأخلاص بالقلب وعمل بالجوارح .

١١ـ وما يجب اعتقاده ان المؤمنين يفتنون ، أي يختبروا في قبورهم .

١٢ـ وما يجب اعتقاده والعمل به الطاعة لائمة المسلمين من جانب ولاة أمورهم او حكامهم من جانب علمائهم ايضا .

١٣ـ وترك الجدل في الدين واجب .

١٤ــ والمالكية يتمسكون ببعض التعاليم الفقهية مثل القنوت فـــى الصلاة فى الركعة الثانية وقبل الركوع ومن نوافل الخير المرغوب فيها فى رمضان الاعتكاف وشرطه ان يكون فى المسجد وأقـــل مدة فى ذلك عشرة ايام (١)

وقول : أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول اللـــه واجب فى العمر مرة والاكثار منها محبوب ومعناهما : الاقرار للـــه تعالى بالوحدانية ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

وأفضل الاذكار بعد القرآن : لا اله الا الله ومعناها : لامعبود فى الوجود بحق الا الله ومعرفة الله سبحانه واجبة وهى من أعظـــم اركان الايمان وقد عرفنا سبحانه ذاته الكريمة وصفاته العظيمــــة بأبلغ البيان وأفصح الكلام فهو موجود لا يغفل ولا ينام " وهـــو معكم اينما كنتم " و " لا تأخذه سنة ولا نوم " . " لاتدركـــه الابصار وهو يدرك الابصار " . قديم لا أول له ، باق لا آخر لـه فرد لامثيل له قائم بنفسه لايفتقر الى مكان ولا يحيره نظام " هـــو الاول والاخر والظاهر والباطن " .

" ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " واحد لاشريك لـه ، صمد لاضد له ، أزلى لا ابتداء له ، قيوم لا انقطاع له ، دائـــم على الدوام .

---

(١) انظر التلخيص الجيد لهذه الرسالة فى كتاب الدكتور يحيى هويدى تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية جـ١ فى الصفحات مـــن ١٧٧ ــ ١٨٦ .

" قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن لــه كفوا أحد " .(١)

" قيوم السموات والارض " لم يزل ولايزال منعوتا بالصفات الجميلـــة وحسن الجمال والجلال ، لايقضى عليه بالانتقال والانفصال ولا يبيــــد بتصرم الآباد والآجال وهو مدبر الامور ومحول الاحوال ليس بجســـم مصدر ولا بجوهر مقدر ، ولايماثل موجودا سبحانه وهو العلي العظيم ، استوى على العرش استوا" يليق بجنابه هو فوق كل شي" وعند كل شــي" ومع كل شي" " وهو بكل شي" محيط " .

قريب من كل موجود ليس هو ببعيد ، " ونحن اقرب اليــه من حبل الوريد " ، " والله على كل شي" شهيد " " انه هـــو يبدئ ويعيــد " .

وهو الحليم الكريم حي لايموت ــ وكل شي" هالك ــ لايطرأ عليــه فنا" وهو لكل شي" مالك ، عليم بجميع المعلومات ، يــرى دبيب النمل بالليل الحالك لايعزب عن علمه شي" وهو العليـــم الحكيم ، " يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور " .

يعلم ما توسوس به الانفس وما يخطر عليها ويدور كل ماســواه عاجز وهو القادر على عباده وهو العزيز الغفور مريد لايقع فــــي

---

(١) سورة الاخلاص الآية ١ .

ملكه الا ما شاء وهو العلى الكبير • سميع يسمع انين المذنبين اذا تابوا فنعم المولى ونعم النصير • ان تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله •

هذا وان كلمتا الشهادتان الجامعتان لجميع قواعد الاسلام التفصيلية والمشتملتان على جميع القواعد الشرعية فهما الكلمتان الجامعتان لكل خصال الخير المانعتان من جميع خصال الشر •

فان جميع مايجب على المكلف معرفته من عقائد الايمان فى حق مولانا جل شأنه وفى حق رسله عليهم الصلاة والسلام فهو مندرج تحت كلمة التوحيد ليحصل للمرء العلم بعقائد الايمان تفصيلا واجمالا وليقف كل عاقل على شرف سر هذه الكلمة وما انطوى تحتها من المحاسن حتى يتشعشع القلب عند ذكرها بأنوار اليقين ويتموج فيه أضواء الايمان حتى تتبسط على الظاهر وتنتشر الى علليين وينفتق للمبصر كنز هذه الكلمة العظيمة عن مواقيت فراديس الجنان ويعرف قدر ما منحت من النعمة العظمى •

ثانيا :ـ أثر التصوف وحركة الطـرق الصوفيـــة :

أ ـ التصوف الاسلامى جزء من فلسفة الاسلام :

لقد عد رسل التصوف مع العلم من أهم الدوافع التى تدفـع الناس الى التفلسف • فقد أوحى التصوف الى الكثير من الفلاسفـة بفلسفتهم ونظرياتهم الميتافيزيقية الكبرى [١] • نجد ذلك بامتـداد تاريخ الفلسفة اليونانية والوسطى المسيحية • والتصوف نوعـــان : أحدهما دينى والاخر فلسفى وكان التصوف الدينى يمتزج أحيانـــا بالفلسفة كما هو الشأن عند بعض صوفية المسيحية والاسلام • وكذلك يحدث امتزاج أحيانا عند فيلسوف من الفلاسفة بين النزعة العقليـة والنزعة الصوفية وأن أعظم الرجال الذين كانوا فلاسفة شعـــــروا بالحاجة الى كل من العلم والتصوف فالعاطفة الصوفية هى الملهم لاعظم ما يكون للانسان [٢] •

---

(١) برترند رسل : التصوف والمنطق : نقلا عن الدكتـــور ابو الوفا التفتازانى • مدخل الى التصوف الاسلامـــى الطبعة الثانية دار الثقافة الجديدة الطباعة والنشـــر القاهرة ١٩٧٦ ـ المقدمة •

(٢) انظر ايضا رسل •• نفس المرجع السابق •

وبالنسبة للتصوف الاسلامى فهو عندنا أقرب الى فلسفة الاسلام منه الى الفلسفة الاسلامية فالتصوف بمعنى ما فلسفة ، واذا كنا قد ميزنا بين فلسفة اسلامية وفلسفه الاسلام فنحن نجد مثل هذا التمييز بين نوعين من التصوف تصوف سنى وتصوف فلسفى[١] يقول الدكتور ابو الوفا التفتازانى " فى التصوف الاسلامى هناك تياران " :-
أحدهما : سنى يمثله رجال التصوف المذكورون فى رسالة القشيرى وهم صوفية القرنين الثالث والرابع الهجرى خصوصا ثم الامام الغزالى ثم من تبعه من شيوخ الطرق الكبار ، وهؤلاء جميعا كان يغلب عليهم الطابع الخلقى ، والتيار الاخر فلسفى يمثله متفلسفة الصوفية الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة كالسهروردى ، وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين ، وقد أثار متفلسفة الصوفية فقهاء المسلمين واشتدت الحملة عليهم لما ذهبوا الى القول بالوحدة الوجودية وكان ابرز من حمل عليهم ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ[٢]

وقد مر التصوف السنى بمراحل متعددة وهى بايجاز مرحلة الزهد الواقعة بين القرنين الاول والثانى وعبر عنها صوفية زهاد مثل الحسن البصرى المتوفى ١١٠ هـ ، ورابعة

---

(١) د ، ابو الوفا التفتازانى : مدخل الى التصوف الاسلامى ص ٢٣
(٢) نفس المرجع ص ٢٣ ، ٢٤

العدوية المتوفاة ١٨٥ هـ وكانت هذه المرحلة تدور حول العبادة والسلوك والاخلاق . ومنذ القرن الثالث الهجرى اتجه التصوف الى العناية بأحوال النفس والسلوك وغلب عليهم الطابع الاخلاقى وكانت هذه الدراسة تقودهم أحيانا الى الكلام فى المعرفة الذوقية وأداتها . ومنهجها والكلام عن الذات الالهية من حيث صلتها بالانسان وصلة الانسان بها . وظهر الكلام فى الفناء الصوفى خصوصا على يد البسطامى من جهة ، وجهة أخرى نجد بعض شيوخ التصوف فى القرنين الثالث والرابع الهجريين كالجنيد والسرى السقطى والخراز وغيرهم يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية فى الاسلام التى كانت آنذاك بمثابة المدارس التى يتلقى السالكون فيها آداب التصوف علما وعملا . وجاء الغزالى فى القرن الخامس الهجرى فلم يقبل من التصوف الا ما كان متمشيا تماما مع الكتاب والسنة راميا الى الزهد والتقشف وتهذيب النفس . ومنذ القرن السادس الهجرى ، أخذ نفوذ التصوف السنى فى العالم الاسلامى يزداد بتأثر عظيم شخصية الغزالى . وظهر صوفية كبار كونوا لأنفسهم طرقا لتربية المريدين منهم السيد احمد الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ والسيد عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٦٥١ هـ وهما متأثران بتصوف الغزالى .

ثم ظهر في القرن السابع الهجرى شيوخ آخرون ساروا على نفس الطرق أبرزهم أبو الحسن الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وتلامذته ومنذ القرن السادس الهجرى نجد مجموعة من متفلسفة الصوفية كابن عربى وابن سبعين وابن الفارض • وقد حاول بعض هؤلاء تأسيس طرقا صوفية ولكن الطرق التى أسسوها لم يكتب لها الاستمرار في الوجود في العالم الاسلامى لما أثير حول عقيدة مؤسسيها من شبهات كالطريقة الاكبرية السبعينية • وليس الامر كذلك بالنسبة للطرق الاخرى التى كان يغلب على دعاتها الاتجاه • العملى التربوى كالقادريه والشاذلية التى استمرت حتى يومنا الحاضر (١) •

وما يهمنا هنا هو الحديث عن الطرق الصوفية التى كان لها أثر فى العالم الاسلامى وامتدت تأثيرها من مجال السلوك الى مجال نشر الدعوة وجهاد المستعمر والتى كان تأثيرها واضح فى الشمال الافريقى والمغرب الاسلامى والسودان الاوسط وتشاد •

وأصل لفظة طريقة تطلق على مجموعة افراد من الصوفية ينتسبون الى شيخ معين ويخضعون لنظام دقيق فى السلوك الروحى ويحيون حياة جماعية فى الزوايا والربط والخانقاوات او يجتمعون

---

(١) د • ابو الوفا التفتازانى •مدخل الى التصوف الاسلامى ص ٢١ـ٢٥

اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام . وقد اختلفت أسماء الطرق باختلاف أسماء مؤسسيها وهي تهدف الى غاية واحدة . والخلافات التي كانت ولا تزال بين الطرق هي اختلافات في الرسوم العملية فقط ، فهي أشبه بمدارس تتحد غايتها في التعليم الروحي وتختلف وسائلها العملية فيه باختلاف المعلم الذى يجتهد في أن يضع لتلاميذه قواعد ورسوما خاصا يرى انها أفضل في تعليمهم . وذلك من أجل :ـ

١ـ التفقه في علوم الدين .

٢ـ العبادة وذكر اللـه .

٣ـ تقوية الصلات الاجتماعية بين المسلمين .

٤ـ مواجهة الظروف والازمات التي تواجه الجماعة الاسلامية .

ولقد شهد الشمال الافريقي في الفترة التي اعقبت تفكك الموحديين وسقوط دولتهم روح غريبة جعلت الشعب يقبل اقبالا لم يعرفه من قبل على أمور المجاهرة والكشف وينخرط في الزوايا والربط ، وبدأت تتشكل بهذا الطرق الصوفية التي ملأت البلاد من أقصاها الى اقصاها وانقسم المغرب كله الى " شيخ " هؤلاء يقولون نحن اتباع سيدى فلان وخدم الطريقة الفلانية وهؤلاء يقولون نحن اتباع هذا الشيخ الآخر (١)

---

(١) د . يحيى حامد هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية ص٣٤٣

وبوسعنا أن نرجع جميع الطرق الصوفية التى انتشرت فى الشمال الافريقى الى طريقتين :

(١) الطريقة القادرية ، التى ظهرت فى المغرب الاوسط (الجزائر) وفى تونس حيث كانت سيطرة العثمانيين واضحة .[1]

(٢) الطريقة الشاذلية ، التى ظهرت بفروعها المختلفة فى المغرب الاقصى حيث ظهرت دولة السعديين .

ففى المغرب ظهرت الطريقة الشاذلية وانتقلت منها الى مصر ومن مصر الى اقطار اسلامية عدة . والطريقة الشاذلية هى المنسوبة الى ابى الحسن الشاذلى ، وهو سنى بارز ، سنى الاتجاه وأصله من شاذلة بتونس ، وكون مدرسة صوفية مشهورة ، وكان لهذه المدرسة اثر كبير فى العالم الاسلامى فانتشرت فى كل اتجاه ووصلت الى الاندلس وشرقا الى الملايو كما انتشرت فى الشمال الافريقى وغرب افريقيا ولا تزال واسعة الانتشار فى مصر وغيرها من بلدان العالم الاسلامى[2] ، وقد تفرعت عنها كثيرا من الفرق الصوفية ، يهمنا منها هنا ما أمتد تأثيرها الى داخل

---

(١) د . يحيى هويدى . تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية ص٢٦٢ .

(٢) د . ابو الوفا التفتازانى ، مدخل الى التصوف الاسلامى ص٢٩٣

القارة الافريقية فقد تفرع عن الشاذلية فى المغرب العروسية نسبة الى العباسى احمد بن العروسى المتوفى سنة ١٤٦ هـ [1] وهى من الطرق التى انتشرت فى منطقة تشاد ولكن على نطاق ضيق بالمقارنة بغيرها من الطرق • وقد اعاد تأسيسها عبد السلام الفترى المتوفى سنة ١٧٩٥ نسبة الى بحيرة فترى• وهذه الطريقة تعرف ايضا باسم (العروسية السلامية) نسبة الى الشيخ عبد السلام هذا الذى كان زعيمها وقطبها بتشاد • غير ان اتباع هذه الطريقة سرعان ما تحولوا عنها الى الطريقة التيجانية [2] التى انتشرت بشكل موسع فى تشاد •

والتيجانية نسبة الى احمد بن محمد المختار بن سالم التيجانى فهى ايضا فرع من الشاذلية والسنوسية نسبة الى محمد بن على السنوسى المسمى بالشيخ السنوسى • والذى سوف نتحدث عنها بالتفصيل بعد قليل• هذا عن فروع الشاذلية التى سيطرت على الشمال الافريقى وهناك ايضا الطريقة القادرية على ان ثمة نشاطا ايجابيا للطرق كالقادرية والسنوسية والتيجانية ظهر

---

(١) د • يحيى هويدى •فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية ص ٢٩٢

(٢) د • ابراهيم على طرخان • امبراطورية البرنو الاسلامية ص ٧٥

فى العصر الحديث فان مريدى هذه الطرق هم الذين سعوا فـــى نشر الاسلام ودعوا اليه فى افريقيــة وفى ذلك يقول " كوبولانى "

" كانوا يهدون الى الاسلام الاقوام ونجدهم يبنون زوايـــا جديدة فى هذه الاقطار الواسعة الشاسعة الممتدة من شمال افريقيــة حتى أقاصى السودان [١] . وسنتحدث عن كل منهم بالتفصيـــل .

---

(١) د . ابو الوفا التفتازانى ،مدخل الى التصوف الاسلامى ص ٢٢٩

أ ـ الطريقة التيجانية * :

تعد التيجانية فرعا من الشاذلية ، فقد نشأت بالجزائر في نهاية القرن الثامن عشر والذى أنشأها الشيخ احمد بن محمد المختار بن سالم التيجانى ١٧٣٧ ـ ١٨١٥ ، وكان أحد أهالى عين ماضى ببلاد الجزائر ، وقد تنقل الشيخ التيجانى فى البلاد الاسلامية مثل تلمسان ومكة والمدينة والقاهرة وتتلمذ لشيوخها ، ثم اسس طريقة صوفية جديدة ، وقد رحل الى الصحراء الكبرى سنة ١٧٨٢ هـ ثم عاد الى فاس ١٧٩٨ ، واتخذها مركزا لنشر دعوته ، وقضى الشطر الاكبر من حياته متنقلا لتنظيم شئون طريقته ، ولما مات أبو العباس الوصى على ابناء شيخ الطريقة انتقلت الوصاية على ولديه محمد الكبير ومحمد الصغير الى محمد بن على التونسى ، ثم خلفه فى الوصاية عليهم الحاج على بن عيسى شيخ زاوية تيجانية فى تماسين ، ولما قتل محمد الكبير فى احد الحروب التى شنها أمراء الجزائر على أصحاب هذه الطريقة تولى محمد الصغير شئون

---

* من أهم المصادر التى تجمع مذاهب التيجانية ورياضتهم كتاب (جواهر المعانى وبلوغ الامانى فى فيض الشيخ التيجانى) المعروف كذلك بالكناش ، القاهرة ١٣٤٥هـ ويقال ان هذا الكتاب من املاء منشىء الطريقة التيجانية وهناك معجم يضم أسماء أعوان الطريقة التيجانية عنوان (كشف الحجاب عمن تلقى مع الشيخ التيجانى من الاحباب) صنعه ابو العباس احمد ابن احمد العباسى ، سكبرج فاس ٣٢٥ ـ ١٣٣٢ ص ٥٤٧ .

الطريقة التيجانية وأخذ ينشر الدعوة ولاسيما فى الصحراء الكبرى والسودان وذلك بارشاد الحاج على بن عيسى [١] وكان له من الاتباع والمريدين والدعاة لها كثيرا من أهل تشاد قديما وحديثا وسوف نتعرض للصوفية التشاديين المعاصرين وذلك فى الفصل السادس من هذا البحث •

وكانت الطرق الصوفية ومنها التيجانية على العكس من التصوف فى المشرق الذى أتخذ طابعا تربويا — فقد كانت فى حالة جهاد مستمرة من أجل نشر العقيدة ، وكان هذا نهج القدرية والسنوسية والتيجانية الا أن اساليبها فى ذلك اختلفت فقد كانت التيجانية مثلا على العكس من القادرية لم تتورع عن اللجوء الى السيف يستعينون به على نشر خطتهم وفى مكافحة المستعمر ، وتحويل الناس الى الاسلام [٢] وعلى الرغم من الفوارق فى انتماءات زعماء الطرق المختلفة والمواقف المتعارضة التى تقفها الطرق نفسها فى مختلف الاراضى المستعمرة فان الوثائق تدل على ان هذه الحركات كانت فى الواقع على اتصال [٣].

---

(١) سير توماس ارنولد • المرجع السابق ص ٤٥ • انظر ايضا فى ذلك كتاب الدكتور حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية الباب الاول • ص ٥٦

(٢) سير توماس أرنولد : المرجع السابق ص ٣٦٦ـ ٣٦٧

(٣) ص ١٠٥ ، جوزيف شاخت : تراث الاسلام • ترجمة د • محمد زهير السمورى • تحقيق د • شاكر مصطفى • سلسلة عالم المعرفة الكويتية العدد ٨ اغسطس ١٩٧٨ ص ١٧١ ، لقد كان زعماء =

وقبل أن أتحدث عن الحركة السنوسية التى تأثرت بالوهابية أتحدث بالتفصيل عن الحركة الوهابية التى قادها زعيمها محمد بن عبد الوهـــاب وما أثارته من جدل فى العالم الاسلامى • وايهاما للسامع انها جـاءت بمذهب خامس يخالف المذاهب الاسلامية الاربعة الكبرى ، المالكيـة، الشافعية ، الحنفيـة ، والحنبلية •

ولم يكن أى اثر أو عامل فكرى أدى الى نشر الدعوة الاسلاميـة فى تشاد لهذه الحركة •

النشأة التاريخية لقيام الحركة الوهابية

ان وادى حنيفة الذى شهد العهد الاول للاسلام نشأة مسيلمـة الكذاب وتحديه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وللدعوة الاسلاميـــة شهد كذلك نشأة صاحب الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بنى محمد بن احمد بن راشد بن بريد التميمـــى الذى ينحدر بأصله الى قبيلة تميم تلك القبيلة التى حافظت علـــى موطنها فى أقليم نجد واستقرت وتوطنت وتركت حياة الرعى والبـداوة واشتغلت بأوجه النشاطات الاخرى من زراعة اوتجارة (١) فقد شهـد

---

(١) راجع الدكتور محمد طه جغرافية شبه الجزيرة العربية جـ ١ ص ١٤٥ •

عام ١١١٥ هـ ـ ١٧٠٣ م ميلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ببلدة العيينة من بلدان العارضى من أعالى نجد بالمملكة العربية السعودية .

ونشأ بها وقرأ القرآن الكريم وحفظه واتقنه قبل بلوغه العاشرة من عمره بالاضافة الى أنه كان شغوفا بالعلم ومبادىء العلوم الفقهية على مذهب الامام بن حنبل على والده الشيخ عبد الوهاب ابن سليمان .

والاضطلاع فى كتبة الفقه والتفسير والحديث والعقائد وكتب ورسائل أحمد تقى الدين بن تيمية وكان حاد الذكاء سريع الحفظ والفهم قال عنه أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب كان أبوه يعجب من فهمه ويعترف بالاستفادة منه رغم صغر سنه . ووالده هو الشيخ عبد الوهاب مفتى العيينة وقاضيها وجده الشيخ سليمان بن على مفتى جميع الديار النجدية .

لما بلغ الشيخ محمد سن الرشد قدمه والده فى امامة الصلاة فأخذ يصلى بالناس اماما ثم تهيأ لأداء مناسك العمرة والحج ثم زار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة حيث مكث هناك شهرين كاملين رأى خلالهما كثيرا من ظواهر الشرك التى ترتكب باسم الدين مما أثار فى نفسه روح المقاومة لهذه الامور

وكان أكثر السكان فى ذلك الوقت حاضرهم وباديهم جهلة تسيطـــر عليهم البدع والخرافات وأصبحت معرفتهم بقواعد الدين الصحيـح نادرة وتمكنت فى نفوسهم عقائد خاطئة بعيدة عن تعاليم الاسلام ٠

وبذا بدؤا يميلون الى التوسل بالقبور وغيرها من الجمـادات التى جاء الاسلام ليحطمها ويقضى على مبادئها [١] وأقام بالمدينـة مدة يقرأ خلالها على الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن يوسف النجدى ثم المدنى وعلى العالم الكبير محمد حياة السندى المدنى صاحب الحاشية المشهورة على صحيح البخارى ثم سافر الى البصـــرة بالعراق وقرأ بها كثيرا من كتب الحديث والفقه والنحو وكـا ن يلازم هناك احد علماء البصرة الكبار ٠ وهو الشيخ محمـــــد المجموعى البصرى ٠ وكان خلال اقامته بالبصرة يدعو الناس الـــى توحيد الله جل وعلا ٠ ونبذ الاشراك به وهجر البدع ٠ وأخـــذ يصرح بذلك لكثير من جلسائه بالبصرة قائلا لهم ان العبادة كلهـا لله ولا يجوز صرف شيء لسواه وقد استحسن شيخه المجموعـــى ذلك ويوضح له معنى (لا اله الا الله) فقبل منه شيخه وانتفـــع به ثم رجع الى نجد الى وطنه مارا ببلدة الاحساء وحل بها ضيفـــا

---

(١) أنظر لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب تحقيـــق الدكتور احمد مصطفى ابو حاكمة دار الثقافة بيروت لبنان ٦٧

على الشيخ عبد الله بن محمد الشافعي الاحسائي ثم رجع الى بلده حاملا زادا كثيرا من العلم وسلاحا قويا من المعرفة ثم بدأ يخلو بنفسه وعكف على دراسة القرآن الكريم وكتب السنة وتفاسير علماء السلف وشروحهم بامعان وتدبير ثم عكف على مطالعة كتب شيخ الاسلام احمد بن تيمية وكتب تلميذه الشيخ محمد بن قيم الجوزية فازداد بها علما وتحقيقا وغهما وكتب الشيخ ابن تيمية الذى تأثر به محمد بن عبد الوهاب لايزال بعضها حتى الآن موجودا بالمتحف البريطانى بلندن وغيره • وكان خلال اقامته بحريملاء ينهى الناس عن الاشراك بالله وينكر البدع التى كانت منتشرة • (١)

والناظر أحوال نجد قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب يجد ان الناس أصبحوا يقدسون الاولياء ويحجون الى قبورهم ويتمسحون على اضرحتهم ويقدمون لهم النذور ويستشفعون بهم لجلب منفعة او دفع ضر •(٢)

---

(١) الدولة السعودية الاولى الطبعة الثانية ١٩٧٦ جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية : دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن •

(٢) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث تأليف احمد امين مكتبة النهضة المصرية — الطبعة الثالثة

وأصبحت هذه الامور عقيدة راسخة عندهم وانتشرت الاضرحة والقبور في كل مكان .

لقد فقد الدين روحه وصار شعائر ظاهرية لاتمس القلب ولاتحي الروح وسادت الخرفات وانتشرت الاوهام وأصبح التصوف العابثا بهلوانية والدين مظاهر شكلية ووسيلة النجاح في هذه الحياة بل جعلوا الدين كلبا يصطادون به المناصب ويتسترون به عند اتيان الكبائر والمنكرات ثم لجئوا الى الكذب والنفاق في كسب المال ولاشك ان البعض منهم اذاً فما بال العالم الاسلامي اليوم يعدل عن هذا التوحيد المطلق في كل شائبة الى ان يشرك مع الله كثيرا من خلقه وأن هؤلاء الناس قادرون على النفع والضر وهذه الاضرحة لاعداد لها تقام في جميع اقطاره يشد الناس اليها رحالهم تشترك مع الله تعالى في تصريف الامور ودفع الاذى وجلب الخير وكأن الله تعالى سلطان من سلاطين الدنيا الغاشمين يتقرب اليه بذوى الجاه عنده وأهل الزلفى لديه أليس هذا ما يقول مشركوا العرب . (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فليس كلام أحد حجة في الدين الا كلام الله وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)[١] انما أمامنا الكتاب والسنة وكل مستوفي أدوات الاجتهاد له الحق ان يجتهد واغفال باب الاجتهاد كان نكبة

(١) [illegible]

على المسلمين ، اذ ضاعت شخصيتهم وقوتهم على الفهم وهكذا شغل ذهنه فكرة التوحيد فى العقيدة مجردة من كل شريك هذا هو اساس دعوة محمد بن عبد الوهاب .

فانتقل الى العيينة واستقبله أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالترحيب وأمر الناس ان يمتثلوا أمره ويقبلوا قوله . وكان بالعيينة كغيرها من قرى نجد الكثير من القباب والاوثان التى يعظمها الجهال وينسبون اليها الكثير من الاكاذيب فقام الشيخ ببيان حقيقة التوحيد لامير العيينة عثمان بن معمر وطلب منه ان يزيل تلك الاوثان والقباب لمخالفتها لعقيدة التوحيد الصافية فاستجاب الامير لذلك وخرج الشيخ ومعه الامير عثمان ورجال كثيرون وهدموا ما هنالك من القباب والاوثان وتولى الشيخ بن عبد الوهاب بنفسه هدم قبة زيد بن الخطاب بيده . فشكوا الناس الى سليمان بن محمد من أعمال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان سليمان بن محمد حاكم الاحساء والقطيف آنذاك فاستجاب لهم وكتب الى الامير عثمان بن معمر كتابا يطلب فيه اخراج محمد بن عبد الوهاب من بلدته وقطع مرتبه ففعل ابن معمر لذلك وطلب من الشيخ مغادرة العيينة . وعندما شعر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان الناس اثارت عليه فى مذهبه الجديد كما يطلق بعض الكتاب على الدعوة السلفية اسم المذهب ويطلق البعض الاخر اسم

الوهابيــة صار يدافع عن نفســه وعن هذه الدعوة الجديدة وأن يؤكد للناس أنه لايدعوهم الى مذهب جديد فى الاسلام وذكر فى احدى رسائله قائلا : انى لم آت بجهالة بل أقولها ولله الحمد ان ربــى هدانى الى الصراط المستقيم ٠

ولست ولله الحمد أدعو الى مذهب صوفى او غيره بل ادعـــو الى الله وحده لاشريك له وأدعو الى سنة رسول الله صلى الله عليــه وسلم وبرهن للناس ان مبادئه التى يدعو اليها ليست بدعة جديدة خارجة عن مبادئ الاسلام بل انها تدعو الايمان بالله وحـــــده لاشريك له له الملك وله الحمد ٠ اما اتباع الحركة الوهابيـــــة فيطلقون على أنفسهم اسم حنابلة او الموحدين او الاخـــــوان السلفيين ٠

وأنكر محمد بن عبد الوهاب وتبعه تلاميذه تقليد احـــــد غير الائمة الاربعــة : مالك ،ابو حنيفة ، والشافعى ، واحمـــد ابن حنبل ٠

فقد أوضح محمد بن عبد الوهاب فى مؤلفاته اهداف ـ دعوته ومبادئه ولهذه المؤلفات أهمية كبيرة فى العلوم الدينيـــة ٠ وهى : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ٠ وكتا ب ـ الكبائر بين فيه الاشياء التى عدها من الكبائر التى تخالف قواعـــد الاسلام ٠

وكتاب كشف الشهاب بين فيه معرفة التوحيد وأصوله • وكتاب السيرة المطولة ذكر فيه سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ـ وبين مواقفه وغزواته • وكتاب السيرة المختصرة وهى اختصار لسيرة الرسول عن سيرة ابن هشام بأسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان الحركة الوهابية اثارت جدلا كثيرا ومازالت تثير فأيدها كثيرون وعارضها كثيرون واتباعها يؤمنون بمذهب أهل السنة والجماعة ويسيرون على طريقة السلف الصالح فيما يتعلق بآيات الصفات وأحاديثها كما يقول أصحابها فهم يقرأون هذه الايات على ظاهرها مع اعتقادهم فى حقائقها وعدم الخوض فى تفاصيلها وتفاسيرها ويترك تفسير بواطنها الى الله تعالى •

فان مالك وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة • ويعتقدون أن الخير والشر كله بمشيئة الله • ولا يكون فى ملكه الا ما اراد فان العبد لا يقدر على خلق افعاله بل له كسب رتب الله عليه الثواب فضلا والعقاب عدلا وأن المؤمنين يرون الله فى الاخرة بلا كيف ولا احاطة •

وعلى العموم فدعوتهم هى الدعوة الى الله تعالى ومعنى (لا اله الا الله) هو اخلاص العبادة لله وحدة ونفيها عن سواه •

بأى نوع من أنواع العبادة • ومعنى (ان شهادة محمد رسول اللـه) طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجـــــر• ويعتقدون ان رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هى أعلى مراتـــب المخلوقين على الاطلاق وأنه حى فى قبره حياة برزخيه أبلغ مـــن حياة الشهداء اذ هو أفضل منهم بلا ريب وأنه يسمع سلام المسلم عليــه وتسنى زيارته الا انه لا يجوز شد الرحل الا لزيارة المسجــــد والصلاة فيه ولا بأس ان يقصد مع ذلك زيارته ومن انفق نفيس وقته بالاشتغال بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدارين •

فان الحركة الوهابية فى أصولها كما يقول محمد بن عبد الوهـاب تعتمد على مصدرين اصليين للتشريع هما القرآن والسنة •

والواقع ان المبادئ التى نادى بها محمد بن عبد الوهــاب كانت كلها مبادئ قديمة جديدة فى نفس الوقت قديمة لكونها لـــم تخرج عن تعاليم الاسلام ولم تأتى فيه بجديد •

وانما هدفه أولا وقبل كل شئ الى محاربة البدع والعــــودة بالاسلام الى اصله الصادق [١] نقلا عن لمع الشهاب •

المسألة الاولى : قال محمد بن عبد الوهاب كل معبـــود من دون الله تعالى باطل وطاغوت قال تعالى (وقاتلوهم حتـــى لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله) [٢] .

---

(١) انظر كتاب لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهـــاب تحقيق الدكتور احمد مصطفى ابو حاكمه دار الثقافة بيروت لبنان ٦٧

(٢) سورة البقرة الاية ١٩٣•

وجه الاستدلال لهذه الآية ان جهال العرب كانوا يعبـــدون الاصنام وغيرها ويتقربون اليها فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلـــم تبعه من تبعه منهم فجعل الكفار يضربون من اسلم به حتى يفتنوهـــم عن دينه وقد فتنوا بعضا من المسلمين ولما هاجر النبى واجتمـــع به المؤمنون فى المدينة أمر النبى صلى الله عليه وسلم بعموم قتـــال الكافرين مع أنهم كفوا اذا من ايذاء من أسلم ولولا عبادة غير الله وفسادها لما جاز قتلهم بغير ذنب فهو الذنب الاكبر الذى لا يغفر الا بالاسلام والتوحيد •

المسألة الثانية : قال عامة الناس اليوم غير موحدين لانهـــم يعبدون غير الله فاستوجبوا القتل لذلك • كما استوجب كفـــار العرب عند بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وما يدل على كفـــر الناس واشراكهم أنهم يتقربون الى الله بزيارة قبر الرجل الصالـــح من نبـى أو ولى ويدعـو بعضهم بعضا بالدعاء المختص باللـــه سبحانه وتعالى من طلب جلب المنافع ودفع المضار التى لا يقـــدر عليها سواه والدليل على ان هذا التقرب والدعاء شرك قال تعالـــى (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) (١)

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٨٨

وجه الاستدلال : ان الله قد أمر نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يتحاشى عن اعتقاد جلب النفع وبلوغ الضر لنفسه من نفسه فكيف حال من هو تابع له فى اعتقاده حول النفع وسلب الضر لنفسه من عند غير الله تعالى •

المسألة الثالثة :

قال ومن الشرك المحرم ادخال اسم نبى او ولى او ملك فى الدعاء لله مثل ان يقول الشخص : اللهم انى اسئلك بحق محمد أو على او جبرائيل اونحوه • والدليل عليه قوله تعالى (١) انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " •

وجه الاستدلال : ان الله هو المعبود بالحق والعمل الصالح هو العبادة ولا يرضى الله تلك العبادة الا بان تتمخض له فاذا ذكر غيره من دعائه فقد اشرك بعبادته لان الدعاء مخ العبادة لقوله تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) (٢) •

المسألة الرابعة : قال ومن الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره الدليل على ذلك قوله تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) (٣)

---

(١) سورة الكهف : الاية ١١٠
(٢) سورة الجن : الآية ١٨
(٣) سورة البقرة الاية : ٢٥٥

وقوله تعالى : لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا (١) .

وجه الاستدلال : بهذين الآيتين ان الله تعالى نفى ان يشفع أحد من خلقه للعصاة منهم الا بعد ان يأمره بالشفاعة ولم يتحقق أمره لاحد بها فى الدنيا فطلبها اذا مما لا يملكها اشراك الله فى ملكه .

المسألة الخامسة : قال ومن الشرك بالله النذور لغيره لقوله تعالى (٢) :

" وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق " .

بيان هذا الدليل ان الله سبحانه وتعالى قرن الامر بالقاء النذور بالامر بالطواف والطواف بالكعبة عبادة لاتكون الا لله فكذا النذر تتمخض له لمحل المقارنة المذكورة فمن اضاف النذر لأحد من الخلق فقد أدخل فى عبادة الله غيره قطعا .

المسألة السادسة : قال مما يوجب الكفر ادعاء علم لا دليل عليه من الكتاب او السنة ولا يعلم الغيب الا الله . قال تعالى (٣) (ولا يظهر على غيبه أحدا) . وقال تعالى (٤) : (ولله غيب السموات والارض) .

---

(١) سورة مريم الآية ٨٧

(٢) سورة الحج الآية ٢٩

(٣) صورة الجن الآية ٢٦

(٤) سورة النحل الآية ٧٧

فاذا ادعى الانسان علم الغيب فقد جعل نفسه شبيها لله في علمه ولا شبيه له ومن صير لله شبيها فقد كفر .

المسألة السابعة : قال منكر القدر في جميع الاشياء ملحد والدليل عليه قوله تعالى :[1] (وكل شيء عنده بمقدار) .

وقال تعالى :[2] (وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين) فقد دلت هاتان الآيتان صريحا على ان الله مريد الكائنات في الازل الى وقتها فمن نفى ذلك فقد أنكر صريح القرآن ولا ريب في كفره .

المسألة الثامنة : قال من يذهب الى تأويل القرآن فقد كفر لقوله تعالى : (ولا يعلم تأويله الا الله)[3] . فاذا قال أنا أعلم تأويله فقد كذب القرآن .

فهذه مسائل كان يطرحها محمد بن عبد الوهاب على العلماء ويطالبهم في جوابها ولذا اشتهرت حتى انها لم تدون كيفية الاصول .

أما الردود التي تناقض نظرية محمد بن عبد الوهاب على المسائل السابقة هي كالاتية :-

المسألة الاولى : فمبنية على المغالطة . ويظهر سرها في المسألة الثانية وهو قوله :

---

(١) سورة الرعد الآية ٨
(٢) سورة التكوير الاية ٢٩
(٣) سورة آل عمران الآية ٧٠

عامة الناس اليوم غير موحدين لانهم يعبدون غير الله فانها دعــوة لادليل عليها • كيف لا وليس التوحيد شرطا الا افراد الرب بالــذات والصفات والافعال والعبادة ومعناها عرف الخدمة على قصد القربــة أى طلب الثواب والمنزلة بوجه قرره الشارع واذا كانت الحالة هــذه فمن الذى يعبد غير الله من المسلمين ؟

فأما زيارة قبر الصالح تقربا الى الله فحق يطلب منه الزائــر التقرب الى الله اى طلب الثواب من الله لا من القبر وصاحبه •

بل جعل زيارته وسيلة لزيادة الاجر عند الله من حيث العظمــة قربــة وليه ونبيه •

ولا ريب فى أنه تعالى يحب أولياءه وانبياءه فاذا عظمهــــم أحد لوجه الله لاغير فماذا عليه • أيستوجب الذم عند الله مــن عظم حبيبه لأجله مع انه لم ينهه عن الزيارة • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قبور أصحابه والسلف كذلك •

أما قوله ولانهم يدعون بعضهم بعضا بما هو مختص بالله تعالى فما هذا الا افتراء منه اذ ليس أحد من المسلمين يدعو أحدا مــن الصالحين بما اختص الله بل بل يطلب من الله الخير خاصة • وقولــه ومن الشرك المحرم ادخال اسم نبى أو ولى فى دعاء الله فجوابــه لايتصوره عاقل ان ادخال اسم ولى او نبى فى الدعاء والطلب مــن الله شرك لأن ادخاله على وجه التوسل به الى الله تعالى لامحــض اجابة الدعاء منه عز وجل •

ومن المعلوم ان الدعاء تضرع وخشوع لمن هو بالغ في العـــزة وهو الله تعالى •

وكلما جعل واسطة من أحبائه اليه كان الدعاء اقرب للاجابة مع انه جاء في شرع بني اسرائيل من قبل موسى •

ان يوسف عليه السلام لما أنزل في الجب او سجن دعى ربه بأبائه يعقوب واسحاق وابراهيم عليهم السلام •

فلو كان التوسل بذكر عباد الله الصالحين في الدعاء اليــــه شرك لما فعله نبـي الله يوسف عليه السلام • لأن الشرك محـــرم قبيح في كل شرع على الاطلاق • وان الانبياء عليهم السلام انمـــا بعثوا لتقرير التوحيد وافراد الله بالعبادة فهم متحدون بأصول الشرائع وان اختلفوا في فروعها كما هو الواقع • ولنا ايضا ان الصحابة رضــي الله عنهم يدعون الله متوسلين اليه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلــــم في عهده وبعد وفاته •

وقوله الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره أعلم ان الشفاعــــة طلب العفو للغير ممن وقعت في حقه الجناية وقد أجمع أمــــــة محمد صلى الله عليه وسلم على ثبوتها ووقوعها للنبي صلى الله عليه وسلـم وكما ان طلبها منه جائز يوم القيامه بالاتفاق ولم تخالف في ذلــــك الا المعتزلة لنفيهم الشفاعة عقلا •

وقد دلت الآية الشريفة على وقوع الشفاعة لمحمد صلى اللـــه

قوله تعالى :[١] (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وخيـــــر الله محقق لأنتفاء الزمان عنه لكن حصول اثرها موقوف الى يــــوم القيامـــة •

قوله ومن الشرك بالله النذور لغيره فاذا نذر الشخص نـــذرا لمخلوق نظر الى قصده ونيته اذ الاعمال بالنيات فان قال قصـدت بهذا النذر وجه الله لكنني أريد ثوابه لهذا الولى او النبى مثــلا • فمثل هذا لايكون نذره لغير الله اذ النيه معتبرة أولا وبالــذات وان قال الشخص قصدت بنذرى هذا لفلان وجهة وتقربا اليه فنــذره على ذلك التقرير حرام •

كذلك قوله مما يوجب الكفر ادعاء علم لا دليل عليه انما ادعـاء علم الغيب حرام منهى الشارع الا ادعاء ممن اطلعه الله عليـــه من رسول او نبـى او ولى لقوله عز وجل[٢] (الا من ارتضى مــــن رسول) فاذا عرف الشخص بقرائن عقلية ودلائل نقلية انه من أهل الله عز وجل علم قطعا ان ما يقوله حق وان لم يسنده الى دليل وحجة اذ الكشف والالهام ثابت شرعا بغير كلام لقوله تعالى[٣] (وعلمناه من لدنا علما) •

---

(١) سورة الجن الآية ٢٧
(٢) سورة الكهف الآية ٦٥
(٣) انظر كشف الظنون ١ : ٦٢

وقوله منكر القدر فى جميع الاشياء كافر • القدر فى عرف الشرع هو ارادة الله الاشياء فى الازل على وجه مخصوص وقدر معين مثل القضاء ومنكره ان كان عن شبه اسنده اليها فلا يكفر على الصحيح بل هو مبتدع بالاجماع •

وان لم يكن عن شبهة اعترته بالنظر فى الادلة الشرعية • بل انكره عنادا او جحده لما عرف من الاقيسه العقلية المحضة فقد كفر كمخالفته الشرع الشريف • بغير متمسك منه ولو اشتباها فلا يعذر اذا بالاتفاق • فتعميم الكفر لمنكر القدر لايطابق ماعليه علماء الاسلام كما تقرر فى علم الكلام • وقد نبه على هذا التفصيل الشيخ ابراهيم اللقانى فى الجوهرة يعنى جوهرة التوحيد وهى منظومة فى علم الكلام للشيخ ابراهيم اللقانى المالكى وله عليها ثلاثة شروح (١)

وقوله كل من يذهب الى تأويل القرآن : وقد جوز تأويل ماليس بظاهر الدلالة فى الحديث بلا خلاف واما التأويل فى القرآن فلا يخلو : اما تأويل للمحكم منه وهو ما دلالته على معناه ظاهرة او تأويل للمتشابه وهو ما دلالته على المقصود غير ظاهرة فالاول ممنوع بالاجماع • ولهذا قبح اصحابنا على الباطنية وقالوا ببدعتهم بل قالت الحنابلة بكفرهم • والثانى اختيار الائمة الاربعة عدم التأويل فيه •

---

(١) انظر كشف الظنون ١ : ٦٢٠

" السنوسيــة "

ان الجماعة السنوسية ،والتى بدأت اصلا كحركة اصلاحية احيائيــة اسلامية فى ليبيا فى أوائل ١٨٤٠ قد أسست من قبل محمد بن على السنوسـى وقد توسعت السنوسية التى كانت تنظم فى الزوايا حيث كانت قاعدتهــا ومراكزها فى الجنوب ثم توسعت بصورة خاصة بين ١٨٦٠ ، ١٩٠١ وشملــت تونس ومصر والصحراء الوسطى وتشاد وأجزاء من السودان الغربى مثل السنغال وكانت هذه الحركة ـ المنظمة ـ مهمة لا لكونها حركة دينية فحسب بــل لأن لها أثرا كبيرا على تقدم الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعــب فى ليبيا بشكل عام ولمقاطعة سيرلنكا ـ برقة ـ بوجه خاص ، وكانــت السنوسية فى البداية حركة دينية تذهب الى الاصلاح فى الاسلام ونشــر العقيدة الدينية .

وفى وقت تأسيس الحركة السنوسية ، كانت ليبيا وعلى الاخــص مقاطعة طرابلس تحت حكم تركيا ، ولم تكن الحركة السنوسية تدين بالولاء الى تركيا وفى الواقع وبكل اصلاحاتها الدينية وبتأثيرها على حياة اعضائهــا السياسية والاقتصادية ، وقفت الحركة الجديدة وقفة معادية لاستمرار الحكم التركى لليبيا . وبموجب هذا كان هناك تضارب بين اهداف ومطامع الحركة السنوسية والتركية وفى هذا الوضع كان على الحركة ان تتطور كحركة سياسيــة ودينية مكرسة لتحرير ليبيا من الحكم الاجنبى . وكان السبب الوحيد الـذى لم تباشر الحركة الحرب ضد تركيا هو رابطة الاســلام المشتركــــة

التى كانت تربطهما وكمثال على ذلك استمرت السنوسية فى الاعتراف بالسلطان التركى كزعيم دينى (خليفة) لجميع اراضى المسلمين وعليه كانوا ينادون باسمه فى كل مساجدهم خلال صلاة الجمعة ٠

وفى النهاية حقق نوع من التسوية فاستمرت السنوسية بالسماح للسيادة الاسمية التركية على اراضيها طالما لم يحاول الاتراك التدخل بلا داع فى أمور ليبيا الداخلية وبالمقابل سمحت السلطات التركية للحركة ان تكون مسئولة وخاصة داخل البلاد على واجبات حكومية مهمة معينة ، كالعدل والادارة اليومية والثقافة والحفاظ على القانون والنظام وجمع الضرائب والجزية وكانت أهمية كل هذا ان الحركة السنوسية ومنذ ١٨٥٠ و ١٨٦٠ كانت تدرب الليبيين على أسلوب الحكم الذاتى ٠ وبالاضافة عن الكسب التدريجى للحقوق السياسية لليبيا فقد أعطت السنوسية اثباتات اخرى على تطورها كحركة تحريرية ٠ فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وكان هذا الوقت وقت قيام الفرنسيين بمحاولة فرض سيطرتهم الاستعمارية على السودان الغربى والاوسط بالاضافة الى أقليم النيل ٠ وقد تعزز خوف السنوسية من مقاصد الفرنسيين لحقيقة ان الفرنسيين قد دمروا فى عام ١٩٠٢ مأوى السنوسية (زواياهم) فى كانم قرب بحيرة تشاد ٠

وهكذا أجبرت السنوسية ان تصبح حركة سياسية اكثر في تنظيمها وطموحاتها فمثلا وفي محاولة لايقاف التهديدات الفرنسية الاستعمارية في الصحارى والسودان الاوسط حاول زعيم الحركة السنوسية السيد المهدى القيام بمغامرة سياسية في ١٨٩٨ بالاشتراك مع رابح (القائد الكبير لحركة المقاومة في السودان الاوسط) لتنظيم اتحاد لقبائل الصحراء • ولكن هذا الاتحاد الكونفدرالي لم يدم طويلا على أية حال لأن المهدى مات في ١٩٠٢ •

وبالرغم من ذلك كان له أهميته فمع ان الاتحاد كان قصير الاجل فان مقاومة منظمة من نفس النوع الذى شكله الاتحاد استمرت بالتصاعد ضد الفرنسيين من واداى بين ١٩٠٢ ، ١٩٠٨ ولم يستطع الفرنسيون احتلال المنطقة حتى سنة ١٩١١ •

وبالاضافة الى ذلك اعطت المغامرة الحركة السنوسية تدريجيا وبشكل اكثر كحركة سياسية تهدف الى تحرير ليبيا قوة ويمكن القول حقا ان في معسكر الصحارى ابتدأ التحول الواضح للسنوسية من منظمة دينية الى سياسية وقد جاءت السنوسية كمنظمة سياسية لتوفير الزعامة الضرورية للمقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالي للبلاد •

وبعد هذا التقرير الموجز لبدايات حركة المقاومة الليبية

لتسلقي نظرة على أهدافها وغاياتها وكان الهدف الرئيسى هو الحرية السياسية لليبيا • وثانيا اراد الليبيون الحفاظ على الدين الاسلامى خوفا من ان يستبدله الايطاليون بالمسيحية • وثالثا وبالحكم على نشاطات بنك دي روما وهيئات اخرى مقترنه بما يسمى " التغلغل الاقتصادى " اذ كان الليبيون مصممين على ان لا تستغل موارد بلادهم الاقتصادية من قبل الايطاليين الذين اتهموا بأنهم أتوا (لأخذ اراضينا وحيواناتنا ونسائنا) •

المرحلة الاولى ١٩١١ ـ ١٩١٦ :

بدأت هذه المرحلة بالغزو الايطالى والذى رد عليه الليبيون بالدعوة الى حمل السلاح وهكذا كانت فترة السنوات الخمس كلها فترة قوة مقابل قوة • وكانت تتصف بصورة عامة بسلسلة من النزعات المسلحة بين الغزاة الايطاليين والموافقين الليبيين • ولكن العامل الاكثر أهمية والذى أوقف انتصار الايطاليين المبدئى كانت المقاومة المصممة لليبيين أنفسهم وخاصة العرب البدو ـ القبائل العربية المتواجدة فى دواخل برقة ـ والذين تجمعوا تحت القيادة السنوسية لنصرة الضباط والجنود الاتراك ضد الايطاليين • وفى الواقع وحتى بعد سنة حين انسحب الاتراك رسميا من الصراع • استمرت السنوسية بتقديم القيادة الضرورية واستمرت فى المقاومة حتى عام ١٩٣٢ •

وكان العمل الاول للحكومة السنوسية هو اعلان الحرب المقدسة (الجهاد) ضد ايطاليا •

وكان هذا الجهاد يقوم به ناس مسلمون ضد قوة كافرة • هذا الجهاد الذى كان على المقاومة ان تستمر به حتى ١٩٣٢ وبالفعل استمرت السنوسية ببث الروح الوطنية والحماس الدينى فى الليبيين الذين بدأوا الآن يرون أنفسهم كشعب واحد ضد الغازين الطليان •

وبينما استمر الليبيون بالكفاح ضد الغزو الايطالى لبلادهم بكل النشاط الوطنى والحماس الدينى ساعدت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ قضية المقاومة الليبية بكسب التعاطف من قبل العالم العربى والاسلامى وتصاعدت الصحافة المعادية لايطاليا فى اقطار عديدة مثل مصر وسوريا واعطى هذا الامر لليبيين تأييدا معنويا بالغا •

وحقا فقد وصف الليبيون وخاصة السنوسيون ليس كمقاتلين فقط فى سبيل حرية ليبيا ولكن ايضا كمقاتلين فى سبيل القضية الاسلامية اى كمجاهدين • ومع ذلك وبالرغم من اخلاصهم الدينى وشعورهم الوطنى الملتهب لقضية تحرير ليبيا والدعم المعنوى الخارجى من العالم الاسلامى (العربى) واجه السنوسيون

عدد من الصعوبات وعانوا بعض النكسات خلال هذه المرحلة الاولى ١٩١١ ـ ١٩١٦ من نضالهم ضد الاحتلال الايطالى •

المرحلة الثانية ١٩١٧ ـ ١٩٢٢

عند نهاية المرحلة الاولى للمقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالى لم يحقق اى من الطرفين نصرا نهائيا وكانت تلك الفترة تتصف بالصدمات المسلحة وخلال المرحلة الثانية قرر الليبيون محاولة تعزيز نجاحاتهم خلال العمل الدبلوماسى •

المرحلة الثالثة : ١٩٢٣ ـ ١٩٣٢

وقد تركزت نواة وقيادة حركة المقاومة فى هذه الفترة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٢ كما فى السابق على السنوسيين الذين استمروا ببث روح الدين والوطنية فى الليبين وتنظيم مقاومتهم على اسس حرب العصابات •

وكانت تلك الفترة فترة المجاهد السنوسى عمر المختار الذى لايقهر والذى طغت بطولته الفردية الفذة على هذه الفترة وقد ولد حوالى عام ١٨٦٢ فى برقة وتخرج من اثنتين من الزوايا السنوسية المشهورة فى جانزور والجغبوب • وبعد

الحرب الأولى ضد ايطاليا ، عاد المختار عسكريا محنكا من نفى قصير الاجل فى ١٩٢٣ ليقود ويوجه حركة المقاومة ضد الاحتلال الايطالى لليبيا • وفعلا كان حياة وروح حركة المقاومة ويحتل نفس المكانة مثل عبد القادر فى الجزائر وعبد الكريم (الخطابى) فى مراكش فى مقاومتهم للفرنسيين " عدونا الذى لايستهان به " كما وصفه الايطاليون كان المختار رجلا بسيطا ذا مبادئ عالية ومتدينا وشجاعا • قد تجنب جميع مفاخر الدنيا ومظاهرها وقد ولد قائد رجال وتكتيكا ممتازا لحرب العصابات •

وكممثل عام للسنوسيين ، كان المختار القائد الاعلى لجماعات العصابات موحدا جميع عملياتهم وملاحظا جميع امداداتهم من السلاح والذخيرة والملابس وخاصة من مصر وكان ينظم جمع الضرائب وتوزيعها للسير المؤثر للحرب ، وكانت كل فصائل العصابات رافعة العلم السنوسى تحت امرة عمر المختار تتألف من حوالى ١٠٠ ـ ٣٠٠ رجل مع وكيل القائد وموظف للشئون المدنية وقاضى للواجبات الدينية والقانونية مع ضباط ميرة وضباط آخرين للواجبات العامة •

وقد بقيت تكتيكات المختار نفس تلك التى اتبعها السنوسيون فى فترة ١٩١١ ـ ١٩١٦ من النضال ،وهى تكتيكات حرب

العصابات وكانت تتضمن المناوشات والغارات ٠٠ والكمائن والهجمات والغارات المفاجئة موزعة على كل البلاد وبتكرار متواصل ادى الى احباط العدو الايطالى ٠ فمثلا وفى عام ١٩٣٢ وحده سجلت أكثر من ٢٥٠ مجابهة ومناوشة وصحيح ان الايطاليين أحرزوا عددا من النجاحات العسكرية مثل غزو غدامس فى ١٩٢٣ والجبل الاخضـــر واجزاء من طرابلس فى ١٩٢٤ وجغبوب فى ١٩٢٦ وفزان فـــى ١٩٣٠ ولكن كل هذه لم تستطع قتل المقاومة الليبية وخـــارج مواقعهم وقلاعهم العسكرية كان صعبا جدا على الايطاليين ممارســـة السيطرة السياسية على الجزء الاكبر من البلاد ٠ ولم يتم هـــذا فى الواقع حتى نجح عزاز زيانى من خلال انشاء حاجز مـــن الاسلاك الشائكة لقطع الامدادات عن الليبين من مصر والسودان وحينذاك ضعفت حركة المقاومة ومع هذا رفض المختار ومجموعاتـــه المقاتلة الاستسلام والهرب وبدلا من ذلك استمروا فى تهديـــد المواقع الايطالية ولسوء الحظ أسر المختار فى النهاية وشنـــق علنا وبموته انتهت المرحلة الثالثة لحركة المقاومة فى ليبيـــا ٠

وهكذا ولفترة تقرب من احدى وعشرين سنة قاومت ليبيـــا بنجاح الغزو والاحتلال الايطالى الاستعماريين ٠ ولكون ان ـ النضال استغرق وقتا طويلا كهذا كان مدهشا للايطاليين الذين توقعوا

ان يكون غزو البلاد فى ١٩١١ سريعا وسهلا ولكنهم لم ينجحوا فـــى تقييم السنوسيين ودور الحركة السنوسية فى تقديم الزعامة المؤثـــرة للمقاومة الليبية بجعلها مهمة من الناحية السياسية كمثال جيـــد على الحركة الدينية التى تصبح العمود الفقرى للمقاومة ضدالاستعما ر الغربى ، وكان دور السنوسيين بانهيار قوتهم العسكرية والاحتـــلال الايطالى لليبيا عام ١٩٣٢ وبدلا عن ذلك وحتى سنة استقـــــلال ليبيا السياسى فى (١٩٥١) استمر السنوسيون بالوقوف دفاعـــا عن ليبيا كما وقفت طبقة الافندية للوعى القومى المصرى والمغربى .

ولد عمر المختار فى ١٨٦٢ فى عيلة فرحان وخلال فتـــرة ولادته كانت برقة قد شهدت خلال عقدين قيام وانتشار الحركـــة السنوسية وذلك عام ١٨٤٣ من قبل محمد السنوسى حيث بـــدأت فى الزاوية البيضاء والى الاجزاء الاخرى فى برقة .

وقد تحولت قيادة السنوسيين الى السيد احمد المهـــدى قبل ولادة عمر المختار بثلاث سنوات حيث حققت الحركة تحت قيادة أوج اتساعها فانتشرت الى تونس وسط الصحراء وسط السودا ن وأماكن أخرى كثيرة .

وهكذا فقد رافقت السنوات الاولى من حياة عمر المختـــار

اتساع السنوسية وبلوغ عظمتها بالاضافة الى ذلك ، تحولت قـــوات السنوسيين الى الجنوب باتجاه الصحراء الى جغبوب وذلك قبـــل ولادة المختار بست سنوات •

وهكذا فقبل تحركه الى منطقة الصحراء ووسط السودان فقـــد برز كأذكى تلميذ ومسلم متدين ومكرس نفسه لخدمة الدين • وسرعـان ما أصبح واحدا من انصار الجماعة او ما يسمى (الاخوان) وهـذا يعنى بأنه يستطيع ان يتلو ويردد صيغ وشعائر الصلاة والابتهالات الجماعية ولا يعرف كم مكث ودرس فى جانزور ولكنه ذهب فيما بعـــد الى جغبوب لتكملة دراسته ولم تكن الجغبوب مستقرا ومأوى فحســب بل كانت مدينة جامعية حيث كانت مكتبتها تضم مايقارب ٨٫٠٠٠ مجلدا اضافة الى طلبة يقدرون بـ ٣٠٠ تلميذ •

وقد تلقى عمر المختار الدراسات الدينية وخاصة القـــرآن الحديث واللغات ، الفقه ، المنطق ، والتاريخ ، بالاضافـــة الى الدراسات الادبية فقد تلقى شيئا عن التجارة ، والحـدادة ، والبناء ومهن أخرى كما تلقى تدريبا عسكريا وقد ذكر بأنه كـــان لـه ولع فى فن الفروسيـة •

وهكذا فما ان رحل عن جغبوب حتى كان رجلا كاملا يجمـع كل سمات الرجولـــة •

وكنتيجة لما اظهره من عبقرية وذكاء متقد فى جانزور وجغبوب فقد عينه رئيس السنوسية فى أواسط ١٨٩٠ كشيخ فى زاوية القصور. وكان محقا فى هذا الاختيار وذلك لانه سوف يحكم جماعات تعودت على التحدى والتمرد على الحكومات المركزية.

وعلى أية حال فقد مارس مسئولياته بشجاعة ونجاح خلال السنتين الاولتين من تعيينه. وكشيخ لزاوية القصور فقد تضمنت واجباته الادارة اليومية للمنطقة والتحكيم فى كل المنازعات المحلية حفظ الامن العام جميع الاتاوات والضرائب وصرفها للادارة المحلية وارسال الفايض الى المقر العام فى الكفرة.

وكان الفرنسيون يتبعون سياسة تدعو الى القضاء على السنوسية وازالة نفوذهم ولوقف الفرنسيين شكل رئيس السنوسية السيد المهدى فى ١٨٩٨ بالتعاون مع رابح رئيس حركة المقاومة فى وسط السودان تحالفا بين القبائل الصحراوية. وقد كلف المختار بالعملية من خلال كونه واحدا من قادة السنوسية وذلك من خلال تشكيل التحالف اضافة الى تخطيط الاستراتيجية العسكرية للمقاومة ضد الفرنسيين فى المنطقة . فى الحقيقة لم يستمر التحالف اضافة الى تخطيط الاستراتيجية العسكرية للمقاومة ضد الفرنسيين فى المنطقة. فى الحقيقة لم يستمر التحالف لفترة طويلة حيث توفى

الرئيس السنوسي نفسه في عام ١٩٠٢ الا ان المختار وبقية القيادة السنوسيين الآخرين استمروا في المقاومة ضد الفرنسيين ومنعهم من التقدم من واداى الى دارفور • ولم يتمكن الفرنسيون من احتلال هذه المناطق حتى عام ١٩١١•

بدأ القادة السنوسيين والشيوخ من امثال عمر المختار بتهيئة أنفسهم للمواجهة النهائية مع الايطاليين وعلى هذا فقد بدأوا في الحصول على الاصلحة والذخيرة وركزوا على التدريب العسكري في الزوايا • وهكذا فعندما اصبح التهديد الايطالي حقيقة فان عمر المختار والقادة الليبيين الاخرين كانوا مهيئين للتحدي•

ان الطموح الامبريالي الايطالي لغزو ليبيا برز في اجتياح البلاد في أواخر سبتمبر ١٩١١ ومن هذا التاريخ وحتى عام ١٩٣١ نسق عمر المختار المقاومة السنوسية واقترن بتاريخها ضد الاحتلال الايطالي لليبيا • ان هذه الحقبة الزمنية التي لاتتجاوز العقدين يمكن تقسيمها بصورة تقريبية الى ثلاث مراحل : ١٩١١ ـ ١٩١٦ ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ـ ١٩٣١ ان الايطاليين جابهوا مقاومة عنيدة من الليبيين أنفسهم وخاصة من عرب البادية ـ العرب البدو ـ في المناطق الداخلية تحت قيادة السنوسيين بضمنهم عمر المختار بصفته عضوا بارزا ، ويعمل بصفة رئيس للجماعة السنوسية من خلال ممثلة في بنغازي وقد انضم المختار الى الشيوخ

الآخرين فى برقة الغربية وذلك لقيادة فرقة مؤلفة من المتطوعيـــن الليبيـن لتنضم الى القوات التركية فى بنيته التى كانت بمثابـــة مقر للمقاومة فى برقة الغربية الى حين احتلالها من قبل الايطاليـــن عام ١٩١٣٠

وفى السنوات الثلاثة اللاحقة (١٩١٣ ــ ١٩١٦) استمر عمر المختار فى توجيه حركة المقاومة فى برقة ٠ فى الحقيقة انها كانـــت مهمة شاقـة لانه بغض النظر عن اندفاعهم الدينى والوطنـــى والروح الثورية لديهم ، فقد واجه الليبيون بعض المشاكل وكابـدوا جملة هزائم خلال هذه المرحلة من كفاحهم ٠ فعلى سبيل المثـــال فى منتصف حزيران ١٩١٤ كانت جميع المعسكرات الليبية الرئيسية فى وسط وغرب برقة قد احتلت من قبل الايطاليين ٠ ومن جهـــة أخرى انتشر الطاعون التيفوس ، المجاعة وارتفاع معدل الوفيـا ت اضافة الى الجراد وذلك بين ١٩١٣ ــ ١٩١٥ ٠

ومن جهة ثالثة ، فان (محاولة السلطان العثمانى) ــ لمهاجمة المحتلين الانكليز فى مصر قادت الى هزيمة قاسيـــة للقوى السنوسية والنفى الطوعى لرئيسهم احمد الشريف فى ١٩١٦٠ على أية حال وبالرغم من كل هذه الانتكاسات فان المختار بحلـــول عام ١٩١٦ كان له الحق فى ان يكون فخورا بمساهماته كقائد سنوســى مشهور ٠ ففى البداية ومابين عامى ١٩١٤ ــ ١٩١٥ لم تنجح القوات

السنوسية فى مقاومة الايطاليين ووقفهم فحسب بل فى دفعهم من المقاطعات الداخلية مثل فزان ، جات ،غدامس ، ومن جهة ثانية انتهت المحاولات الايطالية لاستعادة المناطق التى فقدت بهزائم نكراء مخزية ونجحت القوات السنوسية فى حصر وتحديد منطقة تواجد القوات الايطالية الغازية فى عدة مدن تشكل شريطا ساحليا مثل هومس وتاجورا • وقد قوت هذه الانتصارات معنويات المختار ودفعته الى التشبث برأيه بأن الايطاليين سرعان ما يجبرون على ترك مخططاتهم الامبريالية بشأن ليبيا • لذلك رفض فكرة الاتفاقات او المصالحة فى فترة تسمى بـ " الاتفاقيات " ١٨١٧ ـ ١٩٢٢ والتى تشير الى المرحلة الثانية من حركة المقاومة الليبية •

أولا : قسمت برقة الى جزئين ، حيث بقى الايطاليون محصورين فى منطقة الساحل فى حين بقى السنوسيون مستقلين ذاتيا فى منطقتهم الداخلية •

ثانيا : كنتيجة للنقطة الاولى ، فقد كان هناك اعتراف ضمنى للسيد ادريس " الرئيس الجديد لجماعة السنوسيون " بصفته رئيسا لما تبقى من برقة خارج الخط الساحلى المحتل من قبل الايطاليين اضافة الى نصوص اتفاقية عكرمة فان الايطاليين منحوا الليبيين بموجب تشريع الليبيين ـ اكتوبر ـ ١٩١٩ شكلا فى التمثيل الحكومى عن طريق تشكيل برلمان منفرد ، مجلس حكومى ومجالس محلية فيما يختص منطقتى طرابلس وبرقة •

وعلى أية حال فقد رفض عمر المختار هذه الاتفاقيات على اساس ان اتفاقية عكرمة كرست التواجد العسكرى الايطالى فى ليبيا فى حين نص تشريع ١٩١٩ على تشجيع تشكيل حكومة ايطالية مدنية وتوسيع نفوذها • وهكذا فقد صدر قرار عن اجتماع اجدابية والذى حضره عمر المختار بصفته قائد مجموعة ودعا الايطاليين بالتقيد بالخط الساحلى حيث يعاملون هنا كتجار دون السماح لهم بممارسة اى نفوذ او نشاط سياسى وعسكرى •

ان هذا القرار كان الدافع الجزئى للايطاليين للتباحث بشأن معاهدة أخرى الا وهى اتفاقية الرجمة فى ١٩٢٠ وقد منحت الاتفاقية لقب امير للسيد ادريس (رئيس السنوسية) واعترفت بامارته التى تتكون من واحات جغبوب ، اوجلو ، جالو ، كفرة ، اضافة الى اجدابية كعاصمة له ، وليس ذلك فحسب بل اعطى الامير المركز الثانى بعد الحاكم فى المناسبات الرسمية وأعطى حق رفع علمه وقد وافق الايطاليون ايضا ليس فقط على دفع راتب شهرى للامير بل اضافة الى ذلك تحمل نفقات الجهاز الادارى الذى يضم شيوخ الزوايا السنوسية ورؤساء القوات النظامية الكتاب وبقية الموظفين الاخرين •

وقد تضمنت معاهدة الرجمة عبارة أخرى عورضت من قبل عمر المختار وكانت تنص على تسريح القوات العسكرية السنوسية خلال فترة ١٨ شهرا كانت القوات تشكل ٧ معسكرات ، وكان المختار يرأس قيادة اثنين منها •

ولم تكن الغاية من ذلك لاغراض عسكرية بحته بل كانت تتعدى ذلك الى ممارسة النشاط والسيطرة السياسية على عرب الصحراء فى المناطق الداخلية ومن هنا يظهر جليا سبب رفض المختار تلك المحاولة ولم يجد السيد ادريس بديلا سوى اطالة المفاوضات لكسب الوقت •

وقد حاول الايطاليون التغلب على هذه المشكلة بالمراوغة وذلك بتوقيع معاهدة اخرى عرفت بمعاهدة بومريم فى ١١ تشرين الثانى ١٩٢١ مع السيد أدريس والتى نصت على وضع المعسكرين التابعين للمختار مع ثلاثة معسكرات تحت اشراف ثنائى من قبل الضباط الايطاليين والسنوسيين وعلى أية حال فقد استغل المختار والقادة السنوسيون الآخرون هذا الاجراء الجديد لتعزيز حركة المقاومة فقد استخدموا أسلوب المعسكرات المختلطة لنشر دعاية مؤثرة ومناهضة للايطاليين وعليه ، فقد وجد الايطاليون أنفسهم فى موقع يستحيل معه تطبيق او تواجد اى نفوذ على العرب فى الداخل وهكذا وجد الايطاليون خلال فترة السلم ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ عمر المختار كعائق عنيد فى طريق محاولتهم لخلق نفوذ سياسى فى ليبيا وبصورة خاصة فى برقة كل هذا يعنى بأن الفضل يعود الى عمر المختار وغيره من القادة السنوسيين مثل صالح العوامى وخالد الحمرى واستمرت حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الايطالى وحققت تقدما ملحوظا بين سنتى ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ • ولكشف ذلك قرر الايطاليون تحت قيادة الفاشست

ـ الفاشيون ـ اتباع سياسة أكثر عنفا لاحتلال ليبيا • وعلى هذا نقضوا كل الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة مؤخرا مع ليبيا من جانب واحد وقد تصاعد هذا الى ان وصل درجة اعلان الحرب حيث كانت فرصة ثمينه للرد تحت قيادة عمر المختار •

المرحلة الثالثة :

وقد دخلت الآن حركة المقاومة الليبية المرحلة الملحمية حيث استمرت لفترة ثمان سنوات ١٩٢٣ ـ ١٩٣١ وقد كانت اشبه بالمرحلة الاولى الممتدة من ١٩١١ ـ ١٩١٦ حيث تميزت المرحلة الثالثة لحركة المقاومة بالاشتباكات المسلحة ولكن من ناحية اخرى ان المرحلة الاولى تميزت عن الثالثة فمنذ عام ١٩١١ ـ ١٩١٦ كان عمر المختار يقاتل الايطاليين كأى قائد سنوسى آخر ـ كقائد ثانوى ـ ولكنه فى المرحلة الثالثة ١٩٢٣ ـ ١٩٣١ عمل كقائد رئيس وتولى القيادة العامة وعليه فالمرحلة الثالثة لحركة المقاومة الليبية هى فترة عمر المختار الذى لايقهر والذى طغت بطولته الفردية الفذة على الاحداث ككل • وكممثل عام للسنوسيين كان عمر المختار يعمل بصفة القائد العام بجميع مجموعات العصابات حيث كان ينسق عملياتها بصورة فعالة •

أولا : تأمين اسناد اقتصادى مادى متين للكفاح حيث عمل تبرتيبات كاملة لجمع ضريبة العشر من كل السكان وظر بالاتفاق المتسم بالحكمة والمبرمج لكل ما كان يجمع •

ثانيا : ابدى اهتمامه لتنظيم التجهيز من الاسلحة الذخيرة ، الملابس ، ومواد اخرى كانت ترسل من مصر وتوزيعها بصورة عادلة وكاملة على قواته المقاتلة •

ثالثا : عمل على تأمين خدمات تجسسية كافية بحيث اصبح قادرا على تأمين عميل او جاسوس فى كل مركز او معسكر ايطالى •

رابعا : ضمن من وجود السيد ادريس (رئيس السنوسيين) وغيره من القادة السنوسيين فى المنفى فى مصر اضافة الى المقاطعين من المصريين بأن يكونوا على اتصال تام ودائم بشأن التقدم الذى كان يجرى فى حرب التحرير الشعبية •

كان العلم السنوسى يرفع لكل مجموعة من مجاميع العصابات وتحت القيادة العامة للمختار وكانت تتألف المجموعة الواحدة من ١٠٠ـ ٣٠٠ رجل من الرجال الاشداء يرأسهم قائد ثانوى وموظف للقضايا المدنية وقاضى للمسائل الدينية والشرعية ، وضابط للتموين والميرة وضباط آخرون للمهام العامة • كانت تكتيكات المختار اشبه بتلك التى كان السنوسيون يتبعونها مابين ١٩١١ ـ ١٩١٦• وكانت التكتيكات ـ المختار اشبه بتلك التى كان السنوسيون يتبعونها مابين ١٩١١ ـ ١٩١٦• وكانت التكتيكات تتضمن المناوشات ، الغارات ـ الكمائن والهجمات المفاجئة الخ ••• وكانت هذه تتوزع فى كل انحاء ليبيا وباستمرار حيث شلت معنويات الايطاليين ، فعلى سبيل المثال فى السنة الاخيرة فى الكفاح عام ١٩٣١ سجلت أكثر من ٢٥٠ من الاشتباكات والمناوشات •

وكحقيقة لاتنكر فقد أحرز الايطاليون عددا من النجاحات العسكرية كتلك الغزوات فى غدامس ١٩٢٣ ، الجبل الاخضر واجزاء من طرابلس ١٩٢٤ ، جغبوب ١٩٢٦ ، وفزان ١٩٣٠ ولكن لم تحقق اى واحدة منها فى قتل روح المقاومة عند الليبين وفيما عدا مواقعهم العسكرية وتحصيناتهم فقد وجد الايطاليون صعوبة فى ممارسة او احراز نشاط سياسى على الجزء الاعظم من البلاد .

وكحقيقة فان حسن المدادة والسيطرة عند المختار أعطى لليبين روح المبادرة مما وضع الايطاليين فى موقع محفوف بالمخاطر ومقلقل وغير محدود المعالم ، وقد اعترف بذلك بعض القادة العسكريين الايطالين من امثال تيروزى ، كواراد و زولى ودولفو غرازيانى .

فى الحقيقة لم تضعف المقاومة الا بعد نجاح غرازيانى فى قطع الامدادات عن ليبيا من السودان ومصر بعد فصلها بواسطة خط من الاسلاك الشائكة وحتى ذلك الحين رفض المختار ومجموعاته المقاتلة المتواجدة فى كل مكان ان تستسلم بل بالاحرى استمروا بشن غارات متكررة لانهاك وازعاج الايطاليين ودك مواقعهم . ولسوء الحظ القى القبض على المختار فى ايلول ١٩٣١ واعدم بصورة علنية . وهذه النهاية المأساوية توضح نهاية حركة المقاومة وبداية الاحتلال الايطالى لكل البلاد .

وهكذا قاومت ليبيا الغزو والاحتلال الايطالى بنجاح لفترة تقرب من ٢١ سنة . ان الكفاح الذى استغرق هذه الفترة الطويلة

أدهش الايطاليين ، حيث كانوا يعتقدون مسبقا بأن العملية ستكون عبورا لايعوقه أى عائق ولم يحسبوا حساب السنوسيين وقوادهم من أمثال عمر المختار حيث سموه الايطاليون بالعدو الذى لايقهر .

كان عمر المختار فى بطولته طرازا ممتازا من البطولة العربية شجاعا لايهاب الموت ، كريما لايقبل الضيم ، عزيزا لايحتمل العسف ، حرا لايمكن ان يذعن للتسلط ، تربى تربية دينية وفروسية فى مدرسة الشيخ السنوسى ، وعاش طول حياته فى معركة الجهاد ضد الاستعمار الايطالى الذى دهم ليبيا فى أوائل العشر الثانية من هذا القرن ، وحدث بعد الحرب العالمية الاولى ان تغيرت خريطة العالم وأوضاعه السياسية ، وهوت عروش وقامت دول ، وكان ان ظهر فى ايطاليا (موسولينى) دكتاتورا طاغيا يحلم بمجد الامبراطورية الرومانية فى عهدها الاول ، وبدا له ان يحسم الامر بالنسبة للاستيلاء على ليبيا ، لكن ابطال ليبيا صمدوا له وتصدوا لمقاومته ، وحكم موسولينى على سبعة منهم بالاعدام ، فجاءوا الى مصر فأصر على طلبهم لتنفيذ حكم الاعدام فيهم ، ونصح الانجليز بتسليمهم ، وكان الزعيم سعد زغلول رئيسا للحكومة فرفض الطلب .

ولم يقبل البطل عمر المختار ان يترك المعركة فى طرابلس ليعيش فى القاهرة ، وقال : أى حياة هذه ، اذ نخرج من مائدة لندخل الى مائدة ، وكأنهم يسمنوننا كما يسمنون خراف الاضاحى ، والله ان الموت لأشرف من هذه الحياة ، وعاد راجلا الى طرابلس يقود معركة الجهاد ضد الايطاليين .

استطاع عمر المختار ان يوجه ضربات عنيفة الى الايطاليين الاستعماريين كان حديثها يدوى فى العالم ، وحسبه انه لم يمكن الايطاليين من الاستقرار يوما من الايام ، وفى يوم عثر به الجواد فسقط عنه وأسرع الايطاليون فأحاطوا به وأخذوه ، ووضعوا الاغلال فى عنقه وفى يديه وفى رجليه على الرغم من شيخوخته ولما كان جسمه الا جلدا على عظم ، ثم ساقوه وهو على هذا الحال الى المشنقة ومثلوا معه أبشع صور الانتقام ، وضجت بالاحتجاج الامة العربية على هذا العمل الوحشى الدنىء وأقامت الاحتفالات لتأبينه وتمجيده .

وتنتشر السنوسية فى أفريقية الشمالية كلها ، وتنتشر زواياها من مصر الى مراكش كما تمتد فى الداخل فى واحات الصحراء الكبرى وفى السودان ، وكان مركز تنظيمها فى واحة جغبوب فى الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس وفيها كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة ثم يرسلون الى كافة اجزاء افريقية الشمالية دعاة للاسلام ، وبلغت زواياهم الى حوالى ١٢١ زاوية تتلقى من جغبوب التعليمات والاوامر فى كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع هذه الدولة الدينية الكبرى التى كانت تضم فى نظام رائع الألاف الاشخاص من ذوى جنسيات وقوميات متباينة ، ولولم يكن الحال على هذا النحو لفرقت بينهم الفوارق الجغرافية الشاسعة والمنافع الدنيوية المتعددة ،

والسنوسية كانت حركة اصلاح فى الاسلام مثلها مثل الوهابية فى الحجاز والمهدية فى السودان وكانت بجانب ذلك حركة لنشر تعاليم الدعوة ، وبفضلها أصبحت عدة قبائل أفريقية وثنية مسلمة ، وهذا ما حدث للسنوسيين فى تشاد حين نزلت بين شعب التيدا فى بلاتيستى بالصحراء جنوبى واحة فزان فقد نجحت

فى تثبيت الاسلام فيهم [١] ويستعين السنوسيون على نجاح جهودهم فى نشر الدعوة بفتح المدارس • وقد ظفروا من استيطانهم فى واحات الصحراء وخاصة فى واداى بزيادة كبيرة •

وقد ظلت واحة جغبوب المركز الرئيسى للسنوسية الى سنة ١٨٩٥ حيث هاجر الى كفرة الشيخ المهدى بن الشيخ محمد السنوسى وخليفته لانها كانت أكثر توسطا من جغبوب وتوغل فيما بعد الى منطقة بوركو وتبتسى حيث توفى سنة ١٩٠٢ ورأس الجماعة منذ سنة ١٩٠٨ السيد احمد احد افراد مؤسسى الجماعة [٢] ولاتزال السنوسية افراد عائلتها بمدينة آتيا بجمهورية تشاد •

---

(١) سير توماس أرنولد ـ المرجع السابق •ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣ وانظر شلبى ٢١٦ ـ ٢١٩

(٢) د • حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٤٥

٣ ـ الطريقـــة القادريـــة :

كانت الطرق الصوفية متعددة الانتشار وقد كانت الطريقـــة القادرية أول طريقة أدخلت فى جميع المناطق ـ افريقيا جنوب الصحراء الكبرى ـ وكان لها أكبر عدد من الاتباع (١) . والقادرية ترجـــع الى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى (٤٧٠ ـ ٥٧١ هـ) (٢) . الذى ولد فى جيلان سنة ٤٧٠ هـ ورحل الى بغداد عام ٤٧٨ ، درس فقه ابن حنبل وسلك طريق الصوفية واشتغل فى الوعظ ببغـــداد سنة ٥٢١ حيث حاز شهرة كبيرة وكان يرتدى زى العلماء . وعبد القـــادر

---

(١) جوزيف شاخت : تراث الاسلام . ترجمة د . محمد زاهـــد السمورى ص ١٧٠ . ففى القرن السادس عشر أدخلت هـــذه الطريقة فى السودان الغربى بواسطة مركز التبحر العلمى العظيم فى تمبكتو وفى الفترة نفسها نقلت الى (لاهور) التى كانت تحتل مكانا مماثلا فى شمال شرق افريقيا . ص ١٧٠

(٢) انظر " فتوح الغيب للشيخ محى الدين عبدالقادر الجيلانـــى وعقيدته ووفاته على هامش قلائد الجواهر للتسارى ص ١٧٣ ، هويدى تاريخ فلسفة الاسلام ص ٢٥٩ ـ ٢٦٤ وقد كتب فـــى كثيرا منهم ، بهجة الاشرار ، القاهرة ١٣٠٤ هـ . وانظـــر فى ترجمة المناوى الكواكب الدرية جـ ٢ ص ٨٨ ـ ٨٩ الشعرانى الطبقات الكبرى ص ١٠٨ ـ ١٠٩

الجيلاني مثل الغزالي من حيث انه كان فقيها عالما بالاصول والفروع ويربط التصوف بالكتاب والسنة . ولهذا امتدحه بن تيمية [1] .

وقد نشر تلاميذه طريقته في بلدان اسلامية عدة كاليمن وسوريا ومصر والهند وفي تركيا . وفي أفريقيا خاصة حيث أصبحت القادرية من الطرق الكبرى فيها وقد ذكر ترمنجهام ان عبد القادر الجيلاني ظل بطريقة عظيمة فذة ملهما للملايين حتى يومنا هذا فلا تزال طريقته موجودة بمصر والسودان وكثير من بلدان آسيا وأفريقيا [2] وخاصة تشاد ففي غرب أفريقية كانت طائفتان تعملان بصفة خاصة على نشر الاسلام هي القادرية والتيجانية [3] .

وقد دخلت القادرية في أفريقية الغربية في القرن الخامس عشر على أيدي مهاجرين من توات *tout* وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء . ثم لجؤا الى تمبكتو . وفي مستهل القرن التاسع عشر نجد أن النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الاسلامي تأثيرا عميقا تدفع باتباع القادرية الذين يقيمون في الصحراء الكبرى والسودان الغربي الى حياة ونشاط جديدين . وقد امتدت القادرية

---

(١) د . التفتازاني ص ٢٨٧

(٢) د . التفتازاني ص ٢٨٧

(٣) سير توماس ارنولد . المرجع السابق ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ . وأيضا حسن ابراهيم حسن ص ٤٣ ـ ٤٤

على كل مكان يحيط بها شيئا فشيئا . وسرعان ما تطور الدخول في الاسلام من حالات فردية الى جماعات صغيرة ، ومن هؤلاء الذين أسلموا كان يرحل في أغلب الاحيان من هم معقد الرجاء الى المراكز الرئيسية للطائفة لاتمام دراستهم . بل كانوا يمشون الى مدارس القيروان او طرابلس او الى جامعات فاس والازهر . وربما قضوا في هذه البلاد عدة سنوات حتى يتقنوا دراستهم الدينية ثم يعودون الى أوطانهم مزودين تزودا كاملا للاشتغال بنشر العقيدة بين مواطنيهم . وعلى هذا النحو تسربت نواة الاسلام الى عبدة الاوثان وانتشرت العقيدة تدريجيا انتشارا عظيما بصفة مستمرة وتم ذلك بخطوات غير محسة في الغالب . وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر يؤسسون المدارس ويشرفون عليها .

وكان نشاط هذه الجماعة في الدعوة سليمة للغاية يعتمد كل الاعتماد على الارشاد على أن يكون الواحد منهم قدوة لغيره كما كان على مبلغ تأثير المعلم منهم في تلاميذه كما يعتمد على انتشار التعليم . وقد انتشرت القادرية في بلاد السودان حين قدم تاج الدين البهاري من بغداد في أوائل سلطنة الفونج [(١)]

---

(١) د . عبد القادر محمود .. الفكر الصوفي في السودان .

" الفصـــل الخامـــس "

أثـر الفكـر الاسـلامى على المعتقدات المحليـــة

فـى تشـــــاد

الفصل الخامس

اثر الفكر الاسلامي في المعتقدات المحلية في تشـــــاد

تحدثنا فيما سبق عن دخول الاسلام الى ممالك تشاد الثلاثة كانم ، ووادای وباجرمی وتحدثنا عن عوامل انتشار الفكر الاسلامي التي ساعدت على تقوية الفكر الاسلامي في تشاد وفي هذا الفصل سوف نقوم ببحـــث اللقاء الحضاري الذي يتم من خلال الاحتكام الديناميكي بين الفكـــر الاسلامي بمعانيــه المختلفة الدينية والفلسفية والحضارية مع المعتقدات المحلية لشعب تشاد والقبائل المختلفة هناك وتتبع أثر الفكر الاسلامـي في دينهم الوثني وعبادتهم للاصناف والاوثان بشكل يشبه ما كان موجـود في الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام كذلك سوف نتعرض بالبحـــث لكيفية تشكيل الدين الجديد للاساطير[١] والمعتقدات المختلفة التـي سيطرت على شعب جنوب الصحراء الكبرى وحوض بحيرة تشاد وكيـــف

---

(١) الاسطورة قصة متداولة أو خرافية تتعلق بكائن خارق او حادثـــة غير عادية سواء كان أو لم يكن لها اساس واقعى او تفسيـــر طبيعي • والاسطورة بالمعنى الواسع الفضفاض للكلمة قصـــة مخترعة او ملفقة • ولاتعرف مصادر الاساطير او مؤلفوهـــا • الا ان موضوعها غالبا مايدور حول مغامرات الالهة او الابطـــال الذين يمتلكون طبيعة خرافية او خارقة واللذين تسببوا فـــي احداث تغيير في حركة الكون أو في اوضاع وشروط الحياة الاجتماعية =

تعامل الفكر الاسلامى وأحتك بهذه العقلية • والتفاعل الفكرى والحضارى بين كل من الدين الجديد والمعتقدات والاساطير الوطنية المحلية ونتيجة هذا التفاعل وما تم فيه من تغير لثقافة وصفات الممالك التشادية وطرق الحياة المادية فى الملبس والمأكل والطقوس والعبادات وطرق السلوك والتفكير المختلفة • ووسيلتنا الى ذلك تتبع أثر الدين الجديد وفكره العقلى فى تقدمه الى داخل القبائل وماتم أثر ذلك من توحيد لها فى كيان واحد قوى وتغير البيئة الاجتماعية لهذا الكيان وما ترتب على تغير البيئة الاجتماعية المادية من تغير لكل مايرتبط بها من علاقات اقتصادية وثقافية وفكرية بين مختلف أفراد وطوائف وقبائل تشاد •

وتعتبر منطقة حوض بحيرة تشاد جزء من منطقة أفريقية جنوب الصحراء الكبرى وهو الجزء المتاخم مباشرة لشمال أفريقيا • الا ان هناك اختلاف فى سماء كل منهما وما يهمنا هنا هو ابراز أهمية منطقة

= وقد اهتم النقاد والدارسين للاساطير وقوموها تقويما ايجابيا بسبب جمعها بين الفردى والجماعى وتقديمها وصفات للتجربة البشرية • مقبولا وقادرا على البقاء الاستمرار ومن الخصائص الايجابية الاخرى للاساطير عالميتها ولازمانيتها • والبحث فى الميثولوجيا او علم الاساطير وفق مناهج علمية متطورة بحث جديد نسبيا لم يكن قائما قبل أواخر القرن ١٨ غير ان الاهتمام بالاسطورة والفكر الاسطورى لم يلبث ان تطور توطد وتشعب فى نظريات جملته احد الملامات الدالة على أهمية الاسطورة فى تكوين الافراد والجماعات والشعوب •

جنوب الصحراء الكبرى بالنسبة لانتشار الاسلام وازدهار الفكر الاسلامى •

يقول أى ٠م لويس :

فى جنوب الصحراء الكبرى • فى الاراضى المتسعة الممتدة من السنغال فى الغرب الى الصومال فى الشرق (بما فيها منطقة تشاد) • هناك اليوم خمسون مليونا من المسلمين وبذا يكون للاسلام من الاتباع هناك ما يعادل اتباعه فى شمال أفريقيا • الا انه يختلف عن الاسلام فى شمال افريقيا من حيث التركيب الفرقى المعقد والانقطاع فى التوزيع الجغرافى • لذا فان هذه الشعوب الاسلامية تتصف بتنوع أكبر من السمات المميزة لعقيدتها الاسلامية المحلية • ففى كثير من الاحيان تتخلله مجتمعات مسيحية كبيرة وتجمعات قبلية واسعة لاتزال تدين بصورة رئيسية بالاديان الافريقية التقليدية • وكثيرا ما يشكل المسلمون أقليات صغيرة ضمن مجموعات كبيرة غير مسلمه• وحتى فى الاماكن التى تكون لهم فيها الغلبة العددية فان القليل من البلدان التى يعيشون فيها هى اليوم دول اسلامية رسميا • وهكذا ففى قسم كبير من هذه المنطقة يجد الاسلام نفسه فى حالة من الاحتكاك والمناقشة الديناميكية مع ديانات تقليدية عريقة بالاضافة الى المسيحية •• ومن ذلك فما من شك بأن الاسلام يتقدم بصورة ثابته •(1)

---

(١) شاخت : تراث الاسلام القسم الاول • ترجمة د • محمد زهير السمهورى تعليق وتحقيق د • شاكر مصطفى سلسلة عالم المعرفة الكويتية ص١٦١•

ذلك لأن الاسلام بما لديه من رؤية شمولية للكون وتصور عام للمجتمع والعلاقات بين مختلف الافراد داخل المجتمع وقدره على مخاطبة الافراد والمجتمعات المختلفة خاصة وأن الاسلام كدين جاء ليتفق مع كافة البشر لذا " ففى كل مكان كيف الاسلام نفسه مع الثقافة المحلية والبيئة الاجتماعية وقد ادى ذلك فى بعض الحالات الى نشوء تركيبات جديدة فريدة كما هو الحال فى الثقافة السواحلية [(١)]. ويلعب الاسلام دورا على جانب كبير من الاهمية فى السياسات الداخلية للكثير من البلدان. فهو يخلق روابط هامة مابين هذه الدول وهى روابط

---

(١) نفس المرجع ص١٦٢ . ويرى الباحثون ان للاسلام فى افريقية اشكالا تختلف من اقليم الى أقليم. كما ان النظرة الى الاسلام تختلف ايضا . فبعضهم يرى فيه نظاما سياسيا يقوى من حركاتهم التى تتجه نحو الحكم الذاتى وبعضهم يرى فيه تحررا من السيطرة الاستعمارية وأغلبهم يرى ان الاسلام دينا غير غريب عن حياتهم أتى لهم من أفريقية نفسها وليس من اوربا لانه يقوى شعور القومية فى نفوسهم ويهبء لهم الحرية التى ينشدونها ويقول ترمنجهام فى حديثه عن الاسلام فى أفريقية ان الشعوب الافريقية تأخذ من الاسلام العناصر التى تتفق وطبيعتها القومية وطريقتها فى الحياة فكل المسلمون يقدسون الشريعة ويرون انها شعار الاسلام الا أنهم فى الوقت نفسه يطبقون العادات التى ألفوها قبل دخولهم الاسلام عن طريق الملائمة بينها وبين الشريعة الاسلامية . ومعنى ذلك ان الاسلام فى كل قطر استوطن فيه أصبح جزء من التراث القومى وهناك عاملان مهمان هما :ـ

=

ذات قوة سياسية كامنة قد تستغلها الاجيال القادمة • وعلى صعيد غير رسمى فهو يوجد رابطة هوية ومصلحة مشتركة تجمع بين المسلمين ذوى الاصول العرقية والانتماءات السياسية المختلفة وذلك ضمن الظروف المتغايره فى حياة المدن •

وعلينا من البداية تتبع أثر الدين والفكر الاسلامى أولا فى الحضارة الثقافية المادية من حيث عادات الحياة الاجتماعية المختلفة وعلينا بعد ذلك وهذا هو الأهم تتبع اثر الفكر الاسلامى فى الفكر والعقلية التشادية من مختلف نواحيها الفكرية والسياسية وغيرها • ونستطيع ان نقول اعتناق الاسلام قد ادى بالاضافة الى تأثيره على عادات

= ١ـ ان الشعوب الافريقية لها شخصية معنوية تحتفظ معها بنظامها الاجتماعى •

٢ـ وان هذه الشخصية تعمل على التوحيد مع الاسلام والملاءمة بينه وبين النظام الاجتماعى السائد وهذان العاملان سر عظمة الاسلام وانتشاره •

انظر د • حسن ابراهيم حسن «انتشار الاسلام فى القارة الافريقية » مكتبة النهضة المصرية » الطبعة الثانية ٦٤ » ج ٥٠ ـ ٥١ •

أنظر ايضا : سير توماس ارنولد ص٣٩٣ •

اللباس والنواحي الاخرى للثقافة المادية[1] وبصورة خاصة على الهندسة المعمارية فى اعطاء طابع اسلامى قوى للطقوس الحياتية الاساسية التى يتميز بها مجرى حياة الفرد . ذلك لأن هذه الطقوس متشابهة الى درجة كبيرة لدى الجماعات المسلمة الكائنة فى جنوب الصحراء الكبرى . بالرغم من التنوعات المحلية التى سببتها عناصر سابقة للاسلام . وبنفس الطريقة نجد ان التقويم الاسلامى بطقوسه الشعبية وخصوصا فى رمضان (٢) . يعطى طابقا متجانسا لتنظيم الحياة فى جماعات كانت

(١) انظر كل من أ . م . لويس . الحدود القصوى للاسلام فى افريقيا من تراث الاسلام جزء و د . احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٦ حيث يقول نقلا عن :
ص ٦٨٤ : " ان أقبح الرزائل وهى أكل لحوم البشر ، وتقديم الانسان قربانا ووأد الاطفال أحياء تلك الرزائل قد اختفت فجأة والى الابد . والاهالى الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة او أشباه عراة بدءوا يرتدون الملابس بل أخذوا يتأنقون فى ملابسهم والاهالى الذين لم يختسلوا من قبل بدءوا يغتسلون .. واتجه النظام القبلى الى افساح المجال لاساس اوسع نطاقا ، وبعبارة أخرى اندماج القبائل بعضها البعض لتصير أمما بازدياد النشاط والحرفة .

(٢) انظر محمد بن عمر التونسى . تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

بينها فى الماضى فروق كبيرة . وهناك سمات متشابهة تتجاوز الاختلافات العرقية والثقافية الكبيرة لهذه المنطقة الواسعة وتتجلى هذه السمات فى الانماط التقليدية للتعليم الاسلامى وان كان ذلك لا يخلو من اختلافات هامة فى مدى توسع المدارس المحلية للتعليم العالى مثل مدرستى تمبكتو لوجينه فى غرب أفريقيا وهرر فى الشمال الشرقى [١] . أما فيما يتعلم بنظام التعليم قديما فاننا نستطيع ان نرجع الى التونسى الذى يقول فى تشحيذ الاذهان ان " العلوم الدينية عندهم تدور حول قراءة القرآن " . اما قراءة العلوم فمتأخرة " وهو يقصد بالعلوم هنا العلوم الشرعية المرتبطة بالكتاب والسنة وهو يضيف . " وأكثر قراءتهم للفقه والتوحيد " وأما المعقول فقليل جدا ، ومع قلته لا يقرءون الا قليلا من النحو . وذلك لارتباط النحو بالعربية لغة القرآن والتى عن طريقها يمارسون الطقوس والعبادات . اما المعانى والبيان والبديع والمنطق والعروض فلا يعرفون منه الا الاسم [٢] ومن يعرفه منهم يكون قد تغرب لبلد آخر كمصر وتلقاه فيه فاذا رجع لبلده كان هو العالم [٣] . وهذه شهادة التونسى وقت زيارته لبلدان

---

(١) بوزدث ، شاخت ـ تراث الاسلام . القسم الاول . ص ١٦٤

(٢) محمد بن عمر التونسى : تشحيذ الاذهان ، ص٢٨٠ ـ ٢٨١

(٣) نفس المرجع ص ٢٨١ .

السودان الشرقى والاوسط وخاصة باجرمى ووادای وهى تنطبق فقط على العالم الذى شهده التونسى وقت زيارته لهذه البلاد فى حوالى ١٢٢٨ هـ ـ ١٨١٣م (١) اما الان فالصورة تختلف تماما فى نظم التعليم الاسلامى والعام وخاصة بعد الاستقلال ١٩٦٠ فقبل الاستقلال كانت مدارس التعليم الابتدائى والثانوى قليلة جدا لاتتسع الا لاقل من ١ ½ ٪ ممن هم فى سن التعليم وذلك سنة ١٩٤٥ هذا باستثناء المعاهد

---

(١) وقد زار الشيخ محمد بن عمر التونسى بلاد وادای بعد تنقله من شمال " افريقية " الى الحجاز فمصر ثم الى بلاد دارفور وكانت وادای ليلحق بوالده وذلك عام ١٢٢٨ ـ ١٨١٣ وقد أقام فى وادای مدة طويلة وجبهته فيه كثيرا من الصعوبات والمشاكل وبعد أن قضى فى وادای نحو ثمانية عشر شهرا استأذن ـ سلطانها السلطان (صابون) فى السفر الى تونس فأذن له وبلغها عام ١٢٢٦ ـ ١٨١٤ م ثم عاد للقاهرة والتحق بخدمة الجيش المصرى فى وظيفة واعظ والتقى التونسى بالدكتور بيرون الفرنسى الذى درسه له العربية ٠ وقد شجعه بيرون على كتابة مذكرات رحلته الى دارفور ووادای وقد ألف لذلك كتابين :
أ ـ تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ٠
ب ـ ورحلة وادای وقد قام بيرون بترجمتها للفرنسية ونشرها ١٨٥١ ٠ اما النص العربى لرحلة وادای فلم ينشر حتى الان وربما يكون فى حوزة ورثة بيرون تشحيذ الاذهان المقدمة ص ١٣ ٠

الاسلامية التى أقامها المسلمون فى مناطق الشمال وخاصة فى معهد أبشة العاصمة الاسلامية التى فتحت أبوابها للطلاب من مختلف البلاد ليعودوا رسلا الى أقاليمهم ينشرون العلم والفكر والاسلامى[١] اما بعد الاستقلال فالصورة تغيرت تماما فكثرت المدارس للتعليم العام بمستوياته المتعددة باللغة الفرنسية والعربية فى المدارس الحكومية والمعاهد الاسلامية على أن كثير من الطلاب يكمل دراسته العالية فى مصر وفرنسا وبعض البلدان المجاورة[٢]. وبالاضافة الى ازدياد وانتشار التعليم فى ممالك تشاد الا ان الغالبية العظمى من السكان فأكثرهم يتعاملون ويتحدثون باللغة العربية التى هى لغة التعامل اليومى عندهم وقد أخذوا كثيرا من الاسماء عن العربية فأسماء الشهور فى بلاد الفور والواداى أسماء عربية • فلا يعرفون الاشهر الرومية ولا القبطية ولا اعجمية كما يقول التونسى • فأهل العلم منهم يسمونها كما سمتها العرب بالاسماء المشهورة الان كمحرم وصفر وربيع ... الخ وأما عوام الناس فيسمون الشهور بأسماء أخرى وان كان معناها عربيا • لكنها مستهجنة • ويبدأون فى حساب السنة بشوال ولكن باسم آخر فيسمون شوالا بالفطر • وذى القعدة بالفطرين • وذى الحجة بالضحية ومحرما بالضحيتين وصفر بالوحيد وربيعا الاول بالكرامة وربيعا الثانى

---

(١) احمد شلبى : موضوعه التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية جـ١ ص ٦١٦

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦١٦ ـ ٦١٧

بالتوم وجمادى الاول بالتوفيق وجمادى الثانى بسابق التيمان ولم يسلم من التغيير الا رجب ورمضان فيقولون رجبا ويسمون شعبان بالفصير ورمضان رمضان [1] وأسماء الاعلام هناك هى نفس الاسماء العربية المستخدم فى الاقطار العربية المختلفة مثل محمد ، على ، موسى ، عبد الكريم وغيرها . والجدير بالذكر ان سكان تشاد ينقسمون الى قسمين كبيرين :

(١) السكان المسلمون وهم يتكونون من العرب الذين يعملون بالرعى ومن لايرنو الذين يشتغلون بالتجارة وأهل واداى الذين يعملون بالزراعة . ومن التوبو (وهم من البدو الرحل وأكثر المسلمين الذين يعيشون بالمناطق الشمالية ويقدرون بحوالى ٩٠ ٪ من السكان . والتبرى – الباناتا . والبعض الاخر بالتجارة ومن البلالة ، والباقرى ، الكانمبو والزغاوة وأهل وادى يعملون بالزراعة أما التبو والفلات والكريدا والتدا والكتيين الملثمين سكان الصحراء وهم من البدو الرحل أما الكتكو فيشتغلون بصيد الاسماك .

(٢) السكان غير المسلمين ويتكونون من السارا والحقة والماسا والتيسرى البنانا والموندانج وتنتشر بينهم الوثنية التى تقدس الحيوان والظواهر الطبيعية وتقل فيهم المسيحية ويعيش هؤلاء بالمناطق الجنوبية [2]

---

(١) محمد بن عمر التونسى : تشحيذ الاذهان ص٣٢٠
(٢) د . احمد شلبى . موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ج٦ ص ، ٦٠ وانظر ايضا د . فيليب رفله . الجغرافيا السياسية لافريقيا ص ٣٤ .

واللغة العربية هى السائدة فى مناطق الشمال ، واللغة الفرنسية برغم كونها اللغة الرسمية ، الا ان العربية هى لغة الحياة والعلم لغة ٩٠ ٪ من السكان .

وحين نتناول التأثير الهام للفكر الاسلامى نجد ان هذا التأثير يتم خلال الفكر الدينى بصورة واضحة بارزة ويتصل الى تحديد مقدار ذلك التأثير بعملية حسابية محددة وهى أننا سنعرض لدين البربر قبل الاسلام او المعتقدات التى كان يدين بها أهالى تشاد ثم نعرض بها بعد الفتح واللقاء الاسلامى لنرى الفارق الواضح الذى أحدثه الفكر الاسلامى ، وذلك فى مجال الدين والعقيدة . والسكان الاصليين البربر قوم رحل . وكان من الطبيعى أن يتأثر دينهم المجوسى الوثنى الذى كانوا عليه قبل نزول الاديان بطريقة معيشتهم وبمناخ بلادهم الذى كثيرا ما كان يفتقر الى الامطار وبخاصة داخل البلاد فامتلأ دين القوم بكثير من الطقوس والشعوذة والتعاويذ التى كان يرددونها لاستجلاب الامطار هذا الى أن اتساع الصحراء المحيطة بهم وخوفهم من ان يوغلوا فيها جعلهم يعتقدون وجود ارواح شريرة تشيع فى المناطق التى تجاورهم . ومن ثم اختلط دينهم الوثنى بالسحر وامتلاء بالادعية التى كانوا يظنون ان تأديتهم لها من شأنه ان يدفع عنهم هذه الارواح ويساعد الارواح الطيبة على الاقامة بينهم[1] .

---

(١) د . يحى حامد هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية . ص ١٥

ويقول الفرد أبل   فى كتابه (الدين الاسلامى فى البربـر)
دراسة تخطيطية فى التاريخ والاجتماع الدينى الجزء الاول فى نشـأة
الاسلام وتطوره فى بلاد البربر من القرن السابع الميلادى الى القـرن
العشريـن [١] ٠ " السمة الغالبة للتصورات الدينية عند سكـان
الشمال الافريقى وجنوب الصحراء الكبرى اعتقادهم بأن العالم تغيـسح
فى ارواح خبيثة وطيبة تتشكل بأشكال متعددة وبأن هذه الارواح تطول
اقامتها او تقصر فى أمكنة متعددة : فى الحجارة ٠ فى الاشجار فـى
الحيوانات فى الكائنات البشرية ٠٠٠ وهذا الاعتقاد شائع بيـن
البدائيين ويطلق عليه اليوم على الاديان اسم المذهب الحيوى وأغلب
الظن ان البربر فى العصور الحديثة قد ورثوا هذا التصور الدينـى
عن اجدادهم القدامى من الوثنيين " [٢]

ويلخص رينيه باسيه   فى المقال الـذى
كتبه فى مجلة تاريخ الاديان ١٩١٠ تحت عنوان " بحوث فى ديانـة
البربـر " ٠
عناصر هذه الوثنية البربرية فيقول ان البربر عبدوا الصخور والجبـال
ووديان الانهار والمغارات المنتشرة فى الجبال وعبدوا الكواكـب

---

(١) الفرد بل : الدين الاسلامى فى البربر ص ٧٥ نقلا عن المرجع السابق ٠

(٢) أنظر فى ذلك د ٠ حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص٥٠ ـ ٥٨ د ٠ يحيى هويدى : انتشـار الاسلام فى الشمال الافريقى ص ٢٩ ٠

وأهمها الشمس ورمزوا لها بشاه آخطوا رقبتها بقرص يرمز الى قــرص الشمــس(١) والمذهب الحيوى يمثل الاساس العام فى التصور الدينى فى الشعوب الافريقية وهو أيضا الاساس العام لتصور أهالى تشــاد الوثنيين وأكثر من هذا فان الاسلام بالرغم من انتشاره فى القــارة الافريقية وبالرغم من صفاء عقيدة التوحيد التى يقوم عليها الا ان الصورة التى اتخذها فى القارة الافريقية ظلت مع هذا كله متأثرة بهــذا المذهب الحيوى ولم تستطع الشعوب الافريقية المسلمة ـ خاصــة جنوب الصحراء ان تتخلص تماما من آثاره .

ففى مملكة واداى احد ممالك جمهورية تشاد كان السكان يعبدون من الاوثان الاله كلك ويعتبر الاله كلك الاله المحلــى والوطنى لقبائل واداى وهو يتخذ شكل معين ويتجسد فى شخصيــة كورى وله الكثير جدا من الخدم والكهان والشوافيــن ويتخذ الاله كلك مسكنا له الجبال والاشجار بل اى مكان يعتبــر مسكنا له . والاهالى فى كل مكان يقدسونه ويعبدونه وذلك بتقديــم القرابين والهدايا والذبائح التماسا لمساعدته فى جلب نفع أو رد خطر وكان هذا الاله أشبه باله المطر والخصب والرفاهية وأيضــا باستطاعته ان ينذر بالكوارث ويرمى بالخوف والذعر .

---

(١)

والاله كلك والتصورات المختلفة له في وادا ى يجسد نوعا من الاخلاقية - وهي الاخلاق الوثنية بالطبع - وهذه القوى الاخلاقية الوثنية تتداخل في مجرى الحياة الاجتماعية وهي معترف بها من الجميع وهي متوارثة ينقلها جيلا الى جيل عن طريق التلقين وعمليات التنشئة الاجتماعية ويتم ذلك من خلال طقوس خاصة يتدشين عضو جديد ليدخل الى عالم أسرار هذه الديانات القديمة اذ هذه الطقوس تقتصر فقط على طائفة المابا وعند المابا يعتبر الاله كلك اله خالق ، وهم يعتقدون ان قوى الكلك الخفية تتحكم في كل الحوادث التحالف بين الارض والاجداد من جهة والكلك من جهة ثانية .

وكان الاله كلك هو الاله الاعظم والرب الاكبر لكل ما تفرع بعد ذلك عنه من صور متعددة ، تجسدت فيه صورة افراد اعتبرت ارواحها متناهية مع شهر أو جبل أو مع صخرة او شجرة ترتبط كلها بالالة كلك وكان يسند الى كل منها عبادة خاصة فقد كانت كلها تطبيقات تعكس القوى الممثلة للاشكال المتعددة (للكلك) على الحياة والخصب فقد تناقلها القدماء بمعرفتهم وهم يمثلون حلقة وصل بين الكلك وأبناء القبائل ولم يكن هؤلاء القدماء موضع عبادة خاصة الا اذا انتهكت التقاليد القائمين عليها فتنزل اللعنة حينئذ على المنحرفين ، وهذه اللعنة تتفاوت بين المرض وعقم النساء وتنتهي بالموت .

وطائفة المابا تقوم بممارسة الطقوس الدينية الخاصة بالاله كلك

وهذه الطقوس يديرها الزعماء والحكماء الذين يملكون اسرار الاجداد وزعيم القبيلة هو في نفس الوقت الحاكم السياسي له السلطة في البلاد وهو الآمر والناهي والاهم من ذلك هو قدراته وامكانياته الروحية في الاتصال بالقدماء فهو الذي يعرف الطقوس والصلوات التي يمكن ان تبارك الاعمال او تلفها ومن هنا مجده الاهالي والسكان . ومن هنا جاءت الكتابات التي تقرر ان اهالي ممالك كانم ووادای وباجرمی هی عبادة عبدة ملوكهم يقول عنهم ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٨م) صاحب معجم البلدان :

" وديانتهم عبادة ملوكهم ، ان يعتقدون أنهم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون " معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

والقول الاصح والاصدق بما يتفق والرواية السابقة ان انتشرت بينهم ظاهرة تقديس أرواح الاباء والاجداد " .

الا انه بدخول الاسلام الى تشاد ، ومعظم بلاد جنوب الصحراء الكبرى بدأ يلائم السكان بين تعاليمه وبين المذهب الحيوى الذي يميز معتقداتهم السابقة (١) . فحول السكان تقليد الرقى الاسلامية والاعتقاد في الاحجار التي كانوا يشترونها بكثرة في بلاد المغرب ، بالاضافة الى تقليد الصلوات الاسلامية كما في غامبيا وساحل الذهب (غانا) على اعتقاد منهم ان الصلاة تجلب السعادة الابدية .

---

(١) د . حسن ابراهيم حسن . انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص١٥
(٢)

فقد اعتاد زعيم برنو أن يصلى لالهته الخاصة فى شهر رمضان ويستعين بالفقهاء المسلمين مع وثنيته . (١)

وهذا كله ادى بالوثنيين والحديث هنا ينصب عليهم الى "ثنائية الديانة " منهم يعتنقون الاسلام جهرا مع احتفاظهم ببعض العقائد القديمة فمثلا يقسم الحوصا شمال نيجريا الجن الى نوعين البعض للمسلمين بينما السود للوثنيين ،بل وصل الامر ان الزنوج المسلمين يحلون القرآن محل وثنهم القديم . (٢)

كان أبناء تشاد يعتنقون الوثنية التى تقدس ظواهر الطبيعة والحيوان وأرواح الاجداد بعد خروجها من الجسد تنطلق عقب الموت الى الخلود . ويقولون بوجودها فى الاماكن المظلمة ويقدسون الاشباح .

وكانت عبادة بعض الحيوانات عنصرا قويا فعالا فى هذه الحضارة. وكانت لهذه العبادات طقوس وشعائر وكانوا يردون رقصاتهم الدينية لاسترضاء آلهتهم . وهذه النزعات الدينية البدائية محدودة القوى والارادة والآراء .

ومما تقدم نخلص بنتيجة هامة جدا ادركها المسلمون الدعاة من رجال الطرق الصوفية التى انتشرت فى الشمال الافريقى وجنوب

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٥١ ــ ٥٦

(٢) نفس المرجع السابق

الصحراء ان كثيرا جدا من الوثنيين والبربر أسلم اسلاما أسميا ومع ذلك ظل فى ممارسته اليومية مبقيا على إعتقاداته الوثنية فحدث ازدواجية فى الديانة وذلك فقط بالنسبة للقبائل الوثنيين غير القبائل العربية التى هاجرت واستقرت وقامت بدورها الجاد فى الدعوة للاسلام ومن هنا جاءت حركة الطرق الصوفية لتكمل ما بدئه الدعاة الاوائل الذين قاموا بجهود فردية فى الدعوة للاسلام تلك الحركة التى شملت أكبر الطرق الصوفية كالقادرية والسنوسية والتيجانية والعروسية وغيرها .... لتعرف الناس الدين الحقيقى .

يقول ميك ان دخول دين محمد الى أفريقية حدث هام جدا وخطير بالنسبة للسودان الاوسط والغربى فلم يقف أثره على التغير العقائدى فحسب بل جاء معه بحضارة جديدة أعطت الجنس الأسود الشخصية الثقافية الثمرة التى يحملونها حتى اليوم وتسيطر على حياتهم السياسية ومؤسساتهم الاجتماعية . لقد حمل الاسلام الحضارة الى القبائل التبريرة وجعل المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوبا وجعل تجارتها مع العالم الخارجى ميسورة ووسع أفق أهلها .

وقد أصاب كثير من الكتاب بقولهم انه بالاسلام يبدأ العصر التاريخى لافريقية السوداء . والمقصود بأفريقية السوداء البلاد الافريقية الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى . يقول أوكانور عندما

جاء المستعمر الاوربى الى غربى أفريقيا فى القرن التاسع عشر كان المثقفون الافريقيون يكتبون باللغة العربية وكانت جميع المدونات والسجـــلات التاريخية عن غربى أفريقية وهى التى عثر عليها المستعمرون كانت جميعها مدونة باللغة العربية ولم تكن هناك معلومات عن أفريقية جنوبى المغرب قبل مجىء العرب الى شمال أفريقية ونحن ندين بجميع المعلومات عـن هذه الاصقاع الجنوبية للمؤرخين العرب (١).

واذا حاولنا ان نلتمس أثر الفكر الاسلامى على الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية فى ممالك تعاد المختلفة وذلك خلال فتـــرة الاحتكاك الحقيقى أى عند دخول الاسلام الى هذه الممالك فاننـــا سوف نستعين فى ذلك بالكتاب العرب والمسلمين القدماء الذين يمكـن ان نجد عندهم الصورة الصادقة بالنسبة لزمانها حية بكل ما فيها مـــن تفصيلات خاصة بذلك ونحن نجـد فى الكثير من كتب القدماء أمثـــال السعدى صاحب تاريخ السودان ، ومحمود كعت صاحب تاريـــخ الفتاش وأحمد بابا التمبكتى فى كتابه مثل الابتهاج ، ومن البكـــرى والمسعودى وابن حوقل وابن بطوطة وغيرهما ، نجد أخبار وروايـــات تتعلق بنظم الحكم وبعض أوجه الحياة الاجتماعية ومن خلالها نشعـــر بأننا فى مجتمع أفريقى اكتسب الثوب الاسلامى خاصة فيما يتعلـــق بالناحية الدستورية والعمرانية .

---

(١) د. ابراهيم على طرخان : أمبراطورية البرنو الاسلامية ، الفصل الثانى جـ الثالث .

فمن الناحية الدستورية عرف المسلمون فى تشاد قاعدة الشورى . وهى بمثابة الديمقراطية الاسلامية التى تحقق أسمى صورة الحياة النيابية السليمة فى حكم الشعب نفسه بنفسه ـ عرف المسلمون فى تشاد الشورى وكانت دار الشورى تسمى عندهم (مجلس الاجاويد) الذى يتكون من كبار القوم المسنين والعلماء والامراء . وقد تحدث ابن بطوطه عن الشورة او مجلس الاجاويد حديثا طويلا ومما جاء فيه : " عرف الافريقيون نظام البيعة الذى اشتهر من المسلمين وأن اهل الحل والعقد هم الذين يقومون به . كما عرفوا حق الجماهير فيما يقرره أهل العقد والحل فكانت البيعة مشروطة بأن يتبع السلطان كتاب الله وسنة رسوله والا فلا طاعة له على المسلمين وكان نص البيعة بايعناك على السمع والطاعة الأمر والنهى الامر أمرك والنهى نهيك على السنة والكتاب .

عرف الافريقيون نظام الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وعرفوا الزكاة وكانوا يأنفون من قبل من نظام الضرائب . واتبعوا قوانين الاسلام فى الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق وقوانين الاسلام فى المال فأصبح نظام الملكية لايقوم على القوة وأصبح الربا ممنوعا . وانتشرت الشريعة الاسلامية تدريجيا فى المجتمع القبلى بفضل الاحكام الشرعية التى كان يصدرها رجال القضاء الاسلامى والفقهاء فى تلك البلاد .

وكان المشايخ والعلماء لايدعون لانفسهم كرمات او خوارق وكانت علاقة العالم بمريده علاقة الاستاذ بطلبته وكان الخاصة المستنيرون

يرون العلماء مربين روحيين يوجهون النفوس ويبصرون الناس بأحوال القلوب ، ولكن العامة كانت تنظر لهؤلاء العلماء نظرة تقديس وقد بلغ نفوذهم بين قبائل الولوف فى السنغال ان حلو محل ارباب ، لاقطاع فى النظام السياسى القديم لتلك القبائل لكن شيئا من ذلك لم يحدث فى الممالك التشادية ، ويمكننا ان نقول فى اطمئنان ان هذه الثقافة كان طابعها عربيا صرفا لم تدخله اى تأثيرات أخرى لسبب واضح هو ان هذه الشعوب الافريقية التى اعتنقت الاسلام وتشربت ثقافته العربية لم تكن لها تقاليد ثقافية مثل تقاليد الاغريق او الايرانيين التى أثرت فى الثقافة العربية فى بيئات الشرق الادنى بيد انه كان لتلك الشعوب تراث حضارى سابق للاسلام كحضارة شعب الساو العملاق التى تساوى الحضارة المصرية (١).

ولقد وصل علماء تشاد فى علمهم الى مستوى لا يقل عن مستوى علماء مدارس تمبكتو ومتى وولاتا فى غرب افريقيا ومن المراكز التى استقرت بها هذه الثقافة وأهمها مدينة نجيمى عاصمة الكانم ووارا عاصمة وداى ثم ابشه آخر عاصمة للدولة الاسلامية فى القرن التاسع عشر ، خصوصا ووارا وابشة اللتين كانتا مركزين هامين من مراكز التجارة وأصبحت ابشه فى مكانتها الثقافية لا تقل عن القيروان وذلك ابين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

---

(١)

ولا تقل عن فاس فى المغرب او قرطبة فى الاندلس •

هذا فيما يتعلق بالتأثيرات المختلفة التى أثر بها الفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية فى مختلف جوانب الحضارة والثقافة والفكر التشـــادى وقد انعكس هذا التأثير فى جهود وانتاج ابنائها من علماء وفقهـــــاء وصوفية ظل انتاجهم العلمى والفكرى والفلسفى والدينى مخطوطا حتى الآن وحين تكشف هذه المؤلفات سوف توضح ما قدمه التشاديون من مساهمة فعالة فى الفكر الاسلامى فى أرض افريقية مسلمة •

فى الصفحات السابقة تحدثنا عن أثر الاسلام فى طرق الحيـــاة والسلوك فى جميع مظاهر الحياة الاجتماعية المادية والثقافية العقليــة بما تشمله من علوم مختلفة للغة والفقه والتصوف • وأثر على الطـــــرق الصوفيــة على تقبل الكثير للاعلام اسما وفعلا لأن الأثر الاكبر للاسلام يتمثل فى تشكيل النظرة الافريقى الى الكون والله والانسان وبتحديــد أدق تشكيل صورة الافريقى لنفسه ونستطيع ان نتبين شكلين لتصــور الانسان الافريقى • الشكل الاول هو نظرة الانسان الافريقى لنفســه من خلال الحضارة الافريقية الوثنية التى تجعله جزء من الطبيعة يحيــا فى انسجام معها ويموت ليصبح جزء منها وهى النظرة العضوية التـــى تجعل منه جزء فى كل • والشكل الثانى الذى قدمه الانسان الاوروبـى المسيحى الغربى للافريقى وتتمثل هذه الصورة الثانية فى شكلين أولهمــا :

نظرة الاوربى للافريقى ، ثم نظرة الافريقى الى نفسه من خلال حضـــارة ، وسلوك الاوربى ، وبالنسبة للأول فالاوربى فى تناقض كبير بالنسبة للصورة التى كونها لنفسه عن الافريقى الاسود حيث يواجه الكثيرون مشكلـــة التوفيق بين النموذج الافريقى المتوحش عارى البدن الذى ألفوه مـــدة طويلة فى أفلام هوليوود ، وبين الانطباعات التى يكونونها نتيجة صلاتهـم الشخصية بالطلاب الافريقيين الذى أخذوا يلتحقون باعداد متزايـــدة بالجامعات الاوربية والامريكية [(١)] .

لقد تعرف الكثيرون فى أوربا وأمريكا الى الحياة الافريقية عن طريــق روايات المبشرين عنها ، الا أن كتب المغامرات التى ألفها (رواد) ـ القرن العشرين تميل الى ابراز النواحى الغريبة والمثيرة [(٢)] وبالتالـــى حدثت النظرة الى الافريقى على انه مرحلة بدائية وعقلية ساذجة بالقياس الى الاوربى ، فالافريقى الاسود بين الادميين كالسباع ، وهم لا يشتغلـون بشئ غير المرح واللهو وهذه النظرة الدونية اليهم أحدثت رد فعـــل لدى الافريقيين تتمثل فى المناداة بكيان وشخصية افريقية مقابل الكيان والحضارة الاوربية فنشأ مايسمى بالزنجية ، وقد ظهرت الزنجية كـــرد فعل تلقائى للبحث عن الذات الافريقية فى مواجهة الانسحاق الحضارى الذى يتهدده والذى تحاول أوربا بالحاح ان تفرضه على الانسان الافريقى بأن ليس له حضارة وبالتالى ليس امامه سوى الحضارة والثقافة الاوروبية .

---

(١) وليم باسكوم ، ملفيل هير سكوفتز ، الثقافة الافريقية صـ ١٧

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

وفى أوائل الاربعينيات برز جيل جديد من المثقفين الافريقيين لم يقبل سيل الادعاءات التى ألقتها الحضارة الغربية على تاريخ افريقية وحضارتها وبدأ يتقدم للتصدى لهذا التزييف وللدفاع عن وجود افريقية وعن حضارتها برفع شعار احياء الحضارة الافريقية القديمة وبعضها بكافة نواحى امتيازاتها وسلبياتها وأعلنوا اعتزازهم بهذا التاريخ فى مواجهة الزيف الاستعمارى الذى أنكر الحضارة الافريقية وأعمل فيها التشويه والتزييف ٠

وفى مواجهة التعصب للون الأبيض ورفض العنصر الاسود واحتقاره اعلنوا تمسكهم بالعنصر الزنجى وتعصبوا للون الاسود ٠٠ ويرمز لحركة التصدى هذه بالاسم الذى أختاروه عنوانا لهم وهو " الزنجية " لقد جسد الاسم فى نظرهم التحدى الذى رفعوه فى مواجهة الجهود الاستعمارية المبذولة لمحو الوجود الحضارى للقارة الافريقية ٠

ولقد ركز الافريقى فى كل حوار خاصة على وجود ثقافة افريقية ذات تاريخ وجزور ضاربة بعمق فى الماضى البعيد ٠ وقد عبر عنها كل من ايميه سيزير ، وليوبولد سنجور والاخوان بيراجوديوب ، وألون ديوب " وكانت مجلة " الوجود الافريقى التى اعتبرت الناطقة الرسمية بلسان الزنجية "

وشهد عام ١٩٦٠ حدوث تحولات خطيرة فى حياة القارة حيث

---

(١) ينادى د ٠ حسن حنفى بضرورة اتخاذ موقف من التراث الغربى انظر فى ذلك كتابه قضايا معاصرة جـ ١ ــ دار الفكر العربى ١٩٧٦٠

استقلت كثيرا من البلدان وكان من الضرورى ان تترك هذه التغييرات آثارها الواضحة على سيرة الزنجية • وكانت هناك كثيرا من التساؤلات حول استمرار الزنجية ومهماتها بعد الاستقلال وكانت هذه التساؤلات تبغى الكشف عن عوامل القوة الكامنة فى الزنجية والقادرة على الاستمرار فى اطار التغيرات الجديدة •

وقد شارك كثيراً من النقاد بملاحظات حول الزنجية بعضهما أوروبين أفارقة •

١) فقد تركزت ملاحظات جان بول سارتر ١٩٠٥ على الزنجية والتى أوردها فى سياق دراسته القيمة " أورفيوس الاسود " على تحديد عوامل الضعف الكامنة فى الزنجية فعند الحديث عن طبيعته الزنجية وقدرتها على الاستمرار ذكر رأياً محددا مؤداه :
" ان الزنجية بطبيعتها الذاتية هى تيار مرحلى لايتضمن فى داخله صفة الدوام " وهذا يرجع الى عامل اساسى موجود داخل الزنجية " الى عامل اللون الذى يعد نقطة الضعف الرئيسية فى الزنجية فلو حدث وحل الصراع العرقى ولو جزئيا فان الادباء والمفكرين الزنوج لن تبقى لهم قضية خاصة يدافعون عنها " •

٢) ويرى الكاتب البلجيكى الدكتور ليليان كستلوث وهو من المتعاطفين مع الزنجية ان للزنجية دورا هاما ستلعبه فى الظروف الجديدة او على حد تعبيره " ان الزنجية قيمة باقية ومستمرة ولن تتجاوزها الظروف المتغيرة " •

٣) اما الرأى الثالث فى هذا الاستعراض النقدى فهو رأى المفكر الافريقى " فرانزفانون " التى تعرض لذلك الموضوع فى كتابه الشهير " معذبو الارض " ضمن تحليله للثقافة الافريقية المعاصرة وقد انتهى فى تحليلة الى آراء متفقة مع التى أوردها سارتر (لقد اتفق معه على ان عامل العنصريه هو المحرك الاساسى للزنجية وانها عامل غير دائم) •

لقد قرر فانون بصراحة وبصوت عال غير متردد (ان المستقبل امام الزنجية مسدود تماما) وزاد على ذلك بالتأكيد بقوله (لن تكون هناك ثقافة زنجية فى المستقبل) •

ومن هذه الآراء يتبين ان الزنجية تمر بمرحلة حاسمة وأن عوامل السلبية فيها قد تؤدى الى التحلل النهائى والى التقوقع والانعزال ثم الانفجار داخليا وضياع أثرها •

فى يوليو ١٩٦٩ ومنذ اللحظات الاولى لانعقاد المؤتمر الثقافى الافريقى بالجزائر وحملات النقد العنيف تنهال بقوة على الزنجية) باعتبارها تيارا فكريا أصبح يمثل اليوم فى نظر هؤلاء النقاد اتجاها ذا تأثير مضاد على حركة البعث الافريقى المعاصر وهذا النقد لم يكن وليد مناقشات المؤتمر بل هو موقف قديم كان صداه بدأ يتردد بوضوح منذ زمن ليس ببعيد فى أوساط كثير من المثقفين الافريقيين بل ان " سيكوتورى اداننها واتهمها بأنها تخدم اهداف الاستعمار على المدى البعيد " •

ولنبدأ أولا ببيان ماهى الزنجية التى تثير كل هذا الجدل بين الانصار والمعارضين ؟

فالرئيس أحمد سيكوتورى يرى فى كتابه افريقية والثورة " ان الزنجية لفظ بلا معنى لا يزال مع الاسف يدرس فى مدارس افريقية "(١) الا انه يرى ان تعريف الافريقى بأنه زنجى هو نوع من انكارنا لانفسنا . ويضيف ان مفهوم الزنجية قد ابتكر بلا شك بسبب فقدان الوعى الثورى فعقدة النقص التى نحملها واقتناعنا بأنه ليست لنا حضارة او ثقافة ، قد أوصلتنا الى الاعتقاد بأننا لا نستطيع ارتقاء سلم الحضارة والثقافة الا اذا حددنا ذواتنا بالنسبة لمن سلبونا شخصيتنا . اننا بذلك قد سمحنا لهم بأن يغرقونا فى عنصرية كنا نريد عكسها تماما . ويرى ان اللذين يتحدثون عن " الزنجية " فى المؤتمرات الدولية ليسو هم الزنوج بل غير الزنوج " ان شروط الحياة والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية وثقافات الشعوب لم تكن فى اى مكان نتيجة للون البشرة هذه الشعوب اقل أو أكثر بياضا او صفرة او سودا " (٢).

فقد ظهرت الحاجة الماسة الى ضرورة تطوير الزنجية . وجاء ذلك على ايدى كثيرا من مفكريها والذين واجهوا هذه المرحلة فى التطورات فى القارة وكان ليوبولد سيدار سنجور وهو من الزعيل الاول أكثر

---

(١) احمد سيكوتورى أفريقيا والثورة ترجمة جماعة من المتخصصين مراجعة اديب الملحمى منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى السورية ـ دمشق ١٩٦٧ ص١٨٩

(٢) نفس المرجع ص١٩١ ، ١٩٣

وعيا لأهمية هذه التغيرات وادراكا لخطورة تأثيرها على الزنجية في المستقبل . فتصدى لاعادة النظر في الزنجية .

ومحاولة سنجور لتطوير الزنجية ذات ثلاثة ملامح رئيسية تبدأ بالاعتراف بعوامل السلبية الكامنة في الزنجية وادانة هذه السلبية صراحة ثم تطرق بعد ذلك الى تغير التسمية للقديم واستبدلها باسم آخر هو " الافريقانية " وأخيرا تحديد عوامل ومقدمات ومقومات هذه الافريقانية .

لقد دعا الى تبديل الاسم القديم باسم يناسب الاوضاع الجديدة هو الافريقانية ولما كانت هذه خطوة تعتبر بمثابة انقلاب كامل وجوهري للزنجية فكتب سنجور (ان مستقبل افريقية لايمكن ان يقوم الا على قيم مشتركة بين كل الافريقيين) اى (ان هذه القيم هي عبارة عن مزيج من عناصر عربية وعناصر زنجية مكملة لبعضها) .

ان هذا الاعتراف يفجر مسائل في غاية الخطورة فهو يهزى احدى المسلمات الخطيرة التي كانت تملأ رؤس المثقفين السود وتؤثر في تكوين آراءهم وكانت على المسلم تدعى (ان الثقافة الافريقية هي فقط الثقافة الزنجية في مناطق ما وراء الصحراء الكبرى) وكانت هذه المقولة غير الموضوعية تتجاهل ثقافة وحضارة الشعوب الاخرى التي تسكن القارة والقصد من ذلك هو التفرقة بين ثقافة الشعوب الافريقية منعا لاحتمالات التقارب ودرءا له .

وبهذا التصحيح الذى أورده سنجور اتسع نطاق الافريقانية

للتعايش مع ثقافات أخرى تعيش فوق القارة منذ زمن طويل ولها وجودها المادى والحضارى الذى لا ينكر - والذى يمارس تأثيره غير المحدود على قسم كبير من بلدانها وشعوبها " ٠

لقد أفلت " سنجور " من تأثير المسلمات المضللة وعكف على دراسة تاريخ افريقية نازعا الأوهام الاستعمارية من رأسه وانتهى الى تأكيد ما سبق وأضاف عليه " ان الاحترام والتفاعل بين العناصر العربية والزنجية قد تحقق على مستويين ٠ الاول مستوى الاجناس والشعوب اى الامتزاج بين السلالات الافريقية الزنجية والعربية [(١)] " أما المستوى الاخر فهو التزاوج بين الثقافة العربية والثقافات الزنجية الافريقية [(٢)] " ٠

ولم يقف سنجور فى نقده الذاتى عند هذا الحد بل وافق على الرأى الذى يدين الزنجية بالعنصرية والشوفينية والتقى فى ذلك بنقد سارتر وفانون ٠ ورأى اسقاط هذا العامل العنصرى وصرح بأن المقومات - الجديدة - التى تقوم عليها الافريقانية لن تلتزم بالتعبير عن جنس بعينه بل ستعبر عن سائر الاجناس التى تعيش فى افريقيا " ان القيم الجديدة التى تكون الافريقانية هى قيم ثقافية فى الاساس ولا ترتبط بالجنس [(٣)] "

---

(١) وهذا ماعرض له فى الفصل الثانى من هذا البحث ٠

(٢) وهذه هى المحاولة التى تقوم بها هنا ٠

(٣) انظر محمد عبد الحميد فرج " الافريقانية او الوجه الجديد للزنجية " مجلة الفكر المعاصر القاهرية العدد " ٦١ " مارس ١٩٧٠ ص ٩٣ ٠

بهذا العرض للزنجية والفهم الافريقي المعاصر لها لدى سنجور وسيكوتوري تتضح صورة الافريقي لدى الغربي الاوربي ولدى الافريقي ومقابل هذه الصورة هناك صورة اخرى قدمتها الحضارة الاسلامية والتي اشار اليها سنجور فيما سبق والتي تتفاعل مع الثقافة الافريقية لتخلق صورة كاملة للوحدة •

بين الاجناس المختلفة في افريقية وتمثل في الان نفسه الصورة التي عرفتها الحضارة الاسلامية للافريقي وانعكست لديه عن نفسه فتقبل الاسلام وتلائم معه وفي دراسة حديثة قيمة عن السود والحضارة العربية للدكتور عبده بدوي [١] يقول " أردت في هذه الدراسة • ان اتعرف على موقف الانسان الاسود داخل الحضارة العربية قبل الاسلام وبعد الاسلام فالسود لم يكونوا مجرد بقع سوداء عديمة على الخريطة العربية ومعنى هذا ان الاسلام بسماحته قد فتح لهم الابواب على مصاريعها [٢] " فالعلاقات العربية الافريقية كبيرة في الجزيرة العربية قبل الاسلام ويتحدث الدكتور عبده بدوي في مقدمة طويلة عن السود وأسبابه واشاره ثم في بابين طوال يتحدث في أولهما عن صلات العرب بالسود قبل الاسلام وبعد الاسلام والباب الثاني صلات السود بالعرب حديثا •

---

(١) الدكتور / عبده بدوي : السود والحضارة العربية الهيئة المصرية العامة للكتاب• القاهرة ١٩٧٦ وللدكتور عبده بدوي اهتمامات افريقية وهو صاحب مؤلفات افريقية عديدة مثل مدن أفريقية • مع شعوب افريقية رجال من أفريقية — حكايات من افريقية — دول اسلامية في شمال افريقية — حركات الاسلام في أفريقية •

(٢) المرجع السابق ص ٥ •

والدكتور / ابراهيم على طرخان في كتابه عن امبراطورية البرنو الاسلامية في الفصل الثالث عن تأثير الاسلام في الكانم وهو يتحدث عن استبدال الاسماء والالقاب الوثنية بأسماء وألقاب اسلامية وعن اثر اللغة العربية والتراث العربي الاسلامي وعن أثر اللغة العربية والتراث العربي الاسلامي وعن مدى تمسك أهل برنو بروح الاسلام ومظاهره .[1] ويستدل بقول (دويدال) الاسلام هو الاصل في قيام الدول الافريقية الاسلامية وازدهار حضارتها القوية[2] والدكتور جمال حمدان صاحب الدراسة الشهيرة عن شخصية مصر دراسته في عبقرية المكان دراسة هامة عن (العالم الاسلامي المعاصر وهو كتاب) في جغرافية الاسلام وهي دراسة تحاول ان تربط بين الجغرافيا والدين[3] . ويقول ان المقصود هو دراسة الاسلام في ذاته من حيث هو ظاهرة في المكان له توزيعه وامتداده الجغرافي الخاص .[4] وهو يذكر ان في تشاد الشمال المسلم اهدافه السياسية وهي المحافظة

---

(١) د . ابراهيم على طرخان : امبراطورية البرنو الاسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ القاهرة ص ـ ٧٦

(٢) نفس المرجع ص ٧٧ .

(٣) وللدين مكانة في الدراسات الجغرافية كما في عمل لبيرد يفونتين الموسوعي الجغرافيا والدين فضلا عن كتاب غيره من كبار الجغرافيين

(٤) د . / جمال حمدان / العالم الاسلامي المعاصر " عالم الكتب ١٧٦١ ص ٦

على التقاليد الاسلامية في التعليم والشئون الاجتماعية ... الخ وتخفيف الارتباط بفرنسا وزيادة الارتباط بالدول الاسلامية المجاورة في الشمال " (١).

---

(١) د ./ جمال حمدان المرجع السابق ص ١١ وايضا لنفس المؤلف افريقيا الجديدة ص ٢٧٨.

الفصل السادس

الفكر الاسلامي الاقتصادي المعاصر

الفصل السادس

النتاج الفكرى التشادى المعاصر

تمهيد :

يعد هذا الفصل الختامى نتيجة لذلك اللقاء الحضارى بين الاسلام وبين أهالى تشاد فان كنا عرضنا فى الفصول السابقة للحضارة البدائية والافكار السائدة فيها قبل مجىء الاسلام ثم عرفنا لانتقال الاسلام وطرقه المختلفة الى بلاد تشاد وتقبل الاهالى الاصلين له الا ان هناك بعض النتائج والملاحظات نوردها هنا قبل الحديث عن نتيجة هذا اللقاء .

أولا : هذه الملاحظات هو اعتبار الاسلام الذى دخل الى الممالك المختلفة منذ حوالى القرن الحادى عشر الميلادى واستمر بعد ذلك تدفق الموجات والهجرات العربية الاسلامية طيلة أكثر من اربع قرون يمثل ، عنصرا أساسيا من أهالى البلاد مع غيره من العناصر البربرية . وبالتالى يصبح القول بأن الدين الاسلامى هو نتيجة للاتصال بين كل من العناصر والاجناس البربرية والعربية .

ثانيا : وهذا هو الأهم أن الحديث عن لقاء حضارى وتفاعل بين كل من الحضارة الاسلامية الوافدة والحضارة الوطنية المقيمة

حديث تاريخي بمعنى أنه ينتمى الى أكثر من خمسة قرون مضت وهو الآن يكون اساس انثربولوجي وثقافى وفكرى من مكونات الثقافة القومية والوطنية بتشاد •

ثالثا ـ تعد الحضارة الواحدة (العربية • الاسلامية ـ التشادية) جبهة ضد كل صور الغزو الفكرى الاوربى سواء كان حصلات تبشرية أو استعمار سافرة او ثقافة غازية فالذى يجب أن تلفت النظر اليه هو ان الغرب الاوربى وليس الشرق الاسلامى هو الجسم الغريب على الوطن التشادى •

رابعا ـ الفكرى التشادى ليس نتيجة حالية بل هو حصيلة القرون الماضية •

خامسا ـ ان القول بالفكر التشادى او النتائج الأدبى والصوفى والعقائدى لايجب بأى حال من الاحوال مقارنته بما هو فى المشرق أو المغرب العربى او بالوضع الاوربى وذلك لاسباب تاريخية واجتماعية طويلة ومعقدة •

سادسا ـ ان المجتمع التشادى بصحرائه الشاسعة ونظامه القبلى الذى يعد فى كثير من الاحوال شرف لايقدر عليه الا القليلون نظرا لصعوبة الظروف الطبيعية وبالتالى فانتشار اللغة العربية والدين الاسلامى يعد تقدما كبيرا بالنسبة للبلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى •

سابعا : فى رصدنا لمظاهر الثقافة والفكر التشادى هناك صعوبة

كبيرة فى تحديد ذلك تاريخيا نظرا لطول المدة التى تبـــــدأ
من القرن الحادى عشر وحتى الان لذلك سوف نلجأ للاختيـــار .
هل نختار نماذج قديمة مثلا ؟ او نماذج حديثة العهد ؟)

ثامنا ـ نستطيع ان نذكر كثيرا من الاسماء فى هذا القبيل وهم علمـــاء وفقهاء وصوفية وشعراء تتلمذوا بالمدارس الاسلامية المختلفـــة . مثل ابو زيد عبد القادر وأبو سرور الفضلى [1] فى الكانـــم . وكل من محمد الوالى العالم الزاهد والشيخ ولولوه وسليمـــان ابن محمد البهجرى [2] وغيرهم .

ومقابل هذه الملاحظات السابقة سوف تبرز عدة حقائق هى :ـ

١ـ أنه برغم قلة المتعلمين ومن يجيدون القراءة والكتابة الا ان هناك انتشارا كبيرا واسعا للغة العربية فى تشاد وان كنا نستطيـع أن نحدد التعقيد الكبير للغات الافريقية الى خمس أســـر لغوية كبيرة متميزة " كانت تشمل ٩٨ ٪ من مجموع المساحـة من السكان قبل الاحتكاك بالاوربيين [3] " وهى :

---

(١) انظر طبقات ود . ضيف ص٣٢ ومابعدها .

(٢) د . احمد شلبى موسوعة تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية جـ ٦ ص ٣١٢

(٣) جوزيف جرنبرج . " افريقية كمنطقة لغوية بحث من كتاب الثقافة الافريقية ص ٣٧

١ـ النيجر ـ كونغو .

٢ـ الافروأسيوية .

٣ـ الماكر وسودانية .

٤ـ الصحراوية الوسطى .

٥ـ الكلياك

وذلك بالاضافة الى سبع فئات من اللغات ، أو سبع لغات فردية تشغل مناطق صغيرة نسبيا فان المجموع يصبح ١٢ لغة . ما يهمنا ثلاثة مجموعات رئيسية هي الثانية والثالثة والرابعة .

الاسرة الافروآسيوية وهي تحتل مساحة واسعة الارجاء وقريبة من بحيرة تشاد وهي تتكون من خمس فروع هي البربرى ، الكوشيتى ، السامى ،المصرى القديم .

وفروع تشاد . وتشمل فصيلة تشاد الفرعية على زهاء مائة لغة توجد معظمها في المناطق الشمالية وتأتي اللغة العربية الاول من حيث عدد السكان الذين يتكلمون بها [1] وهذه الحقيقة هامة فيما نحن بصدده الآن .

وبالاضافة للاسرة الأفرو أسيوية هناك ايضا الاسرة الماكر وسودانية وهى تتألف من اربع فروع يهمنا منها الفرع السودانى

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤

الاوسط الذى يشمل على عدد من اللغات واللهجات منها لهجات السارا قرب بحيرة تشاد ، وتحتل الاسرة الصحراوية الوسطى منطقة كبيرة شمال بحيرة تشاد وشرقها وقرب البحيرة نفسها وتضم الفروع الخاصة بالكانرى والتدا والزغاوة بالاضافة الى لغة الجرعان والكانمبوا والطوارق (١) .

وعلى هذا نقول ان هناك تطابق بين مجموعة اللغات التى تنتشر عبر أفريقية شرق بحيرة تشاد وبين المنطقة السودانية الشرقية ويؤكد على ان المنطقة الشمالية التى تتكلم العربية والبربرية ويقسمها قسمين العربى الذى يبدأ من الحدود المصرية الى ليبيا حيث اللهجات العربية تشترك فى الكثير من الخصائص التى اكتسبتها نتيجة احتكاكها بلغة البربر ، وكذلك لغة البربر تحتوى على عدد كبير من المفردات المستعارة من اللغة العربية وعلى بعض الاصوات التى دفعتها نتيجة للتأثير العربى (٢) يترتب على هذه الحقيقة الخاصة بانتشار اللغة العربية ان كثير من أهالى (كانم) تشاد قد غيروا لهجتهم المحلية واسماءهم الوثنية بأسماء عربية اسلامية (٣)

---

(١) د . احمد شلبى . موسوعة تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية جـ ٦

(٢) وليم باسلومة ، ملفيل هيرسكوفتر ـ المرجع السابق ٨ ، ٥٥ ، ٥٦

(٣) د . ابراهيم على فرحان ـ امبراطورية البرنو الاسلامية ص ٧٦

٢ــ وبناء على ماسبق من انتشار العربية نجد ان ذلك تأسس لنقـل كل ما يتعلق باللغة العربية من دين ومعتقدات وأفكار وعلوم وهـذا يبرر تحول الكثير بين الدين الاسلامى وذلك التحول الـذى يشكل ظاهرة امتاز بها تاريخ أجزاء كبيرة من افريقية من الالف سنة الاخيرة[1] واذا كانت الشعوب الافريقية تتبنى فى تقبلها للجديد من الافكار سياسة انتقائية [2] فهذا قائم فى تقبلها للاسلام وعدم استسلامها للغرب والمسيحية " فما من ثقافة أفريقية الا وتأثرت باحتكاكها بالاوربيين . ولكن ، فى الوقت نفسه لم تستسلم أيـة ثقافة استسلاما كليا للغزو الاوربى " (٣)

٣ــ وبانتشار اللغة العربية والدين الاسلامى نقلت كثيرا من المعـارف والعلوم الدينية الشرعية وعلوم اللغة والحديث والفقه والتوحيـد التى ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة كلغة واذا كنا نؤكد وجـود كثيرا من العلماء النحويين والشعراء والمحدثين والفقهاء ،الا ان هذا لم يكن يمثل حركة ثقافية وأعنى بالحركة الثقافية وجـود مجموعة من التيارات الفكرية المتعارضة تتبنى وجهات نظر مختلفـة يقوم بينها الحوار والجدل والمعارك الفكرية مثل جدل مدرستـى

---

(١) وليم باسكوم ، المرجع السابق ص ١٦

(٢) نفس المرجع ص١٩

(٣) نفس المرجع ص ١٥

الكوفة والبصرة أو جدل الصوفية والفقهاء او الفلاسفة والفقهـــاء وغيرهم واذا كانت الحركة الثقافية لم تكن موجودة فالجو الثقافـــى الفكرى والاسلامى وجد لكن بشكل آخر هو ارتحال كثير من طلاب العلم الى المراكز الاسلامية ثم عودتهم وسعيهم الحثيث لنقل ما تعلموه وقد كانوا محدودى العدد بالنسبة لما كان يموج به الشرق والغرب وكانوا امتداد لتلك الحركة العلمية أكثر من كونهم حركة ثقافية فكرية مستقلة وقد تمثل ذلك فى فروع مختلفة تستطيع ان تحددها فـــى الحركة الصوفية . الفقهاء والمتكلمين والادباء والشعراء وســوف نعرض الان لنماذج لكل منهم وهى نماذج تتحقق منها ما ابتنـــاه من حقائق سابقة من حيث أنها كتبت بالعربية أولا فى موضوعات ، أو مشكلات أو علوم خاصة بالدين الاسلامى . ثانيا وفى بيئة تشاديـــة ثالثا . وهذه الخصائص غيرها من أنواع أخرى من الثقافات التـــى تشير اليها بالثقافة الاستعمارية التى كانت نتيجة للمدارس — الفرنسية التى تحولت فى النهاية الى نوع من العلمانية التى تنكـــر كل دين . والجنوب الوثنى — المسيحى يريدها علمانية فـــى التعليم والتطور الاجتماعى ، كما انه لشدة ضد اى اتحاد معه ، او اتجاه سياسى نحو كتلة الدول الاسلامية المحيطة " (٢) .

---

(١) د . جمال حمدان ، العالم الاسلامى المعاصر . عالم الكتب القاهرة ص . . ، جمال حمدان أفريقيا الجديدة ص ٢٧٨

رجال التصوف الاسلامي التشاديين

التصوف علم عظيم الثمر جزيل الفائدة يوقف المسلمين على ما يجب عليهم نحو ربهم من الاخلاق والصدق في العبادة والدعاء والذكر والاتصاف بالاخلاق الدينية وأداء الواجبات الاسلامية ٠ والاكثار من الذكر والدعاء لله تعالى بصدق ويقين وعلم ٠ وفهم الصوفية تهذيب للنفوس وتطهير من الآثام ودعوة في الاقبال على الله تبارك وتعالى . نتناول في هذا الموضوع التصوف بقضاياه التفصيلية ذات الصبغة التاريخية العامة الشمولية لرجال التصوف التشاديين ٠

وما سيكون موضوعنا لهذه الدراسة التصدى لبيان موضوع التصوف وأهميته وما الى ذلك من المبادئ المعيارية لهذا الفن ثم بيان ضرورة دراسة بعض المتصوفين التشاديين وما يثار من الآراء حول قضية الاصالة او التبعية للتصوف الاسلامي من خلال المدارس المختلفة او الطرق المنتشرة في تشاد ٠

وقد قضى بنا هذه الدراسة الى عرض تاريخي وتحليل الى حد ما وفي غير تفصيل بالغ لمراحل التصوف الاسلامي وما انبثق عنها من مدارس مختلفة الخصائص والبواعث والاثار في مختلف البيئات الاسلامية خلال تاريخ الحياة الروحية وربما عرضنا بعض النظريات —

الخاصة التى لها مساس بمنهجنا وطبيعة بحثنا كنظرية الطرق التيجانية والقادرية ، والشاذلية ، والعروسية ، والسنوسية ، لتناول بعض الشخصيات التى لها نفس الرابطة بمنهجنا " يتحتم علينا الآن ان نحاول الكشف عن الحقائق التى تؤكد صدق هذه المدارس الصوفية ، التى تجعل من دراسة التصوف ضرورة منهجية وعامل من العوامل التى أدت الى نشر الدعوة الاسلامية فى تشاد ، بالعمل والفعل ، وسلاح هذه المدارس الكلام الطيب ، قال تعالى : " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى " [١] ، تحليل نص هذه الآية المعروف : كما يكون المعروف بالعمل كالاحسان الى الفقراء يكون كذلك بالقول اللين ، والعبارات الرقيقة السهلة وحسن دعوة الناس إلى الله تعالى والتعاون والارشاد والدلالة عليها لمعنى حديث فى ذلك الدال على الخير كفاعله ، أو كما قال : الكلام الطيب يرضى المولى جل شأنه ويحبب الناس فى قائلة ويجلب له مودتهم على أنه لايكلفه مايشق عليه ، وهو أى القول الطيب ، يشبه الشجرة الطيبة النافعة مأمونة الزوال لثبات أصلها النامية لارتفاع اغصانها الدائمة ثمرتها وفائدتها .

قال تعالى [٢] : ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون " .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٢

(٢) سورة ابراهيم الآية : ٢٤

ذكر متعلقات الآية : اما من يصدر عنهم القول الخبيث فالناس تكرههم والله يغضب عليهم ويحرمهم ثوابه وجنته • والله تعالى يفعل مايريد •

قال تعالى[1]: " ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الارض مالها من قرار " •

يطلب الدين الى كل مؤمن ان يكون مصدر خير لكلمته فيوجه النظر الى أن الكلمة الطيبة يقولها الشخص مثل كلمة الايمان الصادق او النصيحة المخلصة او المجاهرة بالحق • أو مقاومة الفساد او الدعوة الى الاصلاح • ينمو نفعها ويزداد • ويأتي بخير كثير فهي كشجرة طيبة امتدت جذورها في الارض وعلت فروعها في السماء وكثر ثمارها وصار يأتي في موعده باراد ة الله ولا يختلف •

وهذا مثل يساق للناس ليفكروا فيه ويعملوا بما يرشد اليه• امـــا الكلمة الخبيثة كلمة الكفر والباطل وتضليل الناس والاغراء بالفســاد • فهي كشجرة خبيثة قطعت بذورها من فوق الارض فلم يبق لها أثر فانهـــا تضر ولا تنفع •

ولقد تعددت هذه الطرق الصوفية الروحية • بأهمية يمكن ان يبحث وراءها الدارس في دراسة علم الكلام • والكشف عن مثل هذه المعطيات الحيوية التي قدمها رجال التصوف التشاديين لنهضة الاسلام ونشر الدعوة الاسلامية في ربوع تشاد المسلمة •

---

(١) الآية : ٢٥ سورة إبراهيم

ولعل من أبرز الميادين الفكرية والانسانية التى أعطى فيها العلامة الشيخ محمد طاهر بن عيسى التلب رضى الله عنه تراثا فكريا صوفيا ، منطلقا من القرآن الكريم والسنة النبوية ، هادف من وراء ذلك تقوية اساس البنيان الانسانى الاسلامى فى تشاد ، حتى يتمكن من اداء فريضته التى سنها الله عليه .

وهذا العالم الورع رضى الله عنه قد أعطى الكثير من أساليب التربية الروحية والاخلاقية ، فتعددت فى تلك المدارس الاسلامية فى تشاد .

واذا نظرنا مسلك هذا الصوفى الجليل وجدنا أن وجوده يذوب فى وجود الله ولا يصبح له أثر حيث حل او اتحد بوجود الله على نحو ما روى لنا التاريخ عن الصوفى الجليل الحلاج ، وعن غيره ممن عرفوا بأصحاب وحدة الوجود .

وليس أدل على ذلك لأن الشيخ طاهر بن عيسى التلب ينصرف عن ظاهر الألفاظ وان يقبل على ماوراء هذا الظاهر من المعانى الخفية التى هى أبعد ما تكون من عالم الحس ومافيه من مظاهر الدنيا وأدنى ما تكون الى عالم الروح وما يشتمل عليه من الحقائق العليا وفى ذلك يشدو رضى الله عنه فى وصف الشيخ احمد التيجانى فيقول :

تلألأت جوف الليل كالبدر اذا بدا

وجزت طباق السامبات العلية

وسبحت فوق العرش والكرسى مثلــــه

ونوديت بالترحيب من كل وجهـــة الحجب

قطعت جميع الحجب بالروح صاعـــدا

وشاهدت حسنى الحسنى فى كل لحظة

تجلى لك المختار بالحب والرضـــا

وعاينت شمس الذات عين الحقيقـــة

الصوفى لا يرى حيثما توجه الا الله فأينما تولوا فثم وجه الله . فكل ما فى الدنيا تجلياته وتنزلات اسمائه الحسنى وصفاته فكل مظاهر الكـــون رموز من حيث تشير الى الحقائق الالهية والتجليات الاسمائية .

والصوفى اينما تلفت يقول مبهورا الله .. الله وليس الامر مجازا وتشبيه وانما كشف روحى نورانى . تلك هى من أجمل وأروع رياضـــة النفس فى تزكية الاخلاق ومجاهدة الشهوات الى أسمى وأعلى الكمـال الانسانى والايمان التوحيدى .

وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بذكره فى مواضع كثيرة مـــن كتابه الكريم فقال جل شأنه :

" يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا "[١]

وليس الذكر فقط ان تذكر الله تعالى باسمائه الحسنى . ولكن الصلاة ذكر وتلاوة القرآن ذكر . والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلــم ذكر حيث قال : ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذيـــن آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما[٢] . والتفكير فى خلق السموات والارض

[١] سورة : الاحزاب
[٢] سورة ...

ذكر والجهاد فى سبيل الله ذكر وطلب العلم ذكر ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر .

ان الشيخ محمد طاهر يعايش الشيخ احمد التيجانى بروحــــه وعقله ووجدانه ملحقا تارة معه وجدانياته الشفافة سابحا معه طــورا فى بحار الحب الالهى والاشواق الربانية قاطفا من كرم صوفيته ــ مستغرقا معه فى النشوة الروحية التى تملك عليه قطار حياته حتـــى يذوب فى محبوبه ولا يبقى منه الا الشوق المجسد . وهكذا الـــى العالم المضىء الذى ينصهر فيه القلب والنفس فيخلوان من الشوائــب كما ينصهر المعدن النفيس فى البوتيقه فلا يبقى منه الا الجوهر .

وقد تدرج الشيخ فى الكشف عن حياة شيخه مريدا فشيخا صوفيـا روحيا تهز كلماته عروش الجبابرة ووصف مجاهداته الروحية وحالاتـــه الوجدانية وصفا فيه التاريخ المتوهج ولم يدع وصفه عن شخصه الا وقدمها فى هذه القصيدة :

حيث قال :ــ

وتبسط ارواحا وتقبض انفســا

وترفع قدرا مثل خفض لرقيـــة

وتمنع قوما ثم تعطى سواهـــم

وقفت بحار الكشف من غير مريــة

وترحم ملهوفا وتشهـر خامـــلا

وتنقذ غرقى البحر من وسط لجة

وهذا الوصف الصوفى لايفهمه الانسان العادى ولاهو بالاستقراء الذى يراد به فحص مجموعة من الظواهر الحسية بل هو الفناء فى الله الذى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو أقرب للانسان من حبل الوريد فان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقد يكون قرب العبد بدرجة أرقى من هذه وتلك ما يذهب فيهـا الفارق عن آية قربه من الله بقرب الله منه .

قال تعالى : اذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى (١) وقال تعالى :
ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . وقال تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون . فان محبة العبد لربه هى حالة يجدها فى قلبه . فابن عيسى القلب . عالم ورع من ائمة المسلمين . ووليا عظيما من الاولياء الصالحين ومرشدا من المرشدين الى الطريق الحق كان مجاهدا فى سبيل الطريقة التيجانية وخصما شديدا لاعداء الله جاهد نفسه حتى صفاها وجاهد الشيطان حتى خذله وناصر الرحمن حتى أعز الله جنده .

التصوف رسالة روحية عليا ينبغى ان يقوم الصوفيون على أدائهـا وأن يحملوا على نشر لوائها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة البقرة : ٢/١٨٦ ١٨٥
(٢) سورة ٥٠/٢
(٣) سورة

خير الناس أنفعهم للناس هؤلاء الذين حملوا مشاعل التصوف في تشاد ولتجعل من سيرهم منهجا ومن اخلاقهم مرشدا ومن ايمانهم مثلا هاديا .

ان أولياء التصوف لمصابيح هدى ونور ومشاعل تتجمع حولها الجماهير المؤمنة . نقلوا بها المحبة وعواطفها الصادقة لتشاهد فضل الله على أحبائه وأوليائه وما عمهم من نفحات وكرامات هي من فيض الرحمة الالهية هدية ذكية لمن طاع الله ورسوله واقتدى بالله ورسوله وأحب الله ورسوله .

وقد تكون من نافلة ان نقول ان حياة الشيخ طاهر بن عيسى هي ملك التاريخ لأنه لم يعش بذاته وانما عاشت للانسانية ولذلك فان للانسانية ان تنصف تراثه الفكري فان الشعلة المقدسة التي حملها في حياته وأنار بها الدروب والمتاهات التي تسير فيها قافلة البشرية سيظل وميضها وهاجا فيما خلفه أسماء الفكر الصوفي التشادي .

بوأه الله منازل الرضوان فكان لكلماته النيرة أثر طيب في العقول والقلوب يقدم الرائعة اثر الرائعة وان شمائله رضي الله عنه كانت توائم فكره ومن هنا جاء تصوفه صادقا لا زيف فيه نقيا لا تشوبه شائبة .

الشيخ محمد طاهر الصوفي الــورع

(١٧٣٧ ــ ١٧٩٧ م)

حياتــــه

ولد العلامة محمد طاهر بن عيسى التلب بقرية الشخارة التـــي تبعد سبعة كيلو متر في منطقة المراكي ذات العلف والكلأ والتي تعد من أعظم المراتع للمواشي فضلا عن كونها أكبر اصطياف للعرب الرحل كما تبعد الشخارة عن أم التيمان محافظة السلامات[1] ٨٤ كيلو متـــر والشيخ طاهر من أصل عربي من قبيلة الجِهاد او الحمادية ٠(٢)

هاجرت تلك القبيلة من الجزيرة العربية الى تشاد وذلك فـــي القرن الحادي عشر الميلادي واستوطنت تلك البلاد الافريقية ونشرت الدعوة الاسلامية عن طريق التجارة توفي والده وأمه السيدة زمزم حبلى به فكتب وصية يقول فيها :

اذا وضعت هذا الحمل ذكرا سمه محمدا ٠

---

(١) ام التيمان محافظة السلامات بجمهورية تشاد تبلغ مساحتها ٧٥ ألف كيلومتر مربع كما يبلغ عدد سكانها ٩٥٠٠٠ نسخة يقطنها عـــدة قبائل عربية وهم : قبائل السلامات الهلالية ٠والجهاد ــ او الحمادية والراشد ٠ اما القبائل الاخرى غير العرب وهم : الكبيت والدقـــل ــ والرنقة ٠ وأم تسمية اطلقها العرب على شجرة الجميزة ٠ يقال ان امـــرأة من العرب الرحل وضعت تحت هذه الشجرة توأمين فسميت هذه الشجـــرة باسم التيمان اى التوأمين ٠

ام التيمان ، بام

(٢) ويقال انه من قبيلة بني سليم وهو الأرجح

أ ـ سيرته :

يمثل الشيخ طاهر الصورة الحقه للمتصوف التشادى مولدا وحياة ونسبا ولا نعنى بالمتصوف التشادى أن يكون ذو طريقة صوفية مختلفة عن ماهو معروف بل هو أحد العلماء والاولياء التشاديين من أعضاء الطريقة التيجانية التى تحدثنا عنها من قبل . وتعلم تعليمه الاولى فيما كان موجود من المدارس الأولية وحفظ القرآن على مشايخها وقد تدرج الشيخ طاهر فى عدة طرق صوفية وسلك أكثر من طريقة على ايدى شيوخ مختلفين . فقد سلك أولا الطريقة الخلوتية ثم بعد ذلك الطريقة الشاذلية وكانت منتشرة كثيرا فى الشمال الافريقى ومنها تفرعت كثير من الطرق وهى فى انتقالة بين هذه الطرق المختلفة صحب كثيرا من المشايخ مثل الشيخ عثمان المرغنى صاحب المولد العثمانى . والشيخ احمد ادريس ولازمه فترة طويلة . وفى ترجمته الموجودة فى كتاب غاية الامانى الذى يذكر فيه مؤلفا وتراجم ومناقب والكرامات أصحاب الشيخ احمد التيجانى نجد انه تلميذ سيدى محمد بن المختار التيجانى الشنقيطى رضى الله عنه .

وهو من أخلص أصحاب السيد احمد التيجانى كان كثير السياحة ويقال انه لقى سعيد باشا خديو مصر وأعطاه الطريقة التيجانية . (٢)

---

(١) انظر ترجمته فى المرجع السابق ص ١٠٢ ـ ١٠٣

(٢) غاية الامانى ص ١٠٤

ويحكى عنه كثيرا من الروايات من أنه كان يتقن ثلاثين لغة وكانت الطيور والوحوش تألفه ولا تنفر منه وقد أخذ عنه وتخرج على يديه كثيرا من العلماء والاولياء منهم الشيخ طاهر بن عيسى وقد سلك الطريقة الخلوتية والشاذلية ، وقد حج ، وسافر الى صبيا[1] ببلاد اليمن ولقى بها سيدى احمد بن ادريس ولازمه مدة ، وقد دخل نحوا من أربع وستين خلوة وقد أخبره الشيخ أحمد بن ادريس أن فتح طريقه على يد رجل من المغرب يتلقى في دارفور فسافر اليها ومكث بها ينتظر هذا الشيخ حتى جاء سيدى محمد المختار رضى الله عنه ، وحين التقى به تهلل أن يحط احماله ناداه سيدى محمد المختار قائلا له ياشيخ طاهر انا الذى أخبرك به الشيخ احمد بن ادريس وأخذ عنه الطريقة ، وفتح عليه بمجرد المبايعة الفتح الكبير (٢)

يحكى عنه أحوال وكرامات عجيبة ، ومن قبيل ما يحكى عنه ان بعض أصحابه مسلم عليه بعد موته فرد عليهم السلام وهو في القبر الا ان هذه الحكايات علينا ان نتعامل معها بحذر فهي من قبيل المبالغة في الحب منهم في الحب والتعظيم له .

وللشيخ طاهر كثير من التلاميذ والاصحاب منهم سيدى الشيخ احمد الهادى (٣) والشيخ ابراهيم الخزامى ، والشيخ مبشر بن سيدى

---

(١) في الكتاب صبيا وقد يكون المقصود صنعاء

(٢) غاية الاماني ص١٠٤

(٣) المرجع السابق ص ١٠٥

عمر بن سعيد الفوتى (١).

وقد أكثر فى حفظ القرآن وتلاوته واتجه الى الذكر وكانت الخلوة وسيلته ليوقظ بها وجدانه ويزكى بها نفسه وبعد أن تم له هذا تفجرت فى داخله ينابيع الفيض وعالم الشعر .

وللشيخ طاهر مؤلفات عدة منشورة ومخطوطة وقد كتب الكثير من الشعر الصوفى الخالص فى محبة الله ومدح رسول الله . وله فى ذلك قصائد عديدة سوف نشير اليها ونعرض لبعضها . وسنجد اشعاره وكتاباته منشورة فى كتب التيجانية مثل كتاب " مولد التيجانى المسمى عنوان مطابع الجمال فى مولد انسان الكمال " تأليف الشيخ محمد بن المختار الشنقيطى وقد طبع بمصر والسودان " (٢).

والافكار الاساسية التى يدور حوله شعره ونثره هى محبة الله والتوسل بالرسول واذا كانت الحقيقة الالهية هى محور شعره فقد تناول من ذلك المنظور الشرعى البسيط وليس من خلال التصورات الميتافيزيقيا التى ربما تبتعد بها عن جوهر الايمان البسيط وهو فى هذا صاحب مذهب صوفى مرتبط بالشريعة ذو اتجاه عملى .

ب) نماذج من اشعاره :

وتدور اشعاره كلها حول حب الله ومناجاته ومدح الرسول

---

(١) نفس المرجع ص ١٣٠

(٢)

والتغنى باعمال شيخ الطريقة الشيخ احمد التيجانى الذى يمثل بالنسبة له رتبة عاليه وله بعض الاشعار التى تضع نظرية فى الحقيقة المحمدية التى طالما تحدث عنها الصوفية وشعراء الصوفية وتتعرض الان لبعض قصائده ٠

والقصيدة الأولى تدور كلها حول :

مناجاة لسيدنا ونبينا محمد عليه السلام وفيها كثير من المعانى الفلسفية التى دار حولها شعر كثيرا من الصوفية وهى تتضمن شيئا من نظرية الحقيقة المحمدية التى وجدت لدى الحلاج وابن عربى وسلطان العاشقين والشاعر الصوفى المصرى عمر ابن الفارض يقول فيها :-

ياسيدا قبل الخلائق ساجدا ياسيدا انت المناجى سرمدا
سماك ربك احمدا ومحمدا ياسيد السادات جئتك قاصدا
نرجو رضاك ونحتمى بحماكا

فرحت بجاهك يا عظيم الاعظم حتى الوحوش والعصاة وبعضهم
مالى سواك فى المعاد ويرحم وبحق جاهك اننى بك مغرم
والله يعلم اننى أهواكا

لولاك ما كان العوالم بنشوءا لولاك مابدا الزمان المبدوءا
لولاك لانور شموس وضوءا أنت الذى لولاك ماخلق امرؤا
كلا ولا خلق الورى لولاكا

من نور وجهك فى الصباح تنفسا ... وبفضل جودك كل ليل تعسعسا
سجدوا اليك الانبياء تقدسا ... أنت الذى من نورك البدر اكتسا
والشمس مشرقة بنور بهاكا

نسبا قديما من سلالة آدام ... اصلا شريفا من ولادة هاشم
دينا عظيما للضلالة هادم ... أنت الذى لما توسل آدم
من ذنبه بك فاز وهو اباكا

هل هناك نظرته الحقيقة المحمدية لدى الشيخ طاهر كما يتبدى من خلال شعره أم لا ؟

وللاجابة على هذا السؤال نعرض بايجاز لهذه النظرية ونرى هل هناك شيئا منها لدى شاعرنا المتصوف .

الحقيقة المحمدية كما عرفت فى التصوف الاسلامى هى نظرية متعلقة بشخصية سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) فلم تجد الحياة الدينية فى الاسلام مثالا أعلى فى أى انسان الا فى شخصية النبى محمد [1] ويمكن عرضها على النحو التالى :ـ

حين تعرف النبى (صلى الله عليه وسلم) قام عمر بن الخطاب فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله قد توفى وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه ... والله ليرجعن رسول الله كما

---

(١)

رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون ان رسول الله مـــات[١] هذه الافكار التى اشار اليها عمر سرعان ما تمت وتطورت •

والاعتقاد بأزلية الوجود المحمدى قد ظهر فى عصر مبكر جـــــدا عند الشيخ ثم أخذته أهل السنة من بعدهم • وقد أشير اليه فى كثيـــر من الاحاديث الموضوعة قبل الحديث المشهور " كنت نبيا وآدم بيـــن الماء والطين " اى قبل خلق جده آدم •

وقد ذكر اتباع هذه النظرية ان اول شئ خلقه الله هـــو الروح المحمدية او النور المحمـــدى الذى ظهر بصورة آدم ثم بصـــورة كل نبى بعده حتى ظهر أخيرا وصورة النبى محمد نفسه كما عنــــد السنة اما الصوفيـــة فالنور المحمدى عندهم هو الروح الالهى الـــذى نفخ الله فيه فى آدم او هى شئ أشبه بالعقل •

الذى قال به افلاطون او يشبه بالكلم الالهية عند المسيحيين • لكن النظرية الاسلامية ترى محمد أو بالاحرى الحقيقة المحمدية • لا الصورة المحمدية الجسدية – هو مبدأ الحياة ومركزها فى العالـــم فهو بهذا المعنى كل شئ وحياته وهو من جهة اخرى الواسطة بين اللـــه وعبادة والمنبع الذى يفيض منه على العاشقين معرفتهم بالله على نحـــو ما يعرف الله نفســه وتصل اليهم فى القضايا والمنح الالهية •

---

(١) نيكلون : المرجع السابق ص١٥٦ نقلا عن الطبرى ج ١ سنة ١٨٥١ ص٣٤ ومابعدها – سيرة ابن هشام ص ٤٣ مطبعة مصـــر ١٣٣٩ هـ •

هذه النظرية التي تعترض ان هناك حقيقة روحية قديمة لمحمد هي مصدر جميع الرسالات ومصدر العلم والحياة ووجدت عند كثير من صوفيــة الاسلام نجدها لدى الحلاج الا انه مستمد من مصدر يهودى مسيحى لكن صورتها الاسلامية وجدت بشكل واضح لدى كل من ابن عربى وابــن الفارض .

وهى عند ابن الفارض تظهر فى حديثه عن القطبية ... على ان الحقيقة المحمدية أزلية . وأن قدم من الوجود كله ... ومنبــع فياض بكل مافى حالة الغيب من ارواح وبكل مافى عالم الشهادة مــن صور واشباح . لولاها لما كان وجود أو شهــود او عهود .

وهذا يعنى ان الحقيقة المحمدية هى المخلوق الاول الــذى ابدعه الله او هى الفيض الاول الذى فاض من ذات الله والذى خاطبــه الله فى الازل بقوله (لولاك ماخلقت الخلق) والكائنات الروحيــة انما تصدر من باطن هذه الحقيقة فى حين ان الكائنات المادية تفيـض من ظاهرها . ص ٣٦٤ .

والنظرية بهذا الشكل نجد صداها فى شعر الشيخ طاهــر الحيحاوى الصوفى التشادى وهى ليست نظرية بالمعنى الذى يفهـم عند الكلام على نظرية فى العلم او الفلسفة انما نحن نسميها نظريــة تجاوزا وذلك لانها ترتبط بالحالة النفسية لقائلها .

وهى تبدو فى قوله (ياسيدا قبل الخلائق ماجدا) فى الشطره الاولى من البيت الاول وكذلك فى قوله

لولاك ما كان العوالم بنشائها   لولاك ما بدأ الزمان المبدأ

لولاك لانور الشموس يضوءا   انت الذى لولاك ما خلق امرؤ

كلا ولا خلق الورى لولاكا

وقوله : ايضا فى البيتين الاخيرين :

نسبا قديما من سلالة ادم   أصلا شريفا من ولادة هاشم

دينا عظيما للضلالة هادم   انت الذى لما توسل آدم

من ذلك بك فازوهو اباكا

وأما القصيدة الثانية للشيخ طاهر يقول فيها :

(١) يامن يروم على الرسول ويهتدى

فعليك بالقوس الفريد الاوحد

(٢) من احمد التجان خذ مرآته

فانظر بها لله ربك تشهد

(٣) سر الولاية قد منحت به فلا

ترقب عن النور المضىء الاحمد

(٤) بدر اضاء الكون نور تناثه

وسمى على كل الاكابر مقصد

(٥) بدر تجلى على الوجـــود بأســره

وأفاض بالعلم اللــدن وأرشــــد

(٦) شمس الهداية قد تشعشع نورها

فى وجه احمد كالسراج الموقـــــد

(٧) وجمال كل الاولياء وحسنهـــم

وضياءوهم من نور هذا السيـــــد

(٨) وبهاء كل العارفيــن وعزهـــــم

ورشادهم من نور هذا السيـــــد

(٩) والله لو حل السجود لشخصهم

غيـر الاله فاننى لـك أسجـــــد

(١٠) ياجسم ما يبـدى لحرفته حيلـة

لكن أمد لابن عائشة يـــــدى

(١١) ياسيد الاقطاب أنت رجـــاءنا

يامن له فوق المشاهد مشهـــــد

(١٢) خـد ورد منه لايكاد فيوجـد

عند الكبائر جمعهـم والمفـــرد

(١٣) وجواهر من فم أحمد قد بدت
طوبى لعبد نالها وتعبد

(١٤) هو الكوكب الدرى نور عيوننا
وملاذنا البحر المحيط المسند

(١٥) نجل الكرام الاولياء ذو العلا
الهاشمى أصل الشريف المسود

(١٦) فعليك يا نعم المحب بحبه
تجد البشائر دونه لاتوجد

(١٧) أراهم حبهمك ظاهر متعلق
بك سيدى وكذاك آل ابنى فأرشد

(١٨) ورضاه ربى كلما بلغ الثنى
قطب كبير فائق متأبد

.. ..

وفى هذه القصيدة يمدح الشاعر الشيخ احمد التيجانى شيخ الطريقة التيجانية وهو يضع الشيخ التيجانى فى منزلة عالية جدا فقد وضعه فى

منزله بعد الرسول مباشرة [١] فهو الواسطة بين العبد وربه ، فهــو المرآة التي ينظر فيها الاتباع الى الله [٢] وهو في هذه المنزلــة يسمو على كل العباد (الاكابر) .

وحياته ليست مخصصة لبشر دون بشر بل هو نور ومدد تجلى علــى الوجود بأسره . بل انه مصدر كل علم . وكل جمال وحسن . مستمد من نوره وبهائهم وعزهم ورشادهم من نور هذا السيد . بل انه يصــل الى درجة المسجود له . " السجود لشخصهم .. غير الاله فانــنى لك أسجد " .

يقول الشيخ طاهر :

والله لو حل السجود لشخصهم . غير الاله فانني لك اسجـــد

لو ان السجود حلال او مسموح به لغير الله تبارك وتعالى فانني ياشيخي احمد التيجاني لك أسجد (والله لو حل فان مخافة نقمة من خالقي الذى خص السجود لنفسه تمنعني من السجود لغيره) .

بل ان الشاعر يعطيه كل الصفات المحببة للنفس التي يعتز بهــا العربي . فهو في أعلى مشهد . وهو أيضا ذو الحسب والنســب . وابن الكرام ذو العلا . الهاشمي . ذو الأصل الشريف . وبهــذه الصفات كلها تمنزلته بين الاولياء مثل الرسول محمد بين الانبياء .

وهو في هذه القصيدة يسير على تقليد صوفي معروف . وكمــا

---

(١) نيكلسون : في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ١٥٧

يقول نيكلسون في كتابه عن تاريخ التصوف الاسلامي عن (الولى) :

يطلق المسلمون اسم (الولى) على الرجل الذى وصل الى مقـــام الفناء عن ذاته وارادته وبقى بالارادة الالهية . ولكن ليس معنى هـذا ان جميع الصوفية أولياء . وصلوا الى أعلى مراتب الاحوال الصوفية (١) .

ويتضح حبه لشيخه وفكرته عن الولى تطبيقا لها في قصيدته الثالثة التى ربما تفوق كثيرا نظرة المسلم العادى . وسنعرض لهذه القصيدة ، أولا ونتعرف على صورة الولى كما تجسمت في شخص الشيخ احمد التيكجانى عند الشيخ طاهر الجهادى ويقول في هذه القصيدة :

(١) أيا سيد السادات بعد النبـــوة (٢)

فانت امام الكل بدأ بختمـــــة

(٢) نشأت نعم في الحب من قبـل آد م

وصورت من انوار خير البريـــــة

(٣) فأنت من المختار من اصل نـــوره

بمكنون سر الله قبل النبـــوة

---

(١) نيكلسون : في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ١٥٧

(٢) هذه القصيدة منشورة على مجموعة قصائد أخرى لبعض رجال الطرق الصوفية بعنوان مولد التيجانى المسمى عنوان مطابع الجمال فـى مولد - نشرها السيد مصطفى الحاج بمكتبة بواد مدنـى بالسودان ــ ومكتبة القاهرة بالصنادقية بالازهر ، من ص ٤٣ــ٤٥

(٤) وقد روى الاقطاب من نور شيختنـــــا [1]

كما الرسل والانبيا لطـه كقطـــرة

(٥) ولا قبلة الا وصرت أمامهـــــــا

وما غبت الا عن قلوب عميـــبة

(٦) ولا منبر الا وأنت رقيهـــــــــه

وتحجب الا عند أهل البصيـــرة

(٧) وألهمت اســرار وأعطيت حكمـــة

وتحيى قلوبا بعد موت الخطيئـــة

(٨) وتبسط أرواحا وتقبض أنفســـــا

وترفع قدرا مثل خفض لرتبـــــة

(٩) وتمنع قوما ثم تعطى سواهـــــم

وخضت بحار الكشف من غير مريـة

(١٠) وترحم ملهوفا وتشهـر خامـــلا

وتنقذ غرقى البحر من وسط لجـة

---

(١) الشنقطى : مولد التيجانى المسمى عنوان مطابع الجمال فى مولد انسان الكمال بمكتبة مضوى بواد مدنى سودانى ـ مكتبة القاهرة بالصنادقية بالازهر من ص ٤٢ ـ ٤٥

(١١) وتقهر جبارا وتدحض ظالمـــا
وتقضى بأمر الله حكم المشيئـــة

(١٢) تلألأت جوف الليل كالبدر اذ بـدا
وجزت طباق السامات العليـــة

(١٣) وسبحت فوق العرش والكرسى مثلـه
ونوديت بالترحيب من كل وجهـــة

(١٤) قطعت جميع الحجب بالروح صاعـدا
وشاهدت حسن الحسن فى كل لحظة

(١٥) تجلى لك المختار بالحب والرضـا
وعاينت شمس الذات عين الحقيقـة

(١٦) وأعطاك أسرار وأنوار علمـــــه
وعزا واجلالا وتقديـــم حضـــرة

(١٧) حفظت فنون العلم وصرت طرازهـا
وخضت بحار اللطف تلك المســرة

(١٨) سقاك بكأس من رحيق فقال قـسم
تلذذ بهذا الكأس وادن لحضـــرة

(١٩) ودقت طبول ثم خيمات شرعــــة

ورايات عز ذى بياض وخضــــرة

(٢٠) وكرسى عز عن علاك جلستـــه

وفاح عبيق المسك ريح زكيــــة

(٢١) وتوجت تاجا ثم ألبست حلــــة

وفقت على شمس السماء المنيـــرة

(٢٢) وعندك جيش كالبدور اذا بـــدت

وهم دون ألف أهل حل وعقــدة

(٢٣) ومن دونهم أفراد ابدال أنجبت

واخيار أوتاد وفرسان دولـــة

... ..

وتبدو فى أبيات هذه القصيدة نظريته فى الولى وشكل تطبيقــى على الشيخ أحمد التيجانى ، وهو ايضا امام الكل ، بل أكثر من ذلــك فهو يصل الى أعلى مرتبة بين الصوفية وهى مرتبة القطبية او الانســان الكامل .

وفي جمعهم قطب يسمى برفرف * * ومن خلفه خمسون الف وستة

وهم اتقيا الابطال يأتون زمرة * * ومعقبهم جيش كزهر مضيئة

وهم بدلاء القوم صانوا لنصرهم * * ويتلون سر الله سرا بجهرة

ونادى جميع الاولياء بحضرة * * ايا احمد التجاني أكرم بشرية

اغثني برشد ثم منا بنفحة * * ايا تاج اهل الله أنعم بلحظة

وصب سحابا من لديك يمنا * * اياتاج اهل الله أسرع بغوثتي

فلما استغاثوا مرة بعد مرة * * وفاضت كنوز من لدنك برأفة

واروت جيوشا من خيار ذكرتهم * * ولاح ضياء لا يكاد لرؤية

ووجهك بدر ثم جسمك الشمس طلعة * * وشمرك نجم من جمال الفضيلة

ونلت فخارا من دنو ورفعة * * بغير اكتساب بل بأصل الطبيعة

فقل طاهر ابني قبلتك دائما * * وابعدت من ذل بدنيا واخرة

عليك ضياء الله مادام ملكه * * بغير انتهاء ياملاذي ورفعة

* * * * * * * * * * * *

تحليل نص ما ورد في بعض قصائد الشيخ طاهر

التي مطلعها :

ايا سيد السادات بعد النبوة

فانت امام الكل بدا بختمة

الى ان قال :

تلألأت جوف الليل كالبدر راويدا

وجزت طباق الساميات العلية

وسبحت فوق العرش والكرسي مثله

ونوديت بالترحيب من كل وجهة

قطعت جميع الحجب بالروح صاعدا

وشاهدت حسن الحسنى في كل لحظة

ان هذه الابيات بمعانيها المجازية والتشبيهية التي تقول ان الشيخ احمد التجاني سبح فوق العرش وكذلك الكرسي ونودى من قبل الله بالترحيب من كل وجهة وانه قطع مسافة طويلة بروحه صاعدا الى السموات العلى حتى شاهد حسن الحسنى .

هذا الاسرا الروحي البديهي لايفهمه الانسان المادى كما نرى هذه النظرية عند الحلاج فكأن الشاعر اراد ان يقول : ان شيخي احمد التجاني

رضى الله عنه يتلاء لاء في جوف الليل كالبدر في الظلام بنوره يذكر الله قياما وقعودا في ليل دامس لا يرى لما معه شيء الا الله يعبده كانه يراه لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار حتى انكشفت له الاسرار والرقائق الخفية عن طبقات السماوات العليا فرأى اللوح المحفوظ الذى ما من مثقال ذرة الا وكتبت عليه محفوظة الى يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم •

وقال بعض الشعراء فى ذلك :

وسبحت فوق العرش والكرسى مثله
ونوديت بالقرب من كل وجهة

فالتسبيح فوق العرش الوارد في البيت مجازيا ومعناه : الذكر والدعاء •

والدليل في قوله :

قطعت جميع الحجب بالروح صاعدا
وشاهدت حسن الحسن في كل لحظة

وفي قصيدة اخرى مطلعها :

يا من يروم على الرسول ويهتدى
فعليك بالقول الفريد الاوحد

من احمد التجانى خذ مرآته
فانظر بها للمه ربك تشهد

الى ان قال :

والله لو حل السجود لمنعم
غير الاله فانني لك اسجد

المعنى يقول الشيخ طاهر : لو أن السجود جائز أو حلال او مسموح به لغير الله تبارك وتعالى فانني يا شيخي احمد التجاني لك أسجد .

ولكن مخافة ربي وخالقي الذي خص السجود له وحده يمنعني من السجود لغيره .

فهو الذي يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني والذي يميتني ويحييني والذي يغفر لي خطيئتي يوم الدين .

من هنا نود ان نقارن اسراء روح الاولياء التي كشف لها الاسرار الربانية ليتعلم مالم يكن يعلمه الانسان العادي باسراء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هذا الاسراء يختلف تماما مع الاسراء الاول وهو اسراء روح الاولياء .

لان اسراء الرسول هو بالجسم والروح معا الى سبع سموات طباقا وهو امام الانبياء والمرسلين ومن نوره خلق الله ادم وجميع الاشياء .

ونكتفي هنا ببردة المديح للشيخ محمد البوصيري رضي الله عنه في وصفه للاسراء والمعراج .

تابع البوصيري (١) ملحمته النبوية فتحدث عن الاسراء والمعراج يصف النبي

---

(١) الزبدة في شرح البردة : بدر الدين محمد الغزي

صلى الله عليه وسلم ، فهو خير من يمم العافون ساحته ، وهو الآية الكبرى لكل معتبر ، وهو النعمة العظمى لكل مغتنم ومستطرد بعد ذلك ليصف لنا اسراءه فيشبهه باسراء القمر فى الظلمات حتى بلغ من السماء قاب قوسين أو ادنى ثم تابع رحلته فذكر كيف قدمه الرسل والانبياء ، وكيف اخترق سبع سموات طباقا فحاز خلال ذلك كل عز وفخار فهو اكرم الرسل وامته خير الامم حيث قال فيهم الله كنتم خير أمة أخرجت للناس .

فقصة الاسراء والمعراج واردة فى القرآن والاحاديث النبوية فانى اكتفى من هذا القسم من البردة فى قوله : سريت من حرم ليلا الى حرم ، كما سرى البدر فى داج من الظلم وبت ترقى الى ان نلت منزلة .

من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وقدمتك جميع الانبياء بها

والرسل تقديم مخدوم على خدم

وانت تخترق السبع الطباق بهم

فى موكب كنت فيه صاحب العلم

حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق

من الدنو ولا مرقى لمستنم

خفضت كل مقام بالاضـــــافة اذ

نوديـت بالرفـع مثـل المفـرد العلم

والمعروف ان هذه القصه ذكرها اللـه تبارك وتعالى بقـوله : ثم دنا فتدلـى . (١) فكان قاب قـوسين أو ادنـى " فأوحـى الى عبده ما أوحـى ، ماكذب الفؤاد مارأى أفتمارونـه على مايـرى ، ولقد رآه نزلـة أخرى عند سـدرة المنتهى عندها جنـة المأوى اذ يغشـى السـدرة مايغشـى ، مازاغ البصـر وما طغـى ، لقد رأى من آيات ربه الكبـرى .

ومعنى سـريت من حرم أى سـرت ليـلا أى فيـه من حرم مكـة . الى حرم " يريـد المسجد الاقصى ، قال تعالى : سـبحان الذى اسـرى بعبده ليـلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حـوله لنريـه من آياتنا انه هو السميع البصير" (٢) ومن اسرى به الله فقد سـرى .

(كماسـرى البدر) ما مصدريـة ، اى كما سرى القمر ليلة كمالـه فى داج كائـن (من الظلـم) اى فى ليل مظلم . يقال دجى الليـل ، اذا اظلم ، فهو داج ووجه الشبـه سرعة السير وتمام الخلقـه وكمال الاشـارة وفيه اشـارة الى انه كان بجسـده الشريـف

---

(١) سـورة الاسـراء الآيه ١٧

(٢) " " "

وفي يقظة كما هو مذهب الجمهور وكان المعراج ليلة الجمعة السابعة والعشرين من شهر رجب

(وبت ترقى) اي تصعد ليلة الاسراء منازل العلو باختراق السموات الاولى ان نلت منزلة)

اي مرتبه وقاب قوسين " اي قدر قوسين طولا في القرب من الله تعالى : ثم دنا فتدلى فكان

قاب قوسين أو ادنى . [1] اي انه في القرب منه كقرب الواحد من آخر بقدر قوسين

او اقل بقرب مكان لانه تعالى منزه عنه بل قرب تشريف وتقريب منزلة واصله تعبير

قاب قوسين في القرب كما قال بعضهم انه كان من عاداتهم اذا ارادوا عقد مودة ان يمد احدهم

قوسه ويصلها قوس صاحبه ممدودة .

(ولم ترم) اي لم يصلها احد غيرك .

وقوله :

وانت تخترق السبع الطباق بهم

في موكب كنت فيه صاحب العلم

(السبع الطباق) اخذ من قوله تعالى : " سبع سموات طباقا " [2] اي بعضها فوق بعضها

مارا بهم " الانبياء والرسل ففي خبر الاسراء في مسلم : انه مر في السماء الدنيا بآدم

وفي الثانية بعيسى . ويحيى وفي الثالثة يوسف . وفي الرابعة ادريس . وفي الخامسة

---

(١) سورة النجم الاية : ٩

(٢) سورة الملك الاية ٢٧ /٣

بهارون ، وفى السادسة بموسى ، وفى السابعة بابراهيم صلوات الله عليه وسلامه عليهم اجمعين .

وهكذا تم الاسراء ورأى الله تبارك وتعالى برأيه بلا كيفيه ولا انحصار .

============

قصيدة الدنيا للشيخ الطاهر بن عيسى التليب رضى الله عنه .

انا الدنيا اقول لطالبيها ، فلا تنقر بها مادمت حينا

ولى لاتنخدع يا صاحبي * * ولاتفرح لما منى هديا

انا منا بعد العطيه

انا ورم وظنوني سمينا * * انا الكسرى وعند هم الامينا

انا المرجاء من رجلى اليمينا * * واقطع دابرا للطاعنينا

ويامغرور لاتفرح الى

اقول لكم غدا انتم تغوزا * * واغنيكم لكم عندى كنوزا

اقاويلى خيالات رموزا * * نفس عين البصير انا العجوز

واعمى الذين ينظرنى صبيا

انا خداعة فى طول دهرى * * انا لم تنتهى اقوال مكرى

انا لم التفت ان كنت اجرى * * انا اغنيت شخصا بعد فقرى

لكى يغتر لمن يأتى الى

وانتم غافلون انا العذاب * * وانتم عالمون انا الخراب

فمن نور الاله انا الحجاب * * انا الدار المرورة انا السراب

فياذا اللب الاتحزن على

انا الوجه الذي اعيا الاطبـا * * انا الداء الذى يدعـو المكبـا

انا نعامة بين الاجـسـه * * والهـى صاحبـى من كل قربـى

ومن عـاذاه رب البريـــه

وفى وقت اكون لـه انيسـا * * والبسه ملابيسـا نفيسـا

وفى قرب اكون لـه تعيسـا * * وفى قلبـى عندى لـه دسيسـا

ساظهر حاله عند المنيـه

خذوا ماقلتـه ياسامعينـا * * من الأقوال فى وصـف اللعينـا

مواعظـة لكل الحاضريـن * * ويا اهـل الفضائل اجمعينـا

ساطلب منكم تدعـوا الـى

ويارحمن انى جئت حاضـر * * ساصلح للسرائر والظواهـر

واغفـر لى الكبائـر والصغائـر * * وناظمها يمسى من بطاهـر

ويارب تكـون لـه رضيـا

وصلى لطـه يا المولـى العظيمـا * * غدا تسلم سلاما ياكريمـا

وعلى الال انـك ياكريمـا * * واختم بالسعادة يارحيمـا

لنا والمسلمين ووالدينـا

الصوفي الورع : الطاهر ابن عيسى يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم :.

يارب صلى على النبي وآله * * والتابعون وكلهم وافاكا

ياسيدا قبل الخلائق ساجدا * * ياسيدا انت الناجي سرمدا

سماك ربك احمدا ومحمدا * * ياسيد السادات جئتك قاصدا

نرجو رضاك ونحتمي بحماكا

والله قد اقسمت بالخلائق ان لي * * شوقي على كنز الذخائر كلها

المصطفى اوصافه لم يكملها * * والله ياخير الخلائق ان لي

قلبا مشوقا لايروم سواكا

فرحت بجاهك ياعظيم الاعظم * * حتى الوحوش والعصاة ويعشم

مالي سواك في المعاد ويرحم * * وحق جاهك انني بك مغرم

والله يعلم انني اهواكا

لولاك ماكان العوالم ينشؤا * * لولاك ما بدأ الزمان البدوءا

لولاك لانور شموس وضوء * * انت الذي لولاك ماخلق امروءا

كلا ولا خلق الورى لولاكا

من نور وجهك في الصباح تنفلق * * وبفضل جودك كل ليل تعمعسا

سجدوا اليك الانبياء تقدسا * * انت الذي في نورك البدر اكتسا

والشمس مشرقة بنور بهاكا

يوم الذي اسراك فيه الى السماء * * جبريل قائد للبراق مقدما

اعلى المجالس كنت فيه مبجما * * انت الذي لما رفعت الى السما

بك قد سمت وتزينت لسراكا

يا اسعد السادات انت مقربا * * يا اشرف الدرجات اعلى مراتبا

في جنة الفردوس حوضك مشربا * * انت الذي ناداك ربك مرحبا

ولقد دعاك لقربه وحباكا

يوم الوقوف على الصراط مهمة * * ظهرت عجائبك الكرام ورحمة

تبكي نفوسا طالبين سلامة * * انت الذي لما سئلت شفاعة

ناداك ربك لم يكن لسواكا

نسبا قديما من سلالة آدم * * اصلا شريفا من ولادة هاشم

دينا قديما للضلالة هادم * * انت الذي لما توسل آدم

من ذلة بك فاز وهو اباكا

أطفئت نار المشركين بعدله * * شاعت تجاهر للخليل بحرقه

رضاه رب العالمين ببرده * * وبك الخليل دعا فعادت ناره

بردت وقد خمدت بنور سناكا

نجيت قوما اهلكوا بعذابه * * مثل النبى ايوب كان اصابه

اثار هد حك للبلاء يسرده * * ودعاك ايوب بضر مسه

فازيل عنه الضر حين دعاكا

شمعون وابن الخالتين وقد را * * عيسى ويحيى هاديا وبشرا

في حالة الاطفال كان ومشهرا * * وبك المسيح اتى بشيرا مخبرا

بصفات حسنك مادحا لعلاكا

هد حسى على الرسل الاجم مجملا * * ولان نوحا فى الهداية مقبلا

فهم الهداة للهداية مرسلا * * وكذلك موسى لم يكن متوسلا

بك فى القيامة محتما بحماكا

كنت امام السابقين مع الورى * * كنت دليل المنذرين منورا

كنت بدر المسلمين مدورا * * ولانبياء وكل خلق فى الورى

والرسل والانبياء تحت لواكا

تراسلت جميع الملوك بحيمرا * * واتوا بجمجمة الحبيب محيرا

تمدوا بها خير البريه والثرا * * لك معجزات اعجزت كل الورى

وفضائلا جلت فليس تحاكا

نلت الفضائل والكرامة والهنا * * وبفضلك المختار قد نلت السنا

وبحق جودك لاتخيب وصلنا * * نطق الذراع بسمه لك معلنا

والضب قد لباك حين اتاكا

نعم النبى ونعم قوم آمنت * * نعم الرجال المتقين تزاورت

نعم المنازل فى الجنان تزخرفت * * والذئب جاءك والغزالة قد أتت

بك تستجير وتحتمى بحماكا

فلك الغمامة فى السماء تظللت * * ولك الشموس فى السماء تزاورت

ولك الملائكة الكرام تأدبت * * وكذا الوحوش اتت اليك وسلمت

وشكا البعير اليك حين راكا

نبأ الذلال من البحور تفجرت * * ولك الحمامة بالحروف تكلمت

ولك الامور المعضلات تفرجت * * والماء فاض براحتيك وسبحت

ثم الحصى بالفضل فى يمناكا

وأتيت بالحسن الجميل خليفة * * وبعثت بالصبر النظير كحيلة

وخصصت بالرسل الانام قديمة * * ودعوت اشجارا اتتك مطيعة

وسعت اليك محبة لندا اكا

راحت عقول العارفين وماقرا * * ياطه انت مرسل وبشرا

فكم لك المداح قولا وشعرا * * وعليك ظللت فى السورى

والجزء حسن الى كريم لقاكا

فاز السعيد وسار نلت بارضهم * * ان الحبيب كذا الصحابة جمعهم

والتابعين من الولات لامرهم * * وشفيت ذى الامراض من عاهاتهم

وملئت كل الارض من جسد واكا

سالتك اللهم انت الاعظما * * فتح العلوم المخفيات وان ما

نالوا بها اهل المراتب كلما * * وردت عين قتاد بعد العما

وابن الحصين شفيته بشفاكا

يوم الرجال على الخيول تزاحما * * جادا سيوف الهنديات تصادما

فرت جيوش الكافرين مهازما * * وكذا عجيب ابن جعفر بعد ما

جرحا شفيتهما بلصريداكا

فاق البلاد ومنى عليها باسمه * * طبع بلاد المشركين بسيفه

كنز المناقب والفوارس تمه * * وعلى من به رمد داويته

فى خيبر فشفى بطيب فماكا

انت المجيب بك الاجابه حيث ما * * انت القريب بذلك القراب مرما

انت لواء الحمد فيك معظما * * وسالت ربك فى ابنى جابر بعد ما

ماتا فاحياهما لرضاكا

كم كنت فى بعض الديار مهاجرا * * كم كنت فى بعض الزمان مسافرا

كم كنت فى ظهر البراق معارجا * * ودعوة عام المهلل ربك معلنا

فانحل قطر السحب حين دعاكا

اذن بلال فى المنار فأقبلا — فزت قلوب الذاكرين تزلزلا
حزنوا ودام الحزن فيهم قيلا — فدعوت كل الخلق فانقادوا الى
دعواك طوعا سامعين نداكا

صديق رأس القوم كان وجندهم — فاروق رد الحق قال بكيدهم
عثمان ذو النورين قام بقتلهم — وأعداك عادوا فى القليل بجمعهم
سرعا وقد حرموا الرضا بجفاكا

نلت السرور ونلت كل مناكا — نلت النبوة فى الرسالة ذاكا
حزب الامانة فى الامور معاكا — فى يوم بدر قد اتتك ملاكا
من جند ربك قاتلوا اعداكا

ياصفوة الاخيار يا نعم الفتى — يابهجة الدارين ياذا الهبتا
يا ملة الاسماء ياذا الهمتا — والفتح جاءك يوم فتحك مكتا
والنصر فى الاحزاب قد وافاكا

بحر العبادة والتلاوة والصلاة — بحر البلاغة والفصاحة والعلا
بحر الامانة والصفاوة والعلا — هود ويونس من بهاك تجملا
وجمال يوسف من ضياء ثناكا

ليس الشبيه لمن يشابه وصفيا — ليس المثيل لمن يماثل مثليا
ليس النجى لمن يناجى بقوليا — قد فقت ياطه جميع الانبيا
طرا فسبحان الذى سواكا

يانسبه العدنان ياجد الحسن　　ياجوهر الفردان يازكى البدن
ياطيب الاخلاق ياسمح الوطن　　والله ياسين شلك لم يكن

فى العالمين وحق من اعلاكا

وحى من الله العظيم وخبرا　　روح أمين للدقائن مشعرا
ملك وكيل الرسل كان مبشرا　　عن وصفك الشعراء يا مدثرا

عجزوا وكلوا عن صفات علاكا

انت امام الفاضلين الفضلا　　أنت رسول المرسلين الرسلا
أنت أمير الامراء العدلا　　ماذا يقول المادحون وماعلا

ان تجمعوا الكتاب فى معناكا

طوبى لمن سهروا الليالى بذكرهم　　طوبى لمن حضروا مجالس درسهم
طوبى لمن ظان النبى بنصرهم　　والله لوان البحار مدادهم

والعشب اقلام جعلن لذاكا

ومثل هذا نجده فى الابيات الاخيرة من ٢١ حتى ٢٣ وهو فى تصوره للولى يعرض للقطبية او بعبارة ثانية للحقيقة المحمدية والنور المحمدى قد ظهر فى صورة جميع الأنبياء من آدم الى عيسى ثم ظهر أخيرا فى صورة الرسول محمد نفسه ٠ ولكن ظهوره لم ينته فى نظر الصوفية ٠ فانهم يعتقدون انه هو الذى لا يزال يظهر فى صورة الاولياء الذين يقتبسون من نوره ٠ ومن هنا كانت الصلة التى تربط أهل التصوف أقوى وأكبر من تلك التى تربط أهل السنة مهما كانت درجتهم فى التقوى ومهما عظمت محبتهم له لأن هؤلاء الاخيرين لا ينظرون اليه الا نظرتهم الى المثل الاعلى فى الدين والاخلاق وهم من أجل هذا يعظمونه ويوقرونه ولكن التعظيم والتوقير شىء والمحبة شىء آخر ٠

ومن هذه الناحية يعتبر الصوفية أنفسهم خلفاء النبى والممثلين الشخصية له فى خلافته عن الله ٠ ولذا كثيرا ما وصفوا أنفسهم بأوصاف هى أليق بالجناب الالهى أو بالحقيقة المحمدية ٠ وليست لغة الحاد وغطرسة ولكنها فى الحقيقة لغة أناس أرادوا ان يصفوا الله فوصفوا أنفسهم لشعورهم بأنه هويتهم أو ارادوا ان يصفوا الروح المحمدى فوصفوا أنفسهم بأنهم قطعة من نور الله ومن نور النبى (صلى الله عليه وسلم)[1]

---

(١) نيكلسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه ٠ د ٠ ابو العلا عفيفى ص ١٦١

٢- الشيخ الحبو الشعراني :

متصوف تشادى من اصل عربى ، يرجع للقبائل العربية التى هاجرت الى بلاد تشاد وهو مثل الشيخ طاهر يتبع الطريقة التيجانية او يميل اليها ، وقد ولد بمملكة وادى فى عهد السلطان يوسف سلطان وادى حوالى سنة ١٧٦٥ وقد تلقى علومه الدينية الأولى بمدينة أبشة وحفظ القرآن الكريم والاحاديث النبوية وتلقى علومه العليا بالازهر بالقاهرة فتعمق فى علوم اللغة والتوحيد والحديث والقرآن ، وحين عاد بعد أتمام دراسته الى بلاده اشتغل بالعلم والتدريس وجمع حوله التلاميذ وكان دروسه كلها تدور حول تفسير القرآن وشرح الحديث وبعض الأصول فى الفقه والتوحيد ،

وللشيخ الحبو كثير(ا) من المؤلفات وان كان اغلبها مخطوط ، فان بعضها لم يصل الينا ذلك لأن مخطوطات العلماء التشاديين المسلمين تعرضت للنهب والسرقة والتدمير والحرق فى أحياء كثيرة وذلك على يد المستعمر الفرنسى ، الذى كانت تسبب له هذه الكتابات قلق لانها مصدر الثورة عليه ففى سنة ١٩١٧ تعرض العلماء وكتاباتهم لصور

كثيرة من التعنت الفرنسى بمدينة أبشة العاصمة الاسلامية السابقة فحرق كثيرا من الكتب ويعرف هذا الحادث الاليم الذى يشبه فى صورة كثيرة منه ماحدث من المستعمر الانجليزى فى مصر فى حادثة دانشواى يعرف بحادث الكبكب أى الساطورة •

ولدينا من كتاباته بعض القصائد الشعرية التى يعبر فيها عما يحسه تجاه الله سبحانه وتعالى ويصف فيها ضراعته وتلهفه • وقد سماها (ضراعة الملهوف) [1] وبث فيها كثيرا من الافكار التى عرفها الصوفيين التشاديون والتى ربما نقلت لهم من المغرب العربى حيث انتشرت أفكار ابن عربى وتلاميذه •

وسوف نعرض لبعض أبيات هذه القصيدة ونحلل الأفكار التى جاءت فيها والتى مطلعها :

الحمد لله اللطيف ذى الكرم	والشكر لله الرؤف ذى النعم

ثم يذكر الرسول بعد بضعة أبيات على أنه الشفيع لدى الله فيقول :

بجاه أفضل جميع الخلق	محمد حبيب رب الحق
أسألك الرضى وحسن الخاتمة	لى ولكل مسلم ومسلمة

---

(١) مخطوط بمكتبة بنى هلال أولاد المعلم بأنجمينا بتشاد تحت رقم ١٧

ويقول :

ياسيد الوجود كن لنا شفيع   عند الله ربنا الرفيع

ان يعطى الخير الكثير الجما   منه تفضلا وجودا تما .

ثم يضيف بعد ذلك :ـ

شفعه فينا مالنا سواكا   أنت الكريم تعط من دعاكا

يارينا باحمد جئناكا

اغفر لنا وكل من ناداك

بحق ما أنزلته قرآنا

هو الكلام لك يا مولانا

بحق مافيه من الآيات

الامرات الناهيات

بسر كل سورة شريفة

بسورة الفاتحة المنيفة

توسلى اليك هب لى خيرا

وادفع الشرور وكل الضيرا

فاصرف الهى جملة الشرور

عنى بالتوراة والزبور

بحرمة الانجيل يا الهي
جدلي بخير ماله تناهي
أجب لكل مسلم دعاكا
بالخير عنه صارفا بلواك
بجاه كل من له عنايه
من الاله وله ولايه
من المريدين لذى الطريقة
توسلي لما تسح الخليقة
بجاه سيدي رسول الله
وجاه احمد ولي الله
بحرمة الشريعة المطهرة
بحرمة المدينة المنورة
بحرمة القبر الشريف الطاهر
بحرمة الكعبة بيت القادر
بجاه بيت المقدس الزكي
بعرش ربنا والكرسي

الحمد الله على التمـــــام

ثم صلاة اللـــه والســـــلام

على النبـى وعلى أصحابـــــــه

والــه والتابـع آدابـــــــــه

سميتها ضراعـــة الملهـــوف

الراجـى عبـد ربـــه الرؤف

•• ••

وتبين من قصيدة الشيخ الحبو الشعرانى كثيرا من المعانى الصوفيـــة الفلسفية ونظرات متفرقات فى مواضع ثلاثة نذكرها على التوالى وهـــى :ـ

١ـ نظرية فى شفاعة محمد رسول الله •

٢ـ والثانية تتعلق بوحدة الاديان السماوية الثلاثة •

٣ـ وتتعلق بالشفاعة وجزء منها نظرية فى الولاية •

ومن الجدير بالذكر ان الشيخ من مريدى الطريقة التيجانيـــة وفى قصيدته هذه يمدح كل من الرسول محمد صلى الله عليه وسلــــم ويطلب شفاعته • وشفاعة الشيخ أحمد التيجانى شيخ الطريقـــــة التيجانية التى ينتمى اليها وسوف نتحدث عن كل نظره من هـــــذه

النظرات الثلاثة بايجاز .

الشفاعـــــة :(١)

والشفاعة هى التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم عند اللـــه سبحانه وتعالى .

واذا توسل الصوفى برسول الله كان له هدى " فى حيرته ، وعونـــا فى محنتـه وسلـوى فى أحزانه . ولكن وساطة النبى قد تعطى ماهـــو أكبر من هذا وأعظم : قد تعطى رؤية الله .

وهناك أيضا مسألة الشفاعة .) وهى احدى اصول العقائد فـــى الاسلام ، فان من واجب كل مسلم ان يعتقد فى شفاعة الرسول يوم القيامـة والرأى الذى عليه أهل السنة هو أن الشفاعة للنبى دون غيره . ولكـــن أولياء الصوفية يدعونها لأنفسهم باعتبارها تجزء مما ورثوه عن النبى عليــــه السلام .

---

(١) رينولد . نيكلسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه . طائفة مـــن الدراسات نقلها للعربية وعلق عليها د . ابو العلا عفيفى مطبعـة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٩ . ص ١٦٤

وتبين الشفاعة فى قوله مخاطبا الله :ـ

بجاه أفضل جميع الخلـــق   محمد حبيب رب الحـــق

وقوله مخاطبا الرسول :

ياسيد الوجود كن لنا شفيع   عند الاله ربنا الرفيـــع

وأيضـا :

شفعة فينا مالنا سواكـــا   أنت الكريم تحط من دعاكا

ثم قوله :

يارينا باحمد جئنـــاك   أغفر لنا وكل من ناداك

الى هذا والشاعر يتحدث فى نطاق العقائد الاسلامية العامة فى الشفاعـــة ثم يقرن توسله ورجائه بالدين ككل الدين فى جوهر الواحد وهو ما يسمـــى بوحدة الأديان وسنفصل الحديث فيها .

٢ـ نظرته فى وحدة الأديان الثلاثـة :

والحديث عن وحدة الاديان عرف فى التصوف الاسلامى وهو ليس مقدمة لنظرية فلسفية معينة بقدر ماهو نتيجة لها فوحدة الأديان عنـــد القائلين بها وأهمهم الحلاج وابن الفارض وابن عربى كانت نتيجة لقول

كل منهم بالاتحاد عند الحلاج وحدة الوجود عند ابن عربى ووحدة الشهود عند ابن الفارض[1] .

وحيث يتحدث الشيخ الجبو فهو يفترض ان ذلك تراثا معروفا عند الصوفية وهو لا يستخدم المصطلح بل يذكر ان الكتب الثلاثة الخاصة بالاديان من مصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى وبالتالى فهو يلجأ الى الله ويتوسل لربه بهذه الكتب المقدسة كما يتبين من قوله :

فاصرف الهى جملة الشرور — عنى بالتوارة والزبور

بحرمة الانجيل يا الهى — جد لى بخير ماله تناهى

وهو لا يذكر القرآن باعتباره مصدر الشفاعة لكل مسلم بل يذكر بألفاظ أخرى كما فى قوله بعد ذلك مباشرة .

أجب لكل مسلم دعاكا — بالخير عنه صارفا بلواكا

بجاه سيدى رسول الله — وجاه احمد ولى الله

بحرمة الشريعة المطهرة — بحرمة المدينة المنورة

---

(١) د . محمد مصطفى حلمى : ابن الفارض والحب الالهى دارالمعارف القاهرة ١٩٧١ .

٣ـ وأيضا وكما يتحدث عن شفاعة محمد ويتوسل الى الله بالكتب المقدسة فهو يتوسل ايضا بولى الله الشيخ التيجانى . ويقرن توسله بالرسول بتوسله بالولى كما فى قوله :

بجاه كل من له عناية	من الاله وله ولاية
من المريدين لذى الطريقة	توسلى لمانح الخليفة
بجاه سيدى رسول الله	وجاه أحمد ولى الله

وهو هنا لا يشطط فى أقواله عن الولى بل هو فى مرتبته الطبيعية يأتى بعد رسول الله ولا يعطيه من الأوصاف أكثر من ذلك وهو فى هذا يتفق مع العامة من المسلمين وكأنه يتفق ايضا مع قول نيكلسون

" ان الصوفى اذا كان مؤمنا حقا اعتقد ان النبى محمد فوق كل ولى مهما كانت درجته " (١)

ونستطيع بالتالى أن نحكم عليه حكما عاما بأنه فى تصوفه يتفق مع أحكام الشريعة وان كانت له نظرات فلسفية فهى تلك التى اعتادها القاموس الصوفى وذلك فى جانبه العملى المتأثر بآراء أهل السنة والغزالى .

---

(١) نيكلسون : ص ١٥٨ .

(٣) الشيخ محمد حلو آدم

حياتـــه :

والنموذج الثالث من العلماء التشاديين الذين تأثروا بالثقافة الاسلامية وعنوا بتعلمها وتعليمها العلامة الشيخ حلو ، وهو أبو محمد محمد المعروف الشيخ (الحلو) آدم جرير جبر بن محمد بن على الانصارى المنواشى .

ولد ١٨٦٤ ببلدة منواشى التى تبعد عن مدينة أبشة نحو ثلاثـــة أميال غربا وقد مات عنه والده الامام جبير وهو من المتعمقين فى العلـــم وهو لايزال ابن ثلاثة سنوات فنشأ يتيما لكن نشأته فى بيت لامام عالـــم وحوله الجو العلمى نشأة على حفظ القرآن وتعلم العلوم الدينية الشرعية من شيوخ أبشة التى كانت تموج بكثير من العلماء والفقهاء .

فمن أساتذته الشيخ البيجورى المصرى وهو من المصريين الذيـــن انتقلوا الى تشاد خلال القرن الماضى ، ومن أساتذته أيضا الشيخ سليمان الجزولى قاضى قضاة أبشة ، والشيخ محمد ابوراس المعروف بالحافـــظ لكثرة علمه والشيخ أبوبكر عتيق بمملكة باجرمى الذى درس عليه الشيخ محمد الحلو الشعر ، ودالية الامام اليوسى ومقصورة ابن دريد وتحفـــة الممدود والمقصور وقد استقر الشيخ حلو بمدينة ماسينا عاصمة مملكـــة

باجرمى فى أيامه الاخيرة منذ ١٩١٢ وعاش بها حتى وفاته التى كانت يوم الاثنين ١٩٤٢ (١)

(ب) مؤلفاتـــه :

١ـ مختصر بغية المستفيد عن شرح منية المريد المسمى فتح الرحيم المجيد (٢) .

٢ـ شرح نظم الكوكب الدرى المسمى بسائل الذهب .

٣ـ شرح المرشد المعين لأبن عاشر شرح السمرقندى مع الحواشى .

٤ـ ثم شرح قصيدته التى رثى بها أخيه محمد ابو رأس التى مطلعها :ـ

---

(١) العلامة محمد حلو آدم جبير العربى الهلالى ويقال عنه انه من قبيلة البرنو وهذه الرواية ليست صحيحة اذ ان الهلاليين انتشروا فى جميع أنحاء تشاد لاسيما بلاد بيرنو فهو من اصل عربى هلالى . وصارت عسادة فى الهلاليين الذين نزحوا الى برنوا واستوطنوا تلك البلاد يقولون أنهم من قبائل البرنو ودليلنا على هذا ان آل بيت العرب الهلاليين بلبنان بحى برج البراجنة يقولون ان اجدادهم جاءوا الى بلاد البرنو وقد سمعت هذا القول من زعيم هذه القبيلة السيد خالد العرب صاحب جامع العرب بلبنان .

(٢) كتاب : فتح الرحيم المجيد شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ ١٩٧١م .

بكت عينى وحق لها البكـــاء

لمـن فى الارض ليس لـه ثنـــاء

لفقـدى سيدى سندى حبيبـــى

أخى حقا وصدقـــا لامـــــراء

٥ ــ نظم العشرينيات التى يمدح بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

(جـ) نماذج من شعــــره

وهى قصيدة العشرينات فى مدح الرسول (١) :

حرف الالف :

أيا من له قلب من الحب ماخـلا ... تعالى فلى مدح لاحد قد حـلا

فبالغ وقل جهرا ولاتخش عـــذلا ... أحق عباد الله بالمجد والعـــلا

نبيـى له أعلا العلا متبـوءا

محمد خير الرسل بالحـق مرسلا ... عظيم جليل القدر أعلا وأكمـل

خليل لرب العالمين مبجـــل ... أمين لارشاد العباد مؤهـل

خليل بأسرار القلوب منبـــأ

---

(١) نظم العشرينات للشيخ محمد حلوآدم جبر التى تبلغ ١٥٠٠ بيت من الشعر مخطوطة رقم ٧٥ (م) بمكتبة بنى هـــلال أولاد المعلم ، انجمينا ، تشاد .

له الحب فى كل القلوب مـــودة — يزيد على كر الجديدين جـــده

لقد كان فى كل المخاوف عمـــدة — ألم لرسل الله بدأ وعـــوده

به يختم الذكر الجميل ويبدأ

له الطرف فى بحر المكارم سابح — هو العون فى كل الاوامر ناصــح

يميل عن الدنيا وللحق جانـــح — ابان الهدى فالحق أبلج واضح

وصان الورى فالعيش حلو مهنأ

شدائدنا عند الملمات ووسمـها — بمدح رسول الله يكشف لبسهـا

ولما أتى بالخمس تزهر شمسها — اطاعته جنى الارض طوعا وانسهـا

وفضل بالسيف الفريق المسدأ

أولئك صحب المصطفى ذو الفضائل — أولوا البر والتقوى لهم خير نائـل

واذعن فى الهيجا لهم كل باسل — أقرت بآيات له ودلائـــل

بها الصبح طبق والطريق موطأ

ألا أيها العشاق صلوا لأحمـد — وتولوا بقول ابنى المهيب اذا شدا

أحب النبى الهاشمى محمـد — أطاب له الرحمن نشأ ومولـدا

فما زال ممن خالف الحق يبرأ

رسول كريم عظم الله منـــه — وشرفه أصلا وفضل فنـــه

وصفة بما ايدا له واكنـــه — أعد نظرا فى الخلق تعلم بأنـه

كأحمد لم ينشأ ولا هو ينشـأ

(حـــرف البـــاء)

لقد بشـرت بالمصطفى الرسل والكتب — وقد رجمت من كان يسترق السمـــع

ولاح لاهل الحب والقلب لايصـــب — بيثرب نور للنبوة لايخـــــب

تشارك فى ادراكه الطرق والقلب

ظهور رسول الله للخلق رحمـــة — وبعثه للكل آمن وعصمـــــه

له فى اقتياد الخلق للحق همـة — بدأ وبقاع الارض ظلم وظلمـــه

فاشرفت الارجاء وانقشع الكرب

•• ••

(حـرف التـــاء)

الا أيها المداح قلبى قد صــدى — لاوصاف من حاز الشفاعة فى غــد

زروا كل ما يلهى من اللهو والدد — تعالوا نعتدى للنبى محمــــد

مديح كأزهار الخمائل طلـت

•• ••

(حـرف الثـــاء)

دع القول فى ذكر الغزال المقلد — وبادر لما تجرى به الخير فى غد

فوالله ما أحلى مقالة منشـــد — ثنيت الى مدح النبى محمـد

عنان لسان بالمحبة ينفـث

(حرف الجيم)

حبيب خليل وهو أيضا مكلم	كريم سخى بالكتاب معلم
ختام لرسل الله وهو مقدم	جميل جليل فى القلوب معظم

به الأرض تزهى والبرية تبهج

.. ..

(حرف الخاء)

احتابه من كل حيف ونغمه	دخلنا به فى كل أمر وعصمه
هو الرحمة المهداه فى كل امة	هزانه الهام وبعدت حكمه

وبحر علوم بالشريعة ينفخ

وفى هذه القصيدة وغيرها من أعمال الشيخ محمد حلو آدم جبير ، نجد نفس المعانى الصوفية الاسلامية المرتبطة بالكتاب والسنة والتى تدور حول مدح الرسول والتغنى بحبه .

وهو عنده خير الرسل ، المرسل بالحق وهو ايضا (له الحب فى كل القلوب مودة) ويتعرض ايضا لفكرة الحقيقة المحمدية التى وجدناها لدى كل من الشيخ طاهر الحيادى ، والشيخ الحبو وذلك بشكل واضح فى قوله عن الرسول انه " امام لرسل الله بدأ وعوده " .

به يختم الذكر الجميل ويبدأ

وهو ايضا ختام لرسل الله　　　وجميل جليل فى القلوب معظم

وهى نفس المعانى الاسلامية الصوفية التى يتغنى لها كل مسلم

تشاد لكن مهمتها عند الشاعر كبيرة فمدح الرسول عنده وسيله لتجميع

المسلمين وفى طيه لهم بأن يقدموا اليه كما فى بداية القصيدة فى قوله :

ايا من له الحب لمخلا　　　تعالى فلى مدح الاحمد قد خلا

فبالغ وكل جهدا ولاتخشى عدلا　　　احق عباد الله بالمجد والعلا

نبى له اعلا العلا متبدأ

.. ..

الفقهـــــاء والمعلمـــــين

(الشيخ عليش عوضـة ١٩٠٨ـ١٩٧٥)

والنموذج الرابع الذى نقدمه هنا يختلف عن الثلاثة السابقين فهـو فقيه أكثر منه متصوف ، وبالتالى فهو يقدم لنا جانبا مختلفا للحياة الثقافيـة الاسلامية عما قدمه السابقون ، وهو العلامة الشيخ محمد عليش عوضـــة الذى يعد رائد الحركة الفكرية والثقافية الاسلامية المعاصرة فى تشـــاد وهو من أبناء القرن العشرين فقد ولد بمدينه أبشه عام ١٩٠٨ وتوفـى بعد حياة حافلة مليئة بالنضال العلمى والسياسى بأم درمان فى التاسـع من ابريل سنة ١٩٧٥ .

والشيخ محمد عليش من أبناء تشاد وقد ولد بأبشه وبها تلقـى علومه الأولى فى القراءة والكتابة وحفظ القرآن وبعد ذلك استطاع الحصول على منحة من جمهورية مصر العربية للدراسة بجامعة الازهر وذهب فـى الخمسينات الى القاهرة حيث درس على أيدى كثيرا من شيوخ الازهـــر الطالبين كل العلوم العربية المتعلقة باللغة والعلوم الدينية فى الفقـــه والتوحيد والحديث وغيرها وحين عاد الى تشاد أسس المعهد الدينى بمدينة أبشه سنة ١٩٤٦ درس فيه العلوم الشرعية والدينية والاجتماعيـــة والفلسفية ، وعندما شعر المستعمر فيما وراء البحار بخطورة هذا المعهـد الدينى فى تثقيف أبناء تشاد سارع فى اغلاقه وذلك سنـــة ١٩٥٣ .

لكن المواطنون التشاديون اثاروا غضبا شديدا على اغلاق هذا المعهد بل ثورة عارمة ، مما اضطرت الحكومة الفرنسية فتحه مرة أخرى ، وصارت تشرف عليه بعميليها " دمراس " مديرا لهذا المعهد ، وخلفه بعد ذلك الكابتن " سيلاراس " عضو المكتب الثانى المكلف بمراقبة اللغة العربية فى تشاد .

كان عليش عالما اسلاميا أحس بواجبه فى ضرورة توسيع نطاق العلم وتدريسه فهو القادر على توعيه المسلمين التشاديين وتعريفهم بواجبهم الوطنى فى نبذ الخرافات والاوهام ورفض الاحتلال والنضال من أجل الاستقلال عن المحتل الذى يريد تشريد صورة الاسلام ليظل مسيطر على البلاد وقد كتب العديد من الكتب وجمع الكثير من التلاميذ وأنشاء المدارس . ومن مؤلفاته :

(١) كتابه المنحة الازهرية فى فقه المالكية ، الذى طبع أكثر من مرة وهو كتاب بسيط سهل كتب للعامة وفيه يتناول القضايا الاساسية فى الفقه المالكى فى عشرة أبواب ومقدمة وخاتمه .

يقول فيه :

يا طالبا تحقيق مذهب مالـــــك * مترقبا ما صح من أقـــــوال
فابشر حظيت بمنحة فقهيـــــة * تحوى الذى ترجوه من آمـال
فاشدد عراك مجاهدا فى حفظهـا * فلقد حياك الله ذو الافضا ل

ولقد طبع هذا الكتاب بمطبعة التمدن بالخرطوم مع غيره مـــن مؤلفاته .

(٢) كتاب الموجز فى علم التوحيد . وهو عبارة عن تلخيص لبعض كتـب فى عقائد الدين وعلم التوحيد ولم يحاول فيه ان يعرض لآراء الفرق المختلفة اتفاقهم واختلافهم فيضع القارئ فى قضايا فرعيـــة بل حاول تلخيص وتبسيط العقائد الاسلامية الاساسية والاصــول المتفق عليها والكتاب عبارة عن مقدمة وثلاث أبواب وخاتمـــــة . ويحاول فيها تعريف العلم ثم الحديث عن الالهيات فـــى الباب الاول والنبوة فى الباب الثانى والسمعيات فى البـــاب الثالث .

ودفع الشبهة عنها وموضوعه ذات الله وذات رسله عليهم الصـلاة والسلام وطبع أيضا بالخرطوم سنة ١٩٦٣.

(٣) والكتاب الثالث فى اللغة وهو الاسلوب الجديد فى النحو المقيد وهو عبارة عن محاولة تجديد فى أسلوب عرض وتدريس القواعد النحوية كما يقول المؤلف حيث لكل جيل أساليبه الخاصة به وجيلنا الحاضر يحتاج لاسلوب جديد فى العرض .

هذا بالنسبة لمؤلفاته أما بالنسبة لجهوده العلمية فلا بد لنا أن نذكر الثورة الثقافية الاسلامية التى قام بها فى العصر الحالى والتى أدت الى تثقيف الكثيرين من أبناء تشاد .

وان الحركة الاسلامية التى فجرها هذا المجاهد الكبير فى وجه المستعمرين الفرنسيين لازالت موجودة لدى أبناء تشاد فى صراع مرير ضد الحكام الفرنسيين مما ادى الى قيام السلطات بنفى الشيخ محمد عليش عوضه خارج البلاد فلجأ الى السودان يؤدى واجبه العلمى بجامعة أم درمان الاسلامية ويدعو نفسه دعوته الاسلامية المطالبة بجلاء المستعمر وادخال الثقافة الاسلامية فى كل مراحل التعليم .

وظل المعهد الاسلامى الذى أسسه الشيخ محمد عليش عوضه بمدينة أبشة قائما حتى الآن يقوم عليه تلاميذته : الشيخ آدم بركة

النحوى ـ والشيخ عبد الله عبد المولى ـ والشيخ الطيب ذهب •
والشيخ زكريا حسن الذى كان له الفضل الكبير فى نشر العلم واللغة
العربية فى مدينة أبشة والمناطق الاخرى وكان من نتيجة ذلك
أن زج بهم فى السجن منذ سنة ١٩٦٥•

هذا هو عليش عوضه وهذا هو أثره فى قلوب تلاميذه أبناء
تشاد وهذا هو تاريخه الذى ظل وسيظل خالدا مع تراثه العلمى
الذى تركه مع مؤلفاته تستقى منه أبناء تشاد احساسه الدينى العميق
والوطنى ونحو العمل على نصرة الاسلام وادخال الثقافة الاسلامية
مقابل غيرها من ثقافات دخيلة •

ويقول الشاعر محمد المهدى القرشى خريج الازهر بالمعارف
السودانية فى استاذنا عليش عوضه هذه القصيدة •

حديقة علوم قد حوت كل نافع ... وصفوة معنى مع خلاصة عالم
رأت فيه كل المشكلات حلولها ... لطالب علم ذات سر الطلاسم
ينمقه بحر العلوم عليشنا ... قواعد نحو فى سلامة ناظم

اذا كنت للفحص تريد الحطة ... ففيه حلول للمعضلات العظائم

فيا بطل الشورى وصدر نبعها ... عرفناك بحرا لايحسد لعائم

فمن فلسفات النحو أبرزت درة ... يتيمة عقد فى فصول التمائم

ازاحت دياجى الشك فى كل محفل ... أبانت بها فيها غموض المعالم

أجل كان سهلا تجد فيه عقدة ... بجانب هذا بحره فى تلاطم

فيا منهل الرواد للعلم أننا ... بفخركم حزنا عظيم المفاهم

كتاب له من اسمه كل مفخرة ... تحدى به تأليف كل مزاحم

سما مجده فوق الثريا فانه ... مفيد بأسلوب حوى كل ناعم

تجد بين جنبيه المعارف كلها ... به روضة غناء فخر المغانم

فبورك فيكم فى خطاكم فأنتم ... شموس اضاءت فى سماء المكارم

ولنا وقفة قصيرة عميقة مع موقف الشيخ عليش عوضه ، هذه الموقفة معه والتحليل لموقفه كفيل بابراز كثير من الحقائق التى نحن بصددها الآن وهذه الوقفة تتعلق بمقولة اساسية من مقولات فلسفة التاريخ والحضارة منها نتيجة هامة فيما يتعلق بموضوع بحثنا ، والمقولة التى نريد مناقشتها هنا خاصة بأن العوامل أكثر تأثير فى سير وتطور المجتمعات

وماهى القوى التى تحرك الدول وتغيرها وبالتالى تتحكم فى سير التاريخ •

هل الواقع المادى بعلاقاته المعقدة وبالقوى الماديه المختلفة فيه

هل هى التى تغير سيره سواء كانت هذه صناعة أيديولوجيا كما فى

اليابان أو قوة عسكرية أسلحة وذخائر كما فى الدول العنصرية الصغيرة

أو هى المال او الاقتصاد كما فى معظم دول العالم العربى الاسلامى

المتمثلة فى أموال النفط أى باختصار البنية الحتمية بكل ما يحتويه

هى الاساس والبناء الفوقى • ذو أثر ثانوى بالنسبة لها • والحقيقة

ان هناك اجابتين واضحتين على هذه المسألة الاساسية فى كل فلسفة

تاريخيه واجتماعية وهى :-

(١) النظرية المادية التاريخية التى ترى أن تطور المادة

وعلاقات الانتاج والعامل الاقتصادى هو الاساس وفيه وحده تكمن

كل قوى التغيير وهو المحرك للتاريخ وما البناء الفوقى المتمثل فى

الايديولوجيات المختلفة أو الافكار السائدة من دين وعلم وفن وفلسفة

الا عامل مساعد فى أفضل الاحوال وتدخل لكن بدور بسيط فى

جدل الطبيعة والمجتمع وعمليات تحديثه وتغييره •

٢) الاجابة الثانية والتى ترى ان للافكار دورها الهام وأن — الكلمات أسلحة نعالة وأن الكتابات الثورية أفكار وأسلحة مقاتلة ولهسا دورها القوى فى تجميع الناس•

ونحن هنا نجد من الضرورى تعميق هذه العلاقة بشكل أكثــر علمية وتاريخية وبالتالى فان كنا نتفق تماما أن العوامل المادية هــى الأرضية التى يدور فيها وعليها الصراع الا أن الانسان هوالذى يحرك هذا الصراع وبالتالى فاستخدام الانسان لاسلحته المختلفة فى التعامـل مع البيئة المادية هام جدا وفى مقدمة هذه الاسلحة أسلحة الافكــار والمعتقدات أو بعبارة أخرى الايديولوجيات•

ولدينا على ما نقول كثير من الأدلة من معاصرة • هى براهين اليوم وليس نظريات ومذاهب القرن التاسع عشر • فما يحدث فـــى ايران وتشاد أكبر دليل على ذلك • وهوأن للبناء القومى (الافكار والمعتقدات دورها الهام فى تجنيد الناس من أجل حسم أى معركــة لصالحهم وبدأ كتابة التاريخ من جديد)•

وتفصيل ذلك كالآتى : من المثالين السابقين ايران وتشــاد

ففى ايران استطاعت الجبهة المعارضة التى تبدو لأول وهلة جبهة سياسية أن تجند غالبية الشعب الايرانى من اجل خوض المعركة بأسلحة عقائدية وقد حسمت بافتناعاتها العقائدية سير المعارك وان كنت أود أن أبين ان خلف الوجهة السياسية هنا أساس فكرى دينى عقائدى ، فكما حرك آية الله الخومينى الجماهير فكان الى جانبه أقوال سينجانبى ومؤلفات الدكتور على شريعتى[1] ونفس هذا الموقف لما حدث فى تشاد فما يدور اليوم من معارك تبدو ذات وجهة سياسية هى معارك ذات أساس فكرى عقائدى وهى تمثل الصراع بين الافكار والمعتقدات الدينية الاسلامية من جانب والسلطة السياسية التى تبنى وجهة نظر غربية فرنسية من جانب آخر واذا كان كما بينت فى البداية ان خلف رجال السياسة هناك الرجال الفكريين .

استطعنا أن نجد لما يجرى فى تشاد اليوم لدى رائد الفكر التشادى الاسلامى المعاصر الشيخ عليش عوضة الذى أسس كما قلت مدرسة فكرية ثقافية قام رجالها ببث الدعوة والافكار الدينية

---

(١) الدكتور على شريعتى فيلسوف اسلامى ايرانى معاصر يشبه فى وجوه كثيرة المفكر الكبير محمد اقبال وله كثير من الكتابات عن الخلافة ، الامام على ، الاصالة والمعاصرة وغيرها .

التى أدت الى تكوين رأى عام عربى اسلامى تشادى استطاع أن ينتصر على القوى المسيطرة على زمام الامور وحسم المعارك لصالح الفكر الاسلامى .

معنى ذلك أن للافكار والايديولوجيات أثرها الكبير فى تغيير سير التاريخ ونشأة المجتمعات والدول . هذه هى النتيجة التى تصل اليها ويربط بها أن الفكر الاسلامى فى تشاد ذو أثر كبير وفعال فى الحياة التشادية السياسية والاجتماعية وبناء عليه أن ممثلى الفكر الاسلامى التشادى المعاصر وفى مقدمتهم الشيخ عليش عوضة وتلاميذه وعن طريق جهدهم ومؤلفاتهم ونضالهم جعلوا للفكر الاسلامى أساسا راسخا فى تشاد المعاصرة اليوم .

.. ..

((خاتمة))

و

((نتائج البحث))

:: نتائج البحث ::

وبعد ان عرضنا هنا خلال الفصول الستة السابقة للعوامل المختلفة التي أدت الى انتشار الاسلام في منطقة حوض بحيرة تشاد حيث عرضنا للموضوع وطريقتنا في بحثه في المقدمة والذى رأينا فيها صعوبة التناول التاريخى لوجود الاسلام في تشاد وكذلك بينا أن غرضنا ليس هو عرض للاجناس وأنماط السلوك ورأينا ان التناول الحضارى هو الوسيلة التي تتفق مع موضوع البحث وانتقلنا في الفصل الاول الى بيان ملامح الفكر الافريقى بشكل عام . ثم خصصنا بعد ذلك وتناولنا الحياة الاجتماعية والاقتصادية للممالك الاسلامية الثلاثة في تشاد كانم . ووداى . باجرمى في الفصل الثانى . وفي الفصل الثالث عرضنا لعوامل انتشار الاسلام وحددناها في مجموعة مرتبطة من العوامل هى العامل الاقتصادى والسياسى والدينى الذى يتمثل في جهد الدعاة والمعلمون في نقل الاسلام . ثم خصصنا الفصل الرابع للعامل الفكرى وحده وذلك لاهميته حيث عرضنا للفقه المالكى وانتشاره في هذه المنطقة . ثم حركة الطرق الصوفية وأثرها في نشر الاسلام .

وكان بعد ذلك اللقاء والاحتكاك بين كل من الفكر الافريقـــــى واحتكاكه بالفكر الاسلامى أن تفاعل الطرفان فى كثيرا من النقـــاط وقد أدى ذلك الى تأثر الفكر التشادى بالعناصر الاسلامية ونتج مـــن ذلك تغير فى بعض تصوراته كان موضوعها الفصل السادس حيث عرضنـــا للنتاج الفكرى فى أعمال بعض التشاديين المعاصرين الذين أخذنـــا نماذج منهم تبين الاثر الاسلامى الواضح على انتاجهم وبهذا العـــرض لموضوع بحثنا وجدنا أن هناك كثيرا من النتائج يجب توضيحها لكـــى يصل بحثنا الى هدفه المقصود منه ، وقد وضحنا بعض هـــذه النتائج فى بداية الفصل السادس وسوف نتوسع هنا فى عرض ما توصلنـــا اليـه من نتائج خلال بحثنا وهى :-

أولا : ان الثقافة والفكر الاسلامى ليس فكر دخيلا على أفريقيا عامـــة وتشاد خاصة وفى كتب التاريخ ما يثبت ذلك فالوجود العربــى والقبائل العربية قبل الاسلام قد وجدت طريقها الى تشـــاد بل وأن هناك كثيرا من الدراسات المقارنة التى تثبت الصلة بين الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) وشعب الصـــاوا القاطن بتشاد من قديم الزمن ، هذا بالاضافة للعلاقـــات

الاسلامية الافريقية التى أتخذت منذ زمن بعيد وضعها الطبيعى وصارت الآن مكونا اساسيا انثروبولوجيا وثقافى من الشعب الافريقى .

ثانيا : يستدل على التلاحم العربى الافريقى بكثير من الأدلة القوية والبراهين الهامة ، فتاريخيا قامت الشعوب الافريقية الوطنية وقام أهالى البلاد الاصليين باعتناق الاسلام والدعوة له هم أكثر من قاموا بنشر الاسلام والحرب فى سبيل ذلك ، ويجب أن نؤكده هنا هوان الشعب والقبائل البربرية الافريقية وليست القبائل العربية التى وصلت تشاد وغيرها هى التى قامت بالحرب وخلع السلاطين الوثنيين وذلك لأن العرب الذين وصلوا الى هذه البلاد وصلوا اليها فى اعداد قليلة من أجل التجارة والفرار من بطش الفرق الاخرى التى حكمت البلاد فكانت فى وضع لايمكنها من تكوين قوى وخوض الحروب ، وكما تؤكد المصادر التى رجعنا اليها هذه الحقيقة القائلة أن أهالى البلاد هم وليس القبائل

العربية الاسلامية هم الذين قاموا بالحروب من أجل نشر الاسلام •

وهناك حقيقة ثانية هي ان الحروب كانت في العادة الدائمة والمستمرة لشعوب هذه المنطقة حتى قبل دخول الاسلام ، أنظر تاريخ (كانم — برنو) •

ثالثا : والارتباط بين العناصر العربية والافريقية قديم وهذا ما يؤكده كل من الكتاب والمؤرخين العرب وكذلك المفكرين الافارقة فابن خلدون يؤكد على حسن العلاقات بين أهل كانم وملوك الشمال الافريقي وكذلك سيكوتوري وسنجور الذى يرى ان الثقافة والحضارة الافريقية هي مزيج من العربية والبربرية •

رابعا : ينبغي من الآن الا نتحدث عن انتشار الاسلام وهجرة القبائل العربية الى تشاد • فهذه مسألة تاريخية تتعلق بالعصور الوسطى والحقيقة المعاصرة التى تثبتها الاحداث الآن أن الفكر الاسلامى والفكر الوطنى الاساس وأن العقيدة الاسلامية بكل تصوراتها الانطولوجية لله والعالم والمجتمع وما تدمها تفكريها في الشرق والغرب من افكارا حول الخلافة

والامة وأمدتنا بها تجربتها السياسية الاجتماعية الطويلة منذ حياة النبى والصحابة ومن نماذج نحتذى فى الحكم والخلافة هى المصدر للتنظيم والتشريع اليوم فى تشاد •

خامسا : التأكيد على أن للعوامل الفكرية والعقائدية والايديولوجيا – وذلك مقابل للبناء الاجتماعى المادى – دورا عظيم الاهمية فى سير المجتمعات وتطورها ولايعنى هذا انكار النظريات العلمية التى تنادى بحتمية التغير والتطور المادى ولكن تبرز هذا العالم الهام الى جانب العامل المادى والاقتصادى •

سادسا : هناك من ثورات العصر كما حدث فى ايران وكما يحدث فى تشاد الآن كثير من الأدلة على أن للافكار والعقائد دورا كبيرا فى تغيير النظم والمجتمعات •

سابعا : ان تناولنا المنهجى لدراسة عوامل انتشار الفكر الاسلامى لتشاد فتح أمامنا كثير من النقاط الهامة التى ينبغى

أخذها فى الاعتبار حين نتناول بالدراسة تاريخ وفكر وفلسفة تشاد وانني أرى فى هذا البحث بذورا كامنه لأكثر من بحث صالح للدراسة فى المستقبل ، مثل دراسة الحياة العلمية والثقافية للمدارس الاسلامية المختلفة فى بلاد تشاد أو عرض الجوانب البدائية والافكار والاساطير القديمة وغيرها .

هذا فيما يتعلق بالموضوع ، وهناك كثيرا من المناهج التى نستطيع تناول بها هذه الموضوعات ومنها المنهج الفنومنولوجى الذى يتناول فيها البحث موضوعه من خلال الشعور والتجربة الواقعية الحية ، وهناك المنهج المقارن ، والمنهج التاريخى وغيرها .

.. ..

قصيدة الأربعين فارس

للشيخ محمد الطاهر التلب رضى الله عنه

انى توسلت الى الرحمن ... بالمصطفى وصحبه الاعيان

بذاته وقلبه الرحيم ... واسمه وفيضه العميم

ناديت غوثا يا أمين الله ... محمد ويا عريض الجاه

أجمع عبيد باكيا الاجفان ... باحمد ذى المجد والعرفان

بسيدى الصديق عبد الله ... وعمر الوجوه عند الله

وهكذا عثمان والكرار ... وأبى أبى سادة الاطهار

أبو الزبير طلحة سعيد ... وحذيفة وعمار الشهيد

وبسعدهم عبد الرحمن ... أبو درهم والفارس السلمانى

أبو الدحداح ثم عبد الله ... بمآثر الاصحاب عند الله

ناديت باكيا يا رجال الله ... بأهل بدر صفوة الاله

فانتم الملوك فى الحضرات ... وأنتم الرؤوس والسادات

لاخلاف ان من توسلا ... بكم يزول مابه من البلاء

تداركوا عبيدكم سريعا ... بفضلكم ان ترحموا جميعا

فأنتم الليوث عند الحرب ... تداركوا عبيدكم فى الكرب

ياسادتى عبيدكم منادى ... ببابكم قد مين الايادى

ياعسكر التجانى باليمين ... وبالشمال احضروا فى الحين

ان تجمعوا عبيدكم فى الحين ... بأحمد التجانى ذى التمكين

ان تجمعوا عبيدكم فى الساعة ... بأحمد التجانى ذى الشفاعة

ياسادتى عبيدكم قد ضاقنا ... بفضلكم فى العالمين فاقنا

يسعدهم بلالهم مقدا د ... بأهل البيت وطرا بالاولاد

محمد الطاهر ابن التلب ... فعجلوا مطلوبكم بالفرج

ياسادتى عبيدكم قد صاحا ... عليكم قد كثر الالحاحا

ياسادتى عبيدكم حقيرا ... بفضلكم ان ترحموا فقيرا

سألتكم ان تزول المصائب ... وتهلكوا عدونا المحارب

فى نفسه وماله وعياله جميعا ... حتى يموت موتة شنيعا

ثم الصلاة بعده السلام ... على النبى دينه الاسلام

محمد واله الاعيان ... وصحبه واحمد التجانى

قصيدة : ضراعة الملهوف

للشيخ احمد الجو الشعراني (١٧٩٥ـ١٨٧٥)

الحمد لله اللطيف ذى الكرم ... والشكر لله الرؤوف ذى النعم

ثم صلاة الله ربى والسلام ... على النبى محمد نور الظلام

واله وصحبه ذوى الكرم ... من شبهوا بأنجم بين الظلام

استغفروا الله العظيم الواحد ... الخالق المالك كل أحد

من كل ذنب كان منى عمدا ... أو خطأ منى ليس قصدا

انى توسلت ببسم الله ... اليك يا الله يا الهى

وباسمك الرحمن يا رحيم ... وباسمك الرحيم يا كريم

وبالصلاة للنبى المختار ... والحمد لله الكريم البارى

وباسمك العظيم الاعظم العلى ... انى توسلت اليك يا على

استر عيوبى واغفرا ذنوبى ... جميعها واكشف لى كروبى

ويسر الرزق الحلال الكافى ... لى ولكل مسلم يا كافى

وبعد يارب لنا التوسل ... اليك بالحبيب طه الافضل

أنت الكريم لاترد من سأل	منك حوائجا بصدق وابتهل
انت اللطيف الطف بنا ياربنا	انت الرحيم ثبت لنا قلوبنا
على الخيور معطيا مرغوبنا	يا ربنا سهل لنا مطلوبنا
أنت الحليم لاتؤخذ المسئ	بذنبه تهمله حتى يجئ
اليك هاربا من الذنوب	تغيثه مفرج الكروب
أنت السميع والبصير والخبير	بكل عبد وبكل ما يصير
له من الامور من خير وشر	عجل لنا الخير وأبعد الضرر
بجاه أفضل جميع الخلق	محمد حبيب رب الحق
أسألك الرضا وحسن الخاتمة	لى ولكل مسلم ومسلمة
يا سيد الوجود كن لنا شفيع	عند الاله ربنا أنت الرفيع
أنت حبيب ربنا الودود	أنت الرؤوف بهم ذى الجود
انت جعلت ملجأ لكل من	طلب من مولاى صاحب المنن
ان يعطى الخير الكثير الجما	منه تفضلا وجودا تما
ويغفر الذنب لنا الكبيرا	جودا وما كان لنا صغيرا
ويستر العيوب والكروبا	يكشفها كذلك الخطوبا

فى هذه الدنيا وفى الآخــرة　　أجب لنا السؤال ياذا المنــة

شفعه فينا مالنا سواكــــا　　انت الكريم تعط من دعاكــا

ياربنا بأحمد جئناكـــا　　اغفر لنا وكل مــن ناداكـا

بحق ما أنزلتـه قــرآنـا　　وهو الكلام لك يا مــولانا

بحق مافيه مــن الآيـات　　الآمرات الناهيـات

ليس لنا هداية للخيــر　　الا بها يا كاشفـا للضيـر

وفقنا يا الهى للخير الكثير　　نعلمه نعلمه يارب يا بصيـر

والشـر نتركه بعـون اللـه　　بجاه أحمد عظيم الجـاه

بسر كل سورة شريفـة　　بسورة الفاتحة المنيفـة

توسلى اليك هل لى الخيرا　　وأدفع الشر وكل الضيـرا

فاصرف الهى جملة الشـرور　　عنى بالتوراة والزبـور

بحرمة الانجيل يا الهـى　　جد لى بخير ما لـه تناهـى

ثم بجاه الكتب المنزلـة　　من السماء كلها والحوقلـة

ياربنا ياربنا ياذا الرحمـة　　ياربنا يا ربنا ياذا النعمة

أجب لكل مسلم دعاكــا　　بالخير عنه صارفا بلواكـا

وبالكرام الخلفاء الاربعة ... أبى بكر وعمر التابع له

بسيدى عثمان ذى الضياء ... وبعلى صاحب اللواء

أسألك اللهم بالذرية ... للمصطفى الطاهرة الذكية

ببكره القاسم ثم الطيب ... بالسيد الطاهر أقض أربى

واختم لنا بالخير بابراهيم ... ابن الرسول السيد الكريم

بزينب الشريفة بنت الرسول ... وأم كلثوم شقيقة البتول

وبرقية سألت الله ... فى جمع شملنا بجاه طه

بجاههم جدلى بالعافية ... يارب فى الدنيا وفى الآخرة

فى سعة الجنان بالاحساب ... جمع سلامة بلا عتاب

بفاطم الزهراء بابنيها الكرام ... وعائشة الرضية ام الأنام

وأمنا خديجة الكريمة ... وباقى زوجات نبى الرحمة

جد لى يا الهى بالعافية ... بساكن المدينة السامية

توسلى ربى بهؤلاء ... الاولياء السادة الفضلاء

اليك ربى سيدى الهى ... بك ومنك واليك انتهائى

بجملة صحابة المختار ... توسلى فى الليل والنهار

لدفع ما أهمنى من ضرر ... وجلب كل الخير لى والبشر

من ولد ووالد أخ ... وكل من له عليه حق

من جهة الدين يليه ذو النسب ... بجاههم ربى اليك ارغب

وكل مسلم من الانسان ... ميت وحى محسن او جان

يا ربنا توسلى بالرسل ... والانبياء اليك معطى العمل

من أمر ديننا ودنيانا التى ... أخافة القلوب ياذا المنن

بكل خير لهما جد يا كريم ... وكل شر أبعده عنى يا حليم

يا من هو يا من لا اله الا ... هو هو هو العلى الاعلا

يا حى يا قيوم يا رب الكريم ... أسألك اللطف بى أنا اللئيم

يا أرحم الراحمين اشرح صدرى ... بالعلم والعمل بعد عسرى

ياذا الجلال والاكرام ربنا ... اغفر ذنوبنا فرج همومنا

انى توسلت اليك ربى ... بذاتك القديمة أكشف كربى

بحق مالها من الصفات ... أغفر ذنوبى واقل عثراتى

ووالدى أخوتى وزوجاتى ... وولدى الذكور والبنات

بعلم الذات وباسم الذات ... استر عيوبى اغفر لى زلاتى

احسانك القديم يا قديما ... الاحسان يا ربنا يا حليما
عبيدك اللئيم يرجوا الفضل ... منك أرب الله أنت الاعلى
افتح لى العلوم والمعارفا ... باسمك الفتاح واللطائفا
بكل اسم ظاهر توسلى ... بكل ما أخفيته لم ينجلى
أجب دعائى أقبل لى تضرعى ... انت اللطيف بى الهى سامعى
لاتقطع الرجاء فيك ربى ... توكلى عليك انت حسبى
وكل من مد يدا بسوء ... الى فاقطعها بهذا السوء
ومن سعى برجله يقصدنى ... بضر اعرجه فلا يصلنى
يارب انى كنت فى حماكا ... حسبى أنت الله لا سواكا
ادفع شرور خلقك الكثيرة ... عنى هب لى الخير والبصيرة
باسمك المنتقم انتقم لى ... من الاعادى الابعد والاهلى
ان جد فى واغفر وارحم سواهم ... سامح جميع الخلق يا مولاهم
سمع العدو أصمه وأبكمه فلا ... يقول الا الخير يارب الملا
أعمى عيون الناظرين بالغضب ... الى يارب مسيئين الأدب
خرب ديار كل من عادانى ... شتت جميع شمل من آذانى

ومن سعى بالسوء ربى خـذه ... أخذ عزيز قـادر فانبـذه

فى بحر كل الشر اصل الضير ... حتى يكون عبرة للغير

أعوذ بالله من النفـاق ... وسوء الاخلاق مع الشقـاق

يارب يا الله يا الهـى ... غيرك لا اقصد يا الهى

ربى حقا لا اله غيـرك ... عبدك حقا ليس لى غيرك

اطلبه لى أعطى كل الخير ... وأدفع الشر وكل الضير

عنى وعن جميع كل المسلمين ... ووالدى أخوتى مع البنين

يارب من أحبنى أحبه ... احفظه استر عيبه أغفر ذنبه

انى توسلت الى الرحمن ... بقطب الازمان الولى الربانى

مد الاغواث من الوجود ... من حضرة النبى الى الموعود

الشارب من بحر سيد الوجود ... بحرا عميقا ليس فى هذا جحود

بحر الشريعة مع الحقيقة ... حتى تضلع بهذا النسمة

من ربنا المعطى لمن شاء بما ... شاء ولا حجر عليه فاعلما

شيخى شيخ الأولياء الاولين ... والاخرين الصالحين المتقين

احمد اغفر ذنبى الكبير ... اى والصغير رب يابصير

بجاه شيخنا أبى العباس … يا ربنا قنا شرور الناس

يارب بالشيخ أبى العباس … اختم لنا بالخير قنا البأس

ياسيدى يا احمد التجانى … الغوث الغوث لما عرانى

من خلل فى دين أو دنياى … اغثنى يا مولاى يا مولاى

يا أيها الشريف دينا ونسب … الغوث الغوث لما لى فيه من ارب

من جلب خير كنت ارتجيه … أو دفع ضير كنت أتقيه

النفس والزمان والشيطان … أخافها أعادى الانسان

بجاهه يا ربنا تولنى … وكل دان لى ومن أجنى

بجاه أولاد الولى التجانى … يارب اختم لى بالايمان

بنجله محمد الكبير … يارب كن لى دائما نصير

وابنه محمد الصغير … يارب احفظنى من السعير

بجاه ماله من البدور … أى التلاميذ أولى الصدور

تهب لى سعادة الدارين … وتصلح الحال تزيل الشين

بحرمة البدر من البدور … كبريتنا الاحمر يا بصير

السيد الوارث علم شيخنا … على حرازم هب لنا مسئولنا

يا ربنا العلوم والمعارفا   هبها لنا باليسر لاتكلفا

بشيخنا الحافظ يا مولانا   حفظ العلوم ارزقنا يا الهنا

بجاه من جاور قبر المصطفى   محمد الغالي الشريف ذي الصفا

ارفع علا العباد والبلاد   أعلى مقامنا على الانداد

ياربنا ياربنا ياربنا   أنزل لنا غيثا كثيرا عمنا

كسر القلوب أجبره ياجبار   رب الهى رب انت البار

بجاه ابن المشترى اى محمد   استر عيوبى رب المجد

واغفر ذنوبى وذنوب أهلى   ووالدى وجميع من يلى

بجاه بحر العلم اى والادب   اعتق بذى الشريف ابن العربى

ادفع شرور الدين اى والدنيا   سخر لنا خيور ذى والعليا

بجاه صالح الورى المريد   على التماسين الولى السديد

أسألك اللهم حفظ العلم   والعمل المقبول به والفهم

الجوع والعطش والعسراء   أزلها رب عنا والعناء

توسلى بسيدى محمود   التونسى لربى الحميد

علما كثيرا ماله نهاية   نطلبه منك مع العناية

انى توسلت اليك ربى ... بالسيد الودان اقضى أربى

بصاحب الشيخ الرضى الخيان ... الطالب الولى للديان

توسلى لربى الكريم ... انى توسلت الى الرحيم

يعمنى بخيره العميم ... بصاحب الشيخ أى ابراهيم

أعنى به المنعوت بالرياح ... تهب لى العلم مع الصلاح

انى توسلت الى الرحمن ... رب العباد الواحد المنان

بشيخنا الولى التقى محمد ... قال لطلاب العلوم الاسعد

رزقا حلالا رب ارتجيه ... علما كثيرا منك ابتغيه

بجاه نجم الغرب بدر الطلبه ... عمر الفوتى رفيع المنصبة

عمر فوادى نور السرايرا ... قوى جوارحى والبصائرا

بجاه بحر العلم أى محمد ... ابن وداع السيد الممجد

هب لى سعادة على الدوام ... يعمنى والاهل والانام

بجاه نجم الشرق أشرق قلبى ... محمد الحبيب حب لبى

بكل طاعة وعلم وعمل ... يارب يا الله وأقبل العمل

بجاه يعقوب الولى الرضى ... بحر العلوم السيد المرضى

معرفة العلوم سهلها لنا ... وعملا بها أيا الهنا

بجاه شيخى والذى الظريف — امنن لنا بسترك الكثيف

بجاه فاطمة الزهرية — سهل لنا بالعيشة المرضية

بجاه كل من له عناية — من الاله وله ولاية

من المريدين لذى الطريقة — توسلى لمانح الخليقة

من الخواص وخواص الخاص — أطلب من ربى بهم خلاصى

ياسادتى عبيدكم ببابكم — يرجو رضاكم ويزيد نيلكم

من الفتوح ومن المعارف — بجاهكم عند الاله الكاشف

يا عسكر التجان أهل الغرب — والشرق قوموا لى واقضوا أرب

يا عسكر التجان باليمين — وبالشمال أحضروا فى الحين

وفرجوا ما حل بالفقير — بجاهكم من هم أو تغيير

وصلتموا قومى بقيت خلفكم — خفت الضياع سادتى ناديتكم

أيا رجال الله أحضرونى — يا أولياء الله انقذونى

من شدة الزمان والانسان — والنفس والهواء والشيطان

يا أولياء الله انصرونى — يا أولياء الله عززونى

يا أولياء الله غززونى — يا أولياء الله كبرونى

يا أولياء الله جاورونى ... يا أولياء الله بشرونى

يا أولياء الله اجمعونى ... بشملكم فلا تضيعونى

حاشاكم فانكم أهل الكرم ... لاتتركوا من جاء بابكم وأم

يا أولياء الله قربونى ... لحضرة الاله أربحونى

أسألك اللهم حسن الخاتمة ... لى ولكل مسلم ومسلمة

بجاه سيدى رسول الله ... وجاه احمد ولى الله

بحرمة الشريعة المطهرة ... بحرمة المدينة المنورة

بحرمة القبر الشريف الطاهر ... بحرمة الكعبة بيت القادر

بجاه بيت المقدس الزكى ... بعرش ربنا وبالكرسى

بحرمة الملائكة المقربين ... وجملة الملائكة المسبحين

نسألك اللهم صدق النية ... والفوز بالسعادة الابدية

أغفر الهى لى ووالدى ... وكل ميت مسلم وحى

أبواب رحماتك ربى افتحها ... عنا وكل شدة ادفعها

عنا وعن جميع أهل السنة ... جد وتفضل بدخول الجنة

لنا مع الاحباب والذرية ... وكل مسلم من البرية

الحمد لله على التمـــــام ثم صلاة اللـه والســـــلام

على النبيـى وعلى اصحابــه وآلــه والتابع آدابــــه

سميتهـا ضراعة الملهــــوف الراجى عفو ربه الرؤوف

•• ••

ذهبت سعاد

للشاعر الاديب العلامة
محمد حلو بن آدم بن جبر

" يمدح بها النبى محمد صلىا لله عليه وسلم "

ذهبت سعاد بنومتى ورقاد
لاخير فى حبسى لمثل سعاد

ان الاحبة ازمعوا سفرا الى
بيت الاله وزور قبر الهادى

يهنيهم والله يلطف بعدهم
لى باللحوق بهم مع الوراد

فتراهم تركوا البلاد كأنها
جمل أعر ضمخ بسواد

لاخير فى أهل البلاد بعيدهم
جهلا وبخلا لايعون لهادى

فكبيرهم وغنيهم لاير حمو
ن صغيرهم وفقيرهم بوداد

رقمت تأمرهم بترك قبيحة
نظروا اليك بأعين الزهاد
والدين عندهم غريب أهله
والعلم فيهم قد رمى بكساد
فأقول هذا غير مكترث بهم
والنار للعاصين بالمرصاد
وجست من بعد الاحبة مكرها
بحبالة الازواج والاولاد
هل طار مقصوص الجناح بنهضة
أو سابق البرذون للاجياد
فطفقت أغدو في لعل وعسى
وهما مقالة فاقد الازواد
ما حيلتي الا مديح محمد
يسلوهموسى مسعفا بمرادى
صلى عليه الله ماهب الصبا
اوقام يدعوا للصلاة منادى

هو منيتى هو عدتى هو عدتــــى
هو ملجئى فى موقف الميعـــاد

هو أفضل الرسل الكرام جميعهـم
وشفيعهم يوم المناد ينادى

اذ خص فى يوم الجزاء بشفاعــة
ولواء حمد والمقـال الجادى

قد رد فى ذاك المقام شفاعـة
الانبياء والرسل خير عبـاد

ذو الحوض حظ والوسيلة والسيـا
دة فى الجميع لحاضر ولبـاد

والرسل طرا تحت ظـل لـــوائه
والانبياء وسائـر العبـــاد

هو من يقول الله سيده لــه
سل ما تشـاء فأنت خير عباد

سل يا حبيبى تعط وادع تجب وقل
تسمع فأنت امير هـذا النـادى

لولاك لم تخلق جنان الخلد
والولدان والاباء والاجداد
انت الذى من نورك البدر اكتسى
والشمس مشرقة بغير سواد
انت الذى اسريت فوق سمائه
وعلوت عرش الله مثل مهاد
والبدر شق له وسبحت الحصى
والجذع حن الى لقاء الهادى
والظبى خاطبه بقول فصيح
والسرح قد سجدت سجود عبادى
والضب كلمه كلام موحد
والذئب خاطبه كنطق جماد
والشمس بعد غروبها ردت له
فى خيبر وقفت على الاطواد
والماء فاض من الاصابع جهرة
أروى الخميس وخذ حديث الزاد

والصاع خبز والادام بهيمــــــة

في خندق للالــف بالامـــــداد

والعضــو عليه بسـم قاتــــل

من فعـل امرأة بنطــق بــاد

والنخل اثمر عند غرسك عامــه

لفكاك سلمان من الاقيــــاد

ووفى بقــدر بيضة من زخـرف

دينا له فقــد انثنــى بمـراد

بدعائـه قد صـار سيفـا صارمـــا

جذل الهشيـم ورد عين قتـاد

وعسيب نخل عاد سيفا قاطعــــا

في يوم احـد للنبـى الهــادى

والعنكبوت سخت عليه بنسجهــا

لتقيـه أهل الـزيغ والالحــاد

باض الحمام بفـم غار اذ أتــى

جمع الكفــور بكثــرة الازيا د

وحمام مكة ظللته كرامة

في يوم فتح البيت للعباد

وعليه أقبلت الغزالة تشتكي

حبسا عن الخشفين من أولاد

واستشهدت بالله ثم رسوله

عند السراح بعهد خيل باد

أحياء موتى كان معجزة له

في ابن العجوز بجمع أهل النادي

المعجزات كثيرة لاتنحصى

وأمدها القرآن بالامداد

أخباره بالغيب بحر زاخر

لاينقضى بالعشر والاحاد

هو آخر في البعث الا أنه

متقدم في الفضل بالامجاد

هو للاله خليله وحبيبه
وصفيه المختار بين عباد
هو أكرم الكرماء ليس كمثله
في فيضه يا صاح صوب عهاد
واذا سميت فأحمد ومحمد
واذا كنيت فقاسم الامداد
وهوابن عبد الله عبد المطلب
جد له من اشرف الاجداد
وهوابن هاشم ابن عبد منافهم
ابن اقصى مضى لأقصى بلاد
وهو ابن جمع الكلب اشرف قومه
وهوابن مرة وابن كعب بلاد
وابن اللواء مصغرا وأبوه غا
لب ابن فهر أجود الاجواد
وهوابن مالك الاغر ببلدة
وهوابن نضر انضر الانجاد

أعنيه ابن كنانة ابن خزيمة
اعني ابن مدرك كل فضل باد
وهو ابن الياس عظيم زمانه
وهو ابن مضر قاهر الاضداد
ابن النزار ابن المعد ذي الندى
أعني ابن عدنان النجيب الجادي
قالي هنا قد أجمع النساب فى
نسب النبي قمر الكمال الهادي
هو واسط العقد الثمين كما ترى
هو طيب الآباء والاجداد
ما كان في نسب النبي محمد
أبدا سفاح من هنا للباد
الا نكاح اطيب من طيب
هو طاهر من طاهر الامجاد

آباءه الامجاد كل مهذب
في قرنه يعلو على الاطواد
والامهات جميعها محفوظة
من كل عيب أو ظهور فساد
يكفيك فخرا يا محمد اذ دعو
ت الله في الاحياء للامجاد
أعنى أباك وأمك الغرا فقد
فازا باسلام الكريم الهادى
صلى عليك الله ما صفت رخا
أو حن رعد في الدجى وسواد
وعلى رفيق الغار خير مرافق
أعنى به الصديق ذا الارشاد
هو خير خلق الله بعد المصطفى
والرسل والانبياء والاشهاد

وعلى ضجيعهما أبي حفص الـــذي
فتح الفتـــوح بقطـــر كل بـــــلاد
اعني به الفاروق ومن هو قولـــه
فصـــل وعدل حكمـــه للجـــادي
وعلى الفتى عثمان ذي النورين قـــد
قتلـــوه مظلومـــا ببغـــي عنـــاد
هو جهـــز الجيش الالـــوف بمالـــه
والهدى أهـــداه لخير بـــلاد
وعلى أبي السبطيـــن حيـــدرة الذي
في الحرب كالأســـد الكريه العادي
هو باب ســـور مدينة العلم الـــذي
أوحى لـــه الرب العلـــى الهادي
وعلى الحسين وصنـــوه حسن همـــا
سميـــا بأميهما علـــى الاولا د

وعلى أبي الفضل المهذب عمه
أعني به العباس ليث جلاد
وأخيه حمزة سيد الشهداء في
أحد أبي يعلى الشجاع الباد
وعلى خديجة ام أولاد النبي
وهي الصديقة في الخلا والنادي
وعلى الحميرا وهي عائشة التي
قد خصصت عن زوجه بوداد
وعلى صحابتك الكرام جميعهم
والآل والازواج والاولاد
يا سادتي قوموا جميعا كلكم
لعبيدكم بالغوث حين ينادي
ناداكم من بعد أرض بلاده
ان تجذبوه بجذبة الاسعاد
لكنه قد قيدته ذنوبه
عن زور روضة سيد العباد

فعسى بفضل مديحكم ونداكم
يأتيكم مع جملة الوراد
انت تكونوا ناصريه وعونه
فيصبح عزاه شماتة الحساد
حاشاكم ان تهملوه ببلدة
تضع العزيز أذل من أوهاد
ان لم يكن اهلا لنيل ودادكم
فلانتم أهل لنيل ودادى
فلعل حال اليسر تطرد عسره
لن يغلب اليسرين عسر باد
يا أحمد المختار يا يس يا
طه ويا مزمل يا هاد
انا عبد سوء لم احج ولم أزر
فمتى أشاهد كعبة العباد

ارجو بجاهك يا عظيم الجاه ان

أحظى بغاية مطلبي ومرادي

صلى وسلم ذو الجلال عليك ما

غنت سحرت طربا لموت الحادي

•• ••

!! مراجع البحث !!

مصادر البحث

أولا : المراجع العربية :

١) محمد بن عمر التونسي : تشحيذ الاذهان لسيرة بلاد العرب والسودان المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٥

٢) سير توماس ارنولد : الدعوة الاسلامية ، ترجمة د٠ حسن ابراهيم حسن وآخرون ـ مكتب النهضة المصرية ٠ القاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٠

٣) د٠ ابراهيم على طرخان : امبراطورية البرنو الاسلامية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥

٤) ابراهيم صالح يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم وبرنو ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٧٦

٥) د . حسن ابراهيم : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٤.

٦) حسن احمد محمد : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية دار النهضة .

٧) د . حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما بين الصحراء الكبرى وشرق القارة الافريقية وغربها . معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٧٠.

٨) عبده بدوى : السود والحضارة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦.

٩) عبده بدوى : مع حركة الاسلام فى أفريقية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة القاهرة ١٩٧٠.

١٠) الشاطر عبد الجليل البصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢

١١) د. فيليب رفلة : الجغرافية السياسية لافريقية ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ١٩٦٥.

١٢) المقريزي (تقي الدين احمد بن علي) : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٧٠هـ

١٣) القلقشندي (ابو العباس احمد): صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، سنة ١٩١٧

١٤) ابن بطوطه (ابو عبد الله الطنجي) : تحفة الانظار وعجائب الاسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة .

١٥) ابو الوفاء التفتازاني (الدكتور): مدخل الى التصوف الاسلامي الطبعة الثانية ١٩٧٦ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة

١٦) الدكتور يحيى هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام فى القارة الافريقية فى شمال افريقية جـ ١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦٠

١٧) الدكتور يحيى هويدى : محاضرات فى الفلسفة الاسلامية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة

١٨) العرب والمسلمون فى أفريقية : الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ٠

١٩) البيرت شفيتزر : حكايات أفريقية ، ترجمة وتقديم محمود ابراهيم الدسوقى ٠ وزارة الثقافة مؤسسة التأليف والنشر دار الكتاب العربى ٠

٢٠) الدكتور محمد مصطفى حلمى : ابن الفارض والحب الالهى دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١

٢١) نيولد نيكولسون : في التصوف الاسلامى وتاريخه ترجمة : د . ابو العلا عفيفى لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦٩ .

٢٢) وليم باسكوم . ملفيل هيرسكوفتز : الثقافة الافريقية : ترجمة : عبد الملك الناشر المكتبة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين صيدا . بيروت سنة ١٩٦٦ .

٢٣) الدكتور احمد محمود صبحى : في فلسفة التاريخ منشورات الجامعة الليبية . كلية الآداب .

٢٤) محمد السيد التيجانى : غاية الامانى . في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيد أحمد التيجانى . مكتبة القاهرة بالازهر . بدون تاريخ .

٢٥) الدكتور جمال حمدان : العالم الاسلامى المعاصر ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧١.

٢٦) محمد بن السيد المختار الشنقيطى . : مولد التيجانى المسمى عنوان مطالع الجمال ، مكتبة القاهرة

٢٧) ليوبولد سينجور : مختارات من آثاره ، ترجمة : عبد اللطيف شراره ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٦٦.

٢٨) أحمد سيكوتورى : أفريقيا والثورة ، ترجمة : اشرف اديب اللجمى ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد السورية ، دمشق ١٩٦٧.

٢٩) الدكتور عبد القادر محمود : الفكر الصوفى السودانى - دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٩

٣٠) الدكتور احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، جـ٦ دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٥

٣١) ابو المعالى محمد الحسينى العلوى : كتاب بيان الاديان ، ترجمة : د . يحيى الخشاب ، مجلة كلية الآداب ، المجلد التاسع عشر الجزء الاول مايو ١٩٥٧ — من ص ١١ — ٥٩ .

٣٢) عبد الواحد امبابى : الاشتراكية الافريقية من النظرية الى التطبيق ، مجلة الفكر المعاصر القاهرة العدد ٤٤ ، أكتوبر ١٩٦٨ الفلسفة الافريقية .

٣٣) عبد الواحد امبابى : الفلسفة الافريقية ، مجلة الفكر المعاصر ، القاهرة

٣٤) الدكتور اسماعيل الفاروقى : (فى تاريخ الاديان رؤوس اقلام) ترجمة د . توفيق الطويل ، مجلة كلية الآداب — المجلد ٢١ جـ ١ مايو سنة ١٩٥٩ ص ٦٥ / ٧٤ المجلد ٢٥ جـ ١ مايو ١٩٦٣ ، ص ١ ، ٩ .

٣٥) الدكتـــور صليبـــــا : المعجم الفلسفى ، المجلد الثانى دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٣.

٣٦) الدكتورة أميرة حلمى مطـر : الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ط ٢ القاهرة ١٩٦٨.

٣٧) الدكتورة / زينب الخضيـرى: فلسفة التاريخ عند ابن خلـــدون رسالة ماجستير غير منشورة — اشراف . د . يحيى هويـــدى ، مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة

٣٨) جوزيف شاخت س. أ. بوردوت : تراث الاسلام جـ ١ ، ترجمـــة : محمد زهير السمورى ، تحقيـق: د . شاكر مصطفى. سلسلة عالم المعرفة الكويتيـــة ، العدد ٨ أغسطس ١٩٧٨

٣٩) الدكتور محمد على ابو ريـان : تصنيف العلوم بين الفارابـــى وابن خلدون مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد التاسع ، العدد الاول ١٩٧٨

٤٠) محمد عبد الحميد فـــرح : الافريقانية اوالوجه الجديـــد للزنجية ، مجلة الفكر المعاصر القاهرة العدد ٢٦١ مارس ١٩٧٠

٤١) محمد حلو آدم ـ فتح الرحيم المجيد : شركة مطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٧١ .

٤٢) محمد عليش عوضـــــة : كتاب المنحة الازهرية فى نفـــس المالكية ، مطبعة التمـــدن بالخرطوم ، ١٩٦٣.

٤٣) محمد عليـش عوضـــه : الموجز فى علم التوحيـد . مطبعة التمدن ، الخرطوم ١٩٦٤.

٤٤) محمد عليـش عوضـــه : الاسلوب الجديد فى النحو المفيد مطبعة التمدن الخرطوم ١٩٦٣.

ثانيــا : المراجــع الاجنبيــة

1. ISSA H. KHAYAR, Le Refus de L'Ecole, Contribution & l'école. Des Problemes de l'Education. Chez les musulmans de Cuaddai Tchad. "Librairie d'Amérique et d'Orient. II Rue Saint-Sulpice-Paris 69".

2. Jean Paul et Annis le Bosuf. Les Arts de Sao. 1977 Stenlle. Les Editions du CHENE - PARIS. Tous droits réservés, imprimés en. FRANCE - ISEN/ 285 IOS 1284.

3. CRARLES LE COEUR "1969" Mission au Tibesti. Carnet de Route. "1933 - 1934" par

4. PAIMER H.R / ABORNU MAHRAN AND the PRE TUNJUR Rulers of Wadai. S.N.R.V. NO. 3-4 "1922" P.P. 197 - 199.

5. MORGENTHAU, R: Political Parties in FRENCH SPEAKING. AFRICA - ELAREMDOM, PRESS, OXFORD 1964.

6. HODKIN, F.: FRENCH SPEAKING AFRICA IN TRANSITION INTERNATIONAL CONCILIATION - MAY 1961.

7. UNION Douniere et economique de L8Afrique Gentrale.

8. (The Union of Central African Status).
9. World Bank: Chad: Developement Potential and Constraints. 1974, p. ix.
10. African Year Book And Who's who - London, 1977. p. 326.
11. Thompson, V; and Adloff, R.; The Emee-Africa. Oxford University Press, 1967, p, 167.

محتويـات البحـــث

الموضـــــــــوع | صفحة

الموضوع	صفحة